الجمورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الأدب بين الفكر و الجمالية

مذكرة لنيل شهادة الماسترفي اللغة والأدب العربي

تخصص : أدب جزائري

إعداد الطالبة :

زعطوط ليندة

تحت إشرا ف الأستاذ:

يوســـــف رحيم

السنة الجامعية: 2013_ 2014

إهداء

إلى منبع الحرية و الثقة اللامتناهية والدي العزيز داعية الله أن يطيل لنا في عمره

إلى قبس النور و العطاء الرّباني ، والدتي أطال الله في عمرها.
إلى جميع أهلي و أفراد عائلتي و خاصّة إخوتي الذكور و خاصة أختي رشيدة
إلى الغالية كهينة بن عابد
إلى صديقاتي مع تمنياتي بالنجاح(كهينة ، حنيفة ، سيليا ، سهيلة ، فريزة ، صراية)
إلى أستاذي المشرف مع بالغ امتناني و عظيم تقديري الذي كان باله واسعا لصبره الشديد علي .
إلى البعيد القريب ، أساتذتي : عاشوري آيات الله ، بن لباد سالم ، أمقران حكيم و الأستاذة الغالية بلخامسة و بوعياد.
إلى كل من جعل العلم محبّة و قبلة ، و أضاء شمعة في دروب طالبيه.
إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي وفاء و امتنانا.

إلى كل من أحبهم قلبي و لم يذكرهم قلمي

ليندة زعطوط

شكر

إلى من قدم لي الشرف العظيم لقبوله الإشراف على مذكرتي بكل تواضع الأستاذ : يوسف رحيم الذي بصبره و تفهمه الشديد قدم لي الدعم و الحافز النفسي لإنجازهذا العمل المتواضع.

إلى أساتذتي في كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، وخاصّة في قسم اللغة العربية و آدابها.

وأعظم تقديري و امتناني إلى عائلتي المساندة والكريمة و الحنونة .

بسم الله الرحمان الرحيم

أُدع إلى سبيل ربك بالحكمة

فهرس
الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
إهداء	أ
شكر و تقدير	ب
فهرس الحتويات	ج
مقدمة البحث	هـ
المدخل	ز
لمحة تاريخية عن الأدب	1

أ - "نشأة الأدب و تطور معناه اللغوي و الإصطلاحي ".....ص 5

ب - الأدب في العصر الجاهلي.....ص 9

ج - الأدب في صدر الإسلام و العصر الأموي.....ص 19،

د - الأدب في العصر العباسي إلى العصر المعاصر.....ص 23

2) الأدب عند الغربيين : .....ص 29

3) الأدب بمعناه العام :.....ص 27

4) الأدب في الفكر الإنساني :.....ص 39

الفصل الأول :

1 التعريف بالمصطلحات

_ مفهوم الأدب بصفة عامة :.....ص44

- علاقته بالحياة الإجتماعية والفنية الثقافية : .....ص 60

2_ مفهوم علم الجمال لغة واصطلاحا:.....,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,,ص 56

- علاقته بالأدب والفنون الأخرى: .....,,,,,,,,,,,,,,,,,,,ص55

3 مفهوم الفكروانجازاته الإبداعية:.....ص 62

4- علاقته بالأدب والإبداع والجمال:.....ص 65

الفصل الثاني

1 - مقدمة الفصل الثاني:.....ص 70

2 - علاقات الأدب بالفلسفة، بالسياسة.....،.....ص 73

3 - وظائف الأدب : تعبيرية، فنية، جمالية، فكرية.....ص 79

4 - نظريات الأدب المختلفة :.....ص 94

5 - خاتمة الفصل الثاني :.....ص 94

1 – مقدمة الفصل الثـــــــالث :.....ص 95

2 – إدراج بعض النماذج التطبيقية :.....ص 96

- نماذج تساند أصحاب الرأي القائل أن وظيفة الأدب جمالية:.....ص 97

1 – من القرآن أو الدين والعقيدة :.....ص 98
2 – من النثر والثقافة العامة :.....ص 99
رسائل، مقال، أمثال إن وجدنا نصيبا منها .....ص 99
3 – من الشعر ديوان العرب :.(ومديح الظل لمحمود درويش.....ص 100
- نماذج تساند الفئة التي تنادي بفكرية ونفعية الأدب:.....ص 112
1 – من القرآن أو الدين :.....ص 112
2 – من النثر والحياة الثقافية والإجتماعية العامة والخاصة:.....ص 114
3 – من الشعر ديوان العالم والعرب :.....ص 115
- نماذج محللة وصفيا وجماليا ونقديا :.....ص 117
لإظهار ازدواجية الوظيفة الأدبية بين الفكر والنفعية:.....ص 119
تحليل قصيدة إيوان وكسرى مثلا:.....ص 117
4 _ خاتمة الفصل الثالث:.....ص 118
الملخص :.....ص 120
الخاتمة :.....ص 121

مقدمة

مقدمة:

في الحياة الأدبية نعثر دوما على قضايا و مشكلات يتوجب على كل من الأديب والباحث والناقد السير نحو إيجاد حلول ناجعة لها عن طريق البحث عن نوع ومصدر وأسباب هذه القضية أو المشكلة المتعرض لها والعديد من المشكلات خلقت في أوساط الأدباء زوبعة من الصراعات نظرا لانتماء هؤلاء الأدباء والباحثون إلى عدة اتجاهات ووجهات النظر وتيارات فكرية متشبعة الينابيع مما جعلهم ينقسمون إلى فرق ومدارس متنوعة ومختلفة كل يدافع على نظريته أو رأيه على حسب الاتجاه أو التيار الذي ينتمي إليه فمثلا في مادة من مواد الأدب العربي اختصاص نظرية الأدب نجد مواضيعها الأساسية كلها عبارة عن مدارس ونظريات قامت كل واحدة منها على أنقاض نظرية أخرى.

ومثال ذلك أن مفكرو عصر النهضة قد أحيوا ما كان قديماً، كرد فعل على التوجه الذي كان الفكر الديني المتشدد منجرفاً فيه. لقد كان الفكر اليوناني أشبه بلمسة ذهبية أنعشت الفكر الأوروبي برمته.وجاءت الداروينية والأيديولوجيات التطورية كرد فعل على الفكر النهضوي.

فالرومانسية حاولت أن تأتي بنظرية مضادة لنظرية الكلاسيكية الجديدة. كما حاولت الانطباعية أن تأتي بنظرية تنطلق من مواجهة الفرد للأثر الأدبي مواجهة صادقة، وحاول تين، بكل اندفاع وحماسة بالغة، أن يأتي بنظرية شبيهة بالنظرية الوضعية لكونت، أو بالأحرى حاول تطبيق الوضعية في الأدب، كما حاول سبنسر تطبيق الداروينية الاجتماعية على الأدب. إن تين ربط الأثر الأدبي بالعصر والعرق والبيئة. وهذا فقط لإيضاح مدى اهتمام الأدباء والباحثين بالأدب ومشكلاته المتنوعة والمختلفة بغض النظر عن المشكلة التي أنا بصدد التعرض لها لأضيف مجهودي ولو بالقليل إلى أولئك الأدباء والباحثين الذين خدموا هذا الإبداع الأدبي بكل حماس وجدارة مما دفعني إلى العناية بآراء المهمتين بهذا الموضوع.

موضوع بحثي أو القضية التي أود معالجتها أختصرها بالعنوان التالي (الأدب بين الفكر والجمالية) بعبارة أخرى (وظيفة الأدب بين النفعية والجمالية) كما قدم سابقا من عبد

الحافظ بخيت متولي . أو بعبارة أخرى يقترب معنى إلى ما عرفه محمد طه عصر في كتابه(مفهوم الإبداع في النقد العربي القديم) بالإبداع واللياقة الجمالية والإبداع واللياقة العقلية

(الأدب شكلا جماليا خالصا أو عملا فنيا بحتا)، (ما يميز الأدب هو اللفظ أم المعنى، الصورة أم الإطار الجمالي؟ الفكرة أم أسلوب العرض؟) أو الأدب بين الشكل والمضمون).

وعليه فقد حثتني دوافع ذاتية وموضوعية على انتقاء هذا الموضوع، فأما الذاتية فتتمثل في رغبتي الشخصية لفهم عالم الأدب وما وصل إليه من نتائج إيجابية بعبارة أخرى الإجابة على الأسئلة التالية: ما غاية الأدب؟ ما الفائدة منه وما وظيفته؟ إذ كنت أتساءل إن كان فعلا من وراء الأدب منفعة إنسانية وإنجازات فكرية ملموسة؟ فهل داوى الأدب المريض نفسيا بعد استماعه لقصيدة شعرية لامرئ ألقيس مثلا أو من خلال قراءته لرواية زينب لمحمد حسين هيكل واستماعه لقصة مثلا في بطن الحوت للدكتور محمد عبد الرحمان العريفي؟ بتعبير أكثر دقة وشمولية هل كان للأدب فعلا دور في البناء الثقافي والحضاري ؟ أو لم يتعد كونه تشويقا وشعرية وجمالية سرعان ما تتبخر آثاره الجمالية من أفق الإنتضار لدى القارئ و فاصلة جمالية و تذوق أدبي (نظريات القراءة) و محاولة إبراز أهمية الأدب

وإعطاء طريقة صحيحة كوسيلة لتبني في الحضارة العالمية والجزائرية.

هذه الأسئلة كلها سنجيب عنها خلال الولوج في الموضوع معتمدين في ذلك على مراجع وأبحاث عدة نقاد وباحثين أمثال محمد طه عصرو كتابه (مفهوم الإبداع الأدبي في النقد العربي القديم)، صلاح فضل في عدة كتب وأبحاث، المقفع، مصطفى ناصف في مقالاته الكثيرة والمتنوعة بالإضافة إلى الجرجاني والعقاد وشوقي ضيف، محي الدين إسماعيل في كتابه (للعاصفة لا للريح.....إلى محمد حسين هيكل و سعيد يقطين و آخرين .

أما الدوافع الموضوعية، منها اقتصار الباحثين و المؤلفين الذين تعرضوا للأدب على عرضه وشرحه بناءا على ما قدمه بعض الأدباء من أمثال طه حسين كتابه (في الشعر الجاهلي) و الجاحظ في كتابه "البيان و التبيين" وابن المقفع، مجاهد عبد المنعم مجاهد في

كتابة " دراسات في علم الجمال" والدكتور مصطفى الجوزو في كتابه" نظريات الشعر عند العرب" ، بالإضافة إلى كتاب ابن طباطبا عيار الشعر .....إلى غير ذلك من الكتاب و الأدباء الذين لا يحصون .

وكان ميلي إلى وظيفة الأدب كقضية محاولة للإجابة على انشغال أخذ اهتمامي:ألا وهو: هل تجاوز الأدب مبدأ التشويق و التأثي الآني إلى ما هو أنفع و أرقى من ذلك وهو تحقيق غايات من وراء النتاجات الأدبية من تحرير للإنسان و إصلاح للأوضاع الاجتماعية و الاقتصادية، الثقافية والحضارية ؟ وكيف كانت نظرة النقاد و الباحثين حيال هذا الأدب

أو بالأحرى الإبداع الأدبي ؟

ما علاقة الأدب بالقيم الإنسانية و الأفكار و الجمال عامة و الطبيعة و الأفعال خاصة ؟ وكيف يحقق الأدب بشقيه الشعر النثر وما يحمله من فنون أخرى كالرسم و النحت

و التمثيل الغاية الإنسانية و المنفعة الفكرية على حساب الجمالية أو الشكل ؟ بمعنى آخر كيف يتحقق المعنى على حساب اللفظ أو هما وظيفتان ضروريتان معا في نفس الوقت ؟ وانطلاقا من هذه الإشكالية التي يرتكز عليها بحثنا حول الجدل القائم بين دعاة فكرية الأدب الذي يعني أن غاية الأدب فكرية والذين يساندون فكرة أن وظيفة الأدب جمالية وتهتم باللفظ والشكل أكثر منه من المعنى أوالجدلية بين الأدب وظيفة الأدب طبيعة .

-أهمية الموضوع:

تبرز أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول موضوع حديث لم تتحدد معالمه بعد بصورة نهائية، ولقد اعتبرته الكثير من المدارس الأدبية والنقدية وسيلة ناجعة للتوسع والنموالحفاظ على مكانة الأدب في بناء الحضارة الإنسانية والمحافظة على شموخها.

كما تتجلى أهمية هذا البحث في تركيزه على تطبيق أحد النماذج التي من شأنها تحفيز الباحثين والنقاد في تبني الإبداع الأدبي كأداة فعالة وذات عوائد مهمة للحضارة والثقافة من أجل التحضر الحقيقي، وهو الهدف الأسمى لأي دولة وأي حضارة .

أهداف البحث:

- نهدف من خلال هذا البحث إلى :

- محاولة التعرف على ماهية الإبداع الأدبي طبيعته، أشكاله، عوائده.
- إبراز أهمية الإبداع الأدبي بالنسبة للحضارة و الثقافة خاصة الجزائرية.
- تحديد مفهوم الأدب وخصائصه ووظائفه.
- أن يكتشف المتعلم علاقة الأدب بالفكر والجمال.
- إثراء الرصيد الأدبي و المعرفي
- الوقوف على التواصل الحضاري .
- استغلال الكتب والآثار الإبداعية المقروءة في علاج القضايا المطروحة.
- التعمق في فهم الأفكار الأدبية والنقدية .

5-المنهج المستخدم:

سوف نعتمد في الجزء النظري من هذا البحث على المسح المكتبي لمجموعة من الكتب باللغة العربية والفرنسية والمجلات التي تناولت موضوع الإبداع الأدبي وخصائصه ونظرياته الجمة (شكله، مضمونه، طبيعته، وظائفه، وعلاقاته بالعلوم ..) بصفة عامة والإبداع الأدبي وعلاقته بالتقدم الحضاري بصفة خاصة، كما سنحاول الاعتماد على مواقع شبكة الانترنت للإطلاع على مختلف الدراسات الحديثة في هذا المجال.

أما في الجزء التطبيقي فسنعتمد على تحليل بعض القصائد لأن الأدب شعر وبعض الروايات والقصص والمقامات والمقال والخطاب لأن الأدب نثر ففي الشعر نستطيع أخذ قصيدة البحتري بعنوان سينية البحتري مثلا، والتحليل الصوتي للخطاب الشعري قصيدة (فلسطين على الصليب) للشاعر الثوري الجزائري مفدي زكرياء مقدم من طرف (جامعة قاصدي مرباح ورقلة الملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب يومي 11 إلى 13 مارس 2003 الدكتور عمار ساسيث جامعة سعد دحلب البليدة) .

أما في الرواية فنستطيع الاعتماد على رواية "رؤية سجينة " للباحث محمد أقضاض ضمن سلسلة علامات العدد 15 ورواية "ريح الجنوب" لنجيب محفوظ، وذلك بالتركيز على الحيز الروائي وأشكاله الذي نوضحه في كتاب بعنوان" في نظرية الرواية" للدكتور عبد المالك مرتاض ورواية "البعيدون" لبهاء الدين الطود بقلم الباحث عبد الرحمان م.الربيعي ضمن سلسلة علامات العدد 19 أما في القصة فسوف نأخذ قصة "عطش" لأميمة الناصر (أميمه الناصر ،الغناء بعيدا، بدعم من وزارة الثقافة، ط1، عمان،1995، ص41 .)

ومثال عن مقامات الهمذاني بعنوان" السرد في مقامات الهمذاني" للباحث أيمن بكر. ومختلف الوثائق المتاحة والتي تسمح بالتعريف بالإبداع الأدبي نموذج الدراسة و مختلف وظائفه المنفعية

والممتعة. وهذا في محاولة منا الإجابة عن الإشكالية والقدرة على اختبار صحة الفرضيات المقترحة من عدمها من جهة أخرى.

الصعوبات:

ندرة المراجع المتعلقة بالإبداع في المؤسسة باللغة العربية وخاصة منها الأجنبية ما استدعى البحث عنها من مصادر أخرى.

صعوبة إيجاد منابع ملموسة وموثوقة للقيام بالدراسة التطبيقية من أجل استكمال خطوات البحث، يرجع هذا كما لا يخفى على أحد إلى ما تتميز به علاقة مؤسساتنا مع الجامعة من حيث الانغلاق وعدم التعاون.

تقسيم الدراسة :

من أجل تناول هذه القضية على الوجه الكامل يتعين علي كما أشرت مسبقا إتباع المنهج الوصفي مع الاستعانة ببعض المناهج الأخرى مثل الفني والتاريخي كون هذه المناهج الأنسب لتتبع هذا النموذج من الأطروحات كما يساعد المنهج التاريخي على ترتيب الأحداث والتطورات وردها إلى أصولها .

وهيكل هذا البحث يشتمل بعد المدخل الذي نتناول فيه الحديث عن الإبداع الأدبي ونشأته وخصائصه وأعلامه بصورة موجزة، وذلك قصد إيضاح غاية الإبداع الأدبي هذا لأنها تمثل جانبا هاما للبحث على ثلاثة فصول:

تطرقنا في الفصل الأول إلى تحديد دلالة المصطلحين التاليين: الفكر والجمالية في الحقل اللغوي ومختلف حقول المعرفة، عن طريق تتبع تطور الإبداع الأدبي مع تبيان أهم التصنيفات المتعلقة به وصولا إلى تحديد المفهوم العام للأدب وأهم أنواعه وعناصره وأجناسه الأدبية وخصائصه بالإضافة إلى المعوقات التي تصادفه من خلال مظاهر الحياة الفكرية

والثقافية ثم نتحدث عن الجمالية وما يتصل بها من خصائص فنية وتعبيرية وينتهي هذا الفصل بالحديث عن الفكر الثقافي العامي والعربي وأهم النقاد والباحثين الذين تناولوا

العناصر الثلاثة لعنوان البحث كل على حدا لأنه بفك رموز هذا العنوان يتيسر علي الجواب على جميع الأسئلة التي قد طرحتها وأبحث عن الإجابة عليها وذلك كالآتي :

- نعرف الفكر والجمالية في اللغة والاصطلاح مع ذكر أهم المدارس والباحثين الذين تناولوا هذه المصطلحات، ونذكر منها دراسة الدكتور علي مصري عن الفكر والأدب بعنوان في رحاب الفكر والأدب، مفهوم الإبداع الأدبي عند محمد طه عصر، وعند شوقي ضيف في كتاب بعنوان البحث الأدبي طبيعته، مناهجه، أصوله ومصادره عز الدين إسماعيل في الأسس الجمالية في النقد، والجمالية عند الدكتور عفيف بهنسي في كتاب بعنوان "جمالية الفن العربي"، التوحيدي والفكر الجمالي، و هيجل في المدخل إلى علم الجمال فكرة الجمال . وتعار يف نخبة من النقاد الآخرين.

وفي الفصل الثاني حاولنا توضيح أهم الوظائف الأدبية وذلك من خلال عرض لبعض الإنجازات الأدبية وأهم العناصر الفنية التي تجعل من النص الأدبي أدبيا الفنية مثل البيان والبديع والفكرية الحضارة والإنسانية. وأهم القضايا المطروحة في شأنه وتبني العملية الإبداعية مرورا بتطوير المنتجات ووصولا إلى عملية الإبداع في الخدمات والعمارة.

أما عن الفصل الثالث هو جانب تطبيقي حيث سوف نقوم فيه بتحليل بعض القصائد والروايات وحتى القصص لنستطيع إظهار الوجه الحقيقي للوظيفة الأدبية بإبراز البعد الفكري أي العقلي ومدى توافر الإبداع الأدبي أو بالأحرى النص الأدبي على أساليب الإقناع

وتحقيق المنفعة الفكرية والإنسانية ثم ننتقل إلى استدعاء مظاهر البعد الفني أو الجمالي التي تطبع خاصة التعبير الشعري بإيضاح خصائصه ومزاياه الفنية وما يتوافر عليه من جمال وقوة تأثير في النفوس ثم ننهي ذلك بالحديث على إمكانية قدرة الأدب على الجمع بين الوظيفتين الفكرية والجمالية وتحقيق التوازن بين التفكير العقلي وملكة التعبير الفني من خلال القصيدة أي الشعر. ثم أسعى من أجل تناول الخصائص الفنية والفكرية للنص الأدبي مثل الأسلوب والتشبيه والاستعارة والكناية وأفق التوقع والتذوق الأدبي.

أما الخصائص الفكرية فنتناول فيها الفكر العربي الإسلامي ونظرته للحياة لأنه انطلاقا من طبيعة الحياة تتجلى خصائص الأدب الذي تنتجه تلك البيئة أو المنطقة.

ثم أنهي بحثي بخاتمة تتناول ملخص لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال عرض البحث وما أصفرته هذه الدراسة من استنتاجات وإجابات الأسئلة المحيرة في مقدمة البحث. الذي سيراه القارئ متكونا من قسمين :الأول نظري " الأدب بين الفكر والجمالية أمّا الثاني لبعض الشعراء والرواة يمثل الجانب التطبيقي للبحث باعتبار أن جميع المعارف

والتخطيطات النظرية دائما وأبدا تسبق الإجراءات التنفيذية والتطبيقية واستنادا إلى هذه الإشكالية التي سأقوم بدراستها والبحث في حقيقتها في هذه الرسالة نتطرق في بداية هذا البحث إلى تسليط الضوء على أهم المحطات التاريخية للأدب وتطوره مرورا بتعاريفه المتعددة ثم نقوم بعرض النظريات الخادمة لهذا الموضوع التي من بينها نظرية المحاكاة وتبيان خصائصها ومقوماتها وأخيرا المنهج التحليلي المقارن في القسم التطبيقي وسيجد القارئ أننا في القسم النظري ركزنا على محاورة هامة هي: لمحة تاريخية عن الإبداع الأدبي عند العرب قديما وحديثا باعتبارهم قد عرفوا ومارسوا هذا النشاط ثم في الغرب أين مر الإبداع الأدبي بعدّة مراحل جعلت منه علم ذو حدين فهو مسل وفي نفس الوقت هادف .

بعد ذلك قمنا باستعراض لأهمّ نظريات الأدب الحديثة التي يمكن تلخيصها في اتجاهين :مقاربات تدعو إلى احترام فكر ومضمون النص الأدبي من جهة ومقاربات تدعو إلى تأييد الجمال والشكل لترك الآثار الأدبية واكتساب الأدب الحبكة الفنية (نظرية القراءة) من أجل تسهيل عملية الفهم .كما حرصنا على إدراج نظرة توفيقية تدعو إلى الاعتدال قصد تحقيق التوازن بين النص الجمالي والنص لأدبي أي تحقيق الغاية الفكرية والإنسانية. ثم نذكر ما توصلنا إليه من نتائج في الخاتمة التي ستكون تقريبا ملخصا لأهم نتائج هذا البحث المقدم.

وإذن فالسؤال الجدير بالطرح في هذا السياق هو: إلى أي مدى استطاعت وظيفة الأدب أن تكون فكرية على حساب الجمالية والعكس صحيح أي إلى أي مدى يمكن لهذه الوظيفة أن تكون جمالية، التعبير الفني الذي يكون في حاجة إلى ثوب خيالي براق وروح عاطفية تحرك الإحساس وتثير المشاعر، بما يتوافر عليه من لفظ منمق جميل.أو أن وظيفتا الأدب

الفكرية والجمالية متلازمتين لا يمكن فصلهما عن بعضهما نظرا للتكامل الذي تحدثانه حين تلتقيان.

ولمحاولة الكشف عن حقيقة هذه الحيرة التي تصاحب كل باحث وناقد، جاء بحثنا موسوما بالعنوان التالي" :الأدب بين الفكر والجمالية الأدبية متخذين من الشعر سواءا كان مدحا

أو جهادا أو رثاءا على غرار قصيدة سينية البحتري مثلا ومن النثر سواءا كان قصة أو أسطورة أو رواية، مقالة نماذج" نبين من خلالها وظيفة الأدب أو بالأحرى ماهية الأدب الحقيقية ولاشك في أن البحث في هذه المسألة يدفعنا إلى أن نتتبع أصول الأدب عامة والعربي خاصة مما استوجب دراسة الحياة الفكرية التي نشأ الأدب في ظلها والتيارات الأدبية والنظريات التي سادت في هذه الحياة للوقوف على مدى خصوبة وتعدد وظائفه في الوطن العربي .

ولما كان التعبير عن الأدب وفنونه شعرا ونثرا، فإن الدراسة الأمينة تستوجب بدورها الوقوف على مدى توافر البعدين الفكري والفني في إنتاج وصوغ هذا الأدب بشقيه النثري والشعري، ولما كان الطابع الفني أقوى أثرا من الجانب الفكري والنفعي والمعرفي في التعبير الأدبي عموما والتعبير الشعري على وجه الخصوص، فإن المهمة الأساسية لهذا البحث تتمثل في محاولة الإجابة على السؤال الآتي :

هل استطاع الأدب أن يجمع بين تجريدية الفكر أو المنفعة الإنسانية والثقافية وبين الخيال والعاطفة وما يطمحان إليه من تحرر في الفن لجعله يستخدم طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والبديع والبيان والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغير ذلك من وسائل التعبير اللامحدودة .

إذا كنت قد أشرت في مقدمة إلى أن الأدب وتاريخه وطبيعته ووظائفه قد تم تناوله من طرف عدة دراسات التي عالجت هذا الموضوع من زوايا مختلفة، فقد تناوله على سبيل المثال ابن المقفع بعنوان " في الأدب الكبير " الدكتور ساسين عساف في كتابه" دراسات تطبيقية في الفكر النقدي الأدبي "(محورها الرؤية والرؤيا)، الدكتور ربيع عبد العزيز في دراسته بعنوان" النقد الأدبي الحديث" حيث اعتبر(أن الأدب ليس مجرد محاكاة فنية لا هدف لها سوى إشباع حاسة الجمال لدى النخب التي تتذوق الأدب، بل هو محاكاة

اجتماعية في عبارة فنية جميلة)، كتاب النقد الأدبي في القرن العشرين لجزايف تاديبيه ترجمه د منير عايشي الذي عرض فيه مختلف المدارس التي درست الأدب شكلا ومضمونا نذكر منها مدرسة جنيف، وصلاح فضل في كتابه "إنتاج الدلالة الأدبية" هنا تحدث صلاح فضل عن غياب الشعر الحقيقي رغم الأولوية التي بلغها في القديم قائلا : " ومن هنا بلغت أهمية الكلمة الشاعرة لديهم درجة العبادة، ووضعوا في الشعر الغنائي كل إمكاناتهم المبدعة في الرسم والنحت والموسيقى. فاستقطب قدراتهم وإلهامهم عن كل مكرمة أخرى في الفن .

ونبتت بينهم الحكايات والأقاصيص ولكنها ظلت دائما دون مرتبة الشعر، فلم ينعقد بينهما هذا الزواج السعيد الذي شهد مولد الأدب الكبرى". والدكتور محمد زكي لعشماوي في كتابه " دراسات في النقد الأدبي المعاصر" حيث تحدث فيه عن الصراع على القيم في الأدب الإنجليزي المعاصر، أزمة الشعر الكبرى في أوائل القرن وأسبابها, بالإضافة إلى د ميجان الرويلي في كتابه "دليل الناقد الأدبي" فيه عرض الأدب الإسلامي ونقده ثم انتقل إلى الحديث عن أهم الكتابات المعاصرة وكل ما يتعلق بالأدب من استشراق واستغراب وانحراف معرفي إلى البنيوية والنقد البنيوي والخطاب والسرد.

هذا عن أهم الكتب أما الدراسات الأخرى للأدب نجد أدب محمد شكري بعنوان من الهامشية إلى المركزية ضمن سلسلة علامات بقلم حسن بحراوي، وسلسلة مقالات دراسات أدبية أما الشعر فنجد محمد العياشي في كتاب" الإيقاع الشعري في غناء أم كلثوم" مستهلا ذالك بالحديث عن الأساس الكمي في الإيقاع الشعري للأغنية المصرية. ومن الدراسات التي تناولت الشعر من الناحية الفنية والجمالية الدراسة التي أنجزها الدكتور منذر سلطان في كتابه " البديع في شعر المتنبي": التشبيه والمجاز حيث استطاع في موفى بحثه أن يبين ما تنفرد به تعابير هذا الشعر من خصائص جمالية قلما تجتمع عند شاعر. وغير هؤلاء كثير مثل الدكتور أمجد ريان في كتاب بعنوان" صلاح فضل والنظرية الشعرية" ويسعى هذا الكتاب إلى استعراض أهم جهود صلاح فضل في الدؤبة على مدى زمني طويل أصدر فيه عددا كبيرا من كتب النقد الأدبي التي تتابع تاريخنا الأدبي بداية

من العصور القديمة متدرجة حتى اللحظة الآنية. والدكتور فضل الله ووظيفة الشعر عند النقاد العرب القدامى، فائز العراقي وشعر الإنتفاضة في البعدين الفكري والفني .

بناء على ما توصلت إليه كل هذه الدراسات الأدبية القديمة والحديثة بصفة عامة فقد استطعت الاستفادة مما قدمته للأدب مما جعلني أقدر هذه المسؤولية المنوطة بي في إنجاز بحثي ساعية وراء إبراز قضية نادرا ما تطرق إليها النقاد والباحثين إذ لم يتعدوا المرور على بعض الجوانب منها وهي الغاية من الأدب أهي فكرية إنسانية أو جمالية أو البحث عن الوظيفة التي يؤديها الأدب عقلية فكرية ذات أهداف سامية أو تخدم فقط الشكل والجمالية قصد تشويق القارئ، أينحاز هذا النقد إلى الجمال الفني، فيكون هو شغله الشاغل، من منطلق أن أي تجربة أدبية هي ذات قيمة مستقلة بصرف النظر عن الآثار المترتبة عليها، أم أنه مطالب بالبحث في هذه الآثار، من منطلق أن القيم الفكرية التي تقدمها هذه التجربة، أو تعبر عنها، هي مما لا يمكن تجاهله، لأن الأدب ليس مجرد رسم بالألفاظ، أو هندسة فنية للعبارات، بل لا بد أن ينطوي هذا الرسم وهذه الهندسة على شيء ذي بال؟!

أينحاز النقد الأدبي إلى الجمال أم إلى الفكر أم إلى كليهما معا؟ أي أيتعامل مع طبيعة الأدب أم مع وظيفته، أم مع كليهما؟ وإذا كان الجمال الفني في العمل الأدبي مما يمكن أن يُتفق عليه، أو على الأقل مما لا خلاف بيّناً فيه، أفيكون الأمر كذلك بالنسبة إلى الفكر؟

وليس يخفى على أحد أن البحث معاناة، وجهد يكابدهما كل من خاض تجربة البحث العلمي .

وقد واجهتني بعض العقبات مثل صعوبة الحصول على بعض المصادر والمراجع حيث مجبرة على الاستدلال بأقوال النقاد والباحثين إذ شعرت بأنني مقيدة لا يمكنني أن أدون ما أراه شخصيا وهذا يعطينا انطباعا بعدم إمكانية البحث في أي مجال باعتبار أن كل الدراسات قد تم التطرق إليها ولا تحتاج للإعادة بالإضافة إلى الصعوبة التي تلقيتها في جمع المصادر والمراجع نظرا لقلتها في المكتبة الجامعية ومكتبة المعهد الوطني للبحث في التربية ودور النشر والتوزيع، وحتى في صفحات الانترنيت أين يطلب التسجيل ثم يتعقد الأمر

وضيعت وقتي في الإعادة كثيرا وكل هذه المساعي تتطلب شيئا غير قليل من الجهد.

ولكنني استطعت -بعون الله – ورعاية أستاذي المشرف الذي لم يدخر جهدا في سبيل توجيهي توجيها سديدا وتشجيعي.

في هذا العمل أرجو أن أكون قد وفقت في أدائه بالشكل الذي يستجيب للبحث العلمي ويبرز والدور الذي يؤديه الأدب في مختلف المجالات الثقافية والفكرية والفنية .

وذا كنت أشعر بالراحة النفسية لهذا الإنجاز الذي أتشرف بوضعه بين أيدي السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة فإني آمل أن أستفيد توجيهاتهم وملاحظاتهم للارتقاء بمستواه إلى ما هو أحسن.

أما وقد كان الأمر على هذه الحال، فإن الأصول تدعوني إلى الإشادة والتنويه بجهود كل من ساعدني على إنجاز هذا البحث.

أما أستاذي المشرف رحيم – الذي يرجع إليه الفضل في احتضان هذا البحث منذ أن كان فكرة – فإنني اثني على أسلوبه التربوي في بناء علاقته العلمية بشخصي، حيث ساعدني على تجريدي نفسيتي من كره الشعبة التي أنا أدرسها بقوله بأن العلم لا يهم بأي لغة درسته لأن هذه اللغة لا تجعل من العلم شيئا آخر انطلاقا من هذا استطعت التخلص شيئا فشيئا من تلك العقدة بالإضافة إلى الروح التي لديه حيث يسمع أراء طلبته أثناء المناقشات بكل تواضع بناءا على ذلك هناك مبدأ تربوي أصيل يقول " إننا نتعلم بيسر من الذين نحبهم" كانت توجيهاته الرشيدة ونصائحه القيمة تصنع في عملي صنيع الغيث في التربة الكريمة .ان لبحثي هذا أن عرف النور.

وإنني لا أستطيع – مهما حاولت – أن أفيه حقه من الشكر والتقدير، فجلال صنيعه عن وصف بدق. لهذا، فإنني لا أملك إلا أن أتوجه إلى الله عز وجل ليجزيه عني وعن بحثي خير الجزاء، إنه سميع مجيب" .**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.**"

المدخل
لمحة تاريخية عن الأدب

المدخل

1) تمهيد لمحة تاريخية عن الأدب :

أ - "نشأة الأدب و تطور معناه اللغوي و الإصطلاحي "

ب - الأدب في العصر الجاهلي.

ج - الأدب في صدر الإسلام و العصر الأموي.

د - الأدب في العصر العباسي إلى العصر المعاصر

2) الأدب عند الغربيين

3) الأدب بمعناه العام

4) الأدب في الفكر الإنساني

1 تمهيد لمحة تاريخية عن الأدب :

لولا الأدب العربي لصارت مصر فرعونية، ولولا الأدب العربي لأصبحت بغداد تركية ولولا الأدب العربي لما استطاع أحد منا الآن أن يملأ ماضغيه فجرا بأن له قديما كان جديد العالم، وثقافة كانت عقيدة الشعوب، وعقلية كانت معلمة الأمم، ولولا الأدب العربي وحرصنا عليه واعتدادنا به واستمدادنا منه لوقعنا في العبودية العقلية وهي أشد خطرا وأسوأ أثرا من العبودية الجسمية لا تتعدى الأجسام والحطام والعرض، ومثلها مثل الجسم يرجى شفاؤه متى عرف دواؤه فالأدب يمثل الجزء الروحي من كل إنسان، والقبس الإلهي في كل قلب، والخصية الإنسانية التي تميز بها آدم من كل حي. فكل امرئ في الناس يحب أن يكون أفصح ذي لسان وأبلغ ذي لب، وليس كل إنسان يحب أن يكون طبيبا أو مهندسا أو فيلسوفا أومعلما أو ذا صناعة. وإن الرجل لتستفزه طيرة الغضب إذا جردته من الأدب أو جهلته بمعاريض الكلام، ولكنه لا يرى بأسا ولا غضاضة إذا جهلته بما لا يدخل في علمه ولا يجرى في فنه. وحال الأدب مقياس صحيح لحال الشعوب، فحيثما كثر علاجه ووفر نتاجه ونبل غرضه، دل على سمو الروح ولطف الحس وشرف العاطفة وقوة الإنسانية أما نكد الخواطر وخدر المشاعر وجدب الخيال واجتواء الأدب فهي أمراض المادية وأعراض الحيوانية وشواهد البلادة وآثار المنفعة .

أ - نشأته:

- ✓ **الأدب في العصر الجاهلي :**

لا يمكن تصور أن لفظ الجاهلية غواية وجهلا ضد المعرفة والعلوم كما يعتقد الكثير من الباحثين لأن الجهل لا يوحي بالضرورة إلى الغباء والغوي وخير دليل على ذلك أن أغلب العلوم والفنون ظهرت في الجاهلية و التي تعني فقط السفه والغضب والفوضى"ففي سورة البقرة: {قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} وفي سورة الأعراف}:خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} وفي سورة الفرقان: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا}. وفي الحديث النبوي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وقد عير رجلًا بأمه" :إنك امرؤ فيك جاهلية".

وفي معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي: ألا لا يجهلن أحدٌ علينا .فنجهلَ فوق جهل الجاهلينا وواضح في هذه النصوص جميعًا أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق. وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام، أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة وكل ما كان فيه من وثنية وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرم الدين الحنيف من موبقات 1 وهذا لا يعني افتقار القوم الجاهلي إلى العلوم والمعارف والآداب إذ بالرغم من أننا لم نعش في ذلك العصر إلا إن ذكاءهم وحضارتهم وصلت إلينا من خلال أشعارهم وفلسفتهم السباقة إلى الإبداع الفني بكل جوانبه سواءا القتال، الرقص الذي ترجم من خلال الأفلام التاريخية التي وصلت إلينا نذكر أشهرها فيلم الرسالة حيث شاهدنا في هذا الإنجاز التاريخي العظيم أخطر فنون الرقص وأروع الأغاني التي كانت في العصر الجاهلي ولا ننسى ذلك الشاعر الذي تضرب به الأمثال في الشعر ألا وهو الشاعر المخضرم امرئ ألقيس المعروف في أبياته الشعرية التي تركت انطباعا قويا لدى أغلب قراء الشعر وزهير ابن أبي سلمى في قصيدته المشهورة بانت سعاد والكتب التي وصلت إلينا مثل قصة حي ابن يقضان ولا يمكن أن ننسى أن آلهتهم التي كانوا يعبدونها لا تزال تلاحق ثقافتنا وتقاليدنا مهما تقدمنا علميا وحضاريا ونذكر على سبيل المثال آلهة الحب والجمال باسم فينوس وتكتب بالفرنسية كالتالي : VENUS التي أصبحت ولا تزال شعار لمختلف أدوات التجميل من غسول الشعر وعطور وأدوات التزيين المختلفة والعديدة بالإضافة إلى إله المطر أنزار ثم أصبح أسطورة إلى يومنا هذا تقوم الشعوب بالطقوس من أجل نزول الغيث وأيضا نذكر الرجل الذي كان يدعى نرجس "وأحبته امرأة ولكنه لم يبادلها نفس الشعور وعذبها ووصلت المرأة حافة الموت نظرا لغروره ولكن قبل موتها بقليل استدعت آلهة فينوس لتسليط العذاب على النرجس وعلى كل المحبين فلما ماتت ذهب نرجس ووقف أمام بحيرة عندها رأى وجهه منعكسا في مياه البحيرة واكتشف مدى جماله ثم انحنى (الأستاذ عاشوري درس الأدب الشعبي)

1) (في صفة الجزيرة العربية كتب الجغرافية العربية، وكتاب تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي "طبع بغداد" ج1ص 86 وما بعدها وكتاب تاريخ العرب "مطول" لفيليب حتى "الترجمة العربية" ج1 ص15

وسقطت دمعة من عينه ونبتت في الآن زهرة منحنية انحناء نرجس وأطلق على الزهرة منذ ذلك الحين زهرة النرجس1 وهذا اللفظ حاليا يطلق على عقدة نفسية تدعى النرجسية" ونظرا لما حدث آنذاك أصبح أسطورة بمعنى عشق الذات فكيف يمكن القول بأن العصر الجاهلي عصر الجهلاء بالنظر إلى كل هذه الكنوز العلمية التي وصلت إلينا إذن فلا عجب أن يكون عصرا لانبثاق أشهر الفنون ومن بينها هذا الكنز الذي يدعى بالأدب بكل أنواعه.

فتاريخ الأدب لأمة من الأمم إما أن يلتزم فيه المؤرخ المعنى العام لكلمة أدب؛ فيؤرخ للحياة العقلية والشعورية في الأمة تاريخاً عامًّا، وإما أن يلتزم المعنى الخاص، فيؤرخ للشعراء والكتاب تاريخاً خاصًّا بالأدب ونشأته وتطوره وأهم أعلامه، ولعل أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الأول بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" ونسج على منواله جورجي زيدان في كتابه المسمى بـــ"تاريخ آداب اللغة العربية". ونراهما يعرضان لتاريخ الحياة الأدبية والعقلية عند العرب في نشأتها وتطورها مع الترجمة للفلاسفة والعلماء من كل صنف، والشعراء والكتاب من كل نوع. ومن غير شك يتقدم بروكلمان جورجي زيدان في هذا الصدد بسبب المادة الغنية التي يحتويها كتابه؛ فقد أحصى إحصاء دقيقًا أدباء العرب وعلماءهم وفلاسفتهم مع ذكر آثارهم المطبوعة والمخطوطة وما كتب عنهم قديمًا وحديثًا؛ مبيناً مناهجهم ومكانتهم في الفن أوالعلم، مع نبذة عن كل فن وعلم وما حدث له من تطور ورقي.

وأكثر من أرخوا للأدب العربي وزعوا حديثهم في هذا التاريخ على خمسة عصور أساسية، هي" عصر الجاهلية أوما قبل الإسلام "2" والعصر الإسلامي من مجيئ الرسول، صلى الله عليه وسلم، إلى سقوط الدولة الأموية سنة 132هـــ/ 750م وهو العصر الذي تكونت فيه الدولة العربية وتمت الفتوح الإسلامية. ومن المؤرخين من يقسم هذا العصر قسمين، فهو إلى نهاية عصر الخلفاء الراشدين يسمى عصر صدر الإسلام، وما يليه إلى آخر الدولة الأموية

يسمى العصر الأموي."1 " والعصر الثالث هو عصر العباسيين أو العصر العباسي:

---

1) (زهر الآداب للحصري "طبع مصر" ج1ص 140.

2) في حكام العرب كتاب "المحبر" ص 132

1) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية لكارلونا لينو "طبع دار المعارف" ص14وما بعدها.

أما نشأة الأدب الجاهلي فتعود إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية؛ هذه الحقبة الزمنية، هي التي تكاملت للغة العربية منذ أوائل خصائصها، والتي جاءنا عنها الشعر الجاهلي. ولاحظ ذلك الجاحظ بوضوح إذ قال: "أما الشعر العربي فحديث الميلاد صغير السن، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة. فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام- خمسين ومائة عام، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتي عام"2. وهي ملاحظة دقيقة؛ لأن ما قبل هذا التاريخ في الشعر العربي مجهول، وهناك بعض النقوش عثر عليها علماء الساميات، وتشير تلك النقوش والأخبار إلى إمارات الغساسنة في الشام والمناذرة في الحيرة ومملكة كندة في شمالي نجد؛ من أجل هذا كله نقف بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحدودة أي عند مائة وخمسين عامًا قبل الإسلام، وما وراء ذلك يمكن تسميته بالجاهلية الأولى، وهو يخرج عن هذا العصر الذي ورثنا عنه الشعر الجاهلي واللغة الجاهلية، والذي تكامل فيه نشوء الخط العربي وتشكله تشكلًا تامًّا كما قدمنا في غير هذا الموضع.

ومعنى هذا أن البحث الأدبي يقتصر على فترة من ذلك الزمن الممتد قبل الإسلام, ما نسميه بالعصر الجاهلي, وإنما كان هناك شعر وشعراء, ذلك أن هذا الشعر منذ أقدم نصوصه التي وصلت إلينا قد اكتملت له مقوماته الفنية بدءا من طرائق التعبير, وانتهاء بالموسيقى من وزن وتقفية .

وهذا يعني أنه مرت حقب طويلة قبل أن يستقر للشعر الجاهلي سماته وخصائصه.

وجل ما في الأمر أنه لم تصل إلينا أشعار عن تلك المرحلة المتقدمة.

فنجد في الشعر الجاهلي إشارات إلى شعراء سابقين عبَّدوا طريق الفن, حيث يقول الشاعر امرؤ القيس :

عُوجَا على الطلل المُحيل لأننا نبكي الديار كما بكى ابن حِذام

فامرؤ القيس يأمر صاحبيه بأن يمرا على الطلل لأن من عادة الشعراء أن يبكوا الديار كما بكاها من قبل ابن حِذام .1

---

2) المدارس و الأنواع الأدبية ص 10

1) الحيوان للجاحظ "طبعة الحلبي" 1/ 74.

ونجد في بعض المصادر الأخرى بأن أقدم أدب حي. ترجع نشأته إلى أكثر من ستة عشر قرناً. نشأ في بادية "نجد" شعراً غنائياً في شكل سمي "القصيدة". ويعد امرؤ القيس الذي وصل بهذا الفن إلى ذروة شامخة، من تلاميذ مدرسة نجد. وظلت القصيدة الجاهلية النجدية في شكلها العام، حتى العصر الحديث، مثلاً أعلى يحتذى به. لا نعرف الصور التي تصور المحاولات الأولى، ولكن مدرسة نجد ترجع إلى ماقبل القرن الرابع. وفي القرن السادس، انتشر الشعر من نجد، وقلد في سائر أنحاء الجزيرة، وحمل خصائص محلية، ولكن سلطان المثل النجدي لم يضعف إلا بظهور الإسلام. فعلى أساس هذا الفرض نستطيع أن نتصور أن الشعر العربي مر في بداية رحلته بثلاث مراحل :

أ مرحلة الرجز التي تمثل عصر ما قبل تاريخ الأدب

ب مرحلة المقطوعة التي تمثل بداية عصر تاريخ الأدب

ج مرحلة القصيدة التي تمثل البداية الثانية لعصر تاريخ الأدب وهي المرحلة التي ذهب الجاحظ إلى أنها هي البداية فرجع إلى قرن ونصف أو قرنين على أبعد تقدير) 2.

1- نشأة النثر الجاهلي :

حين نتحدث عن النثر الجاهلي لا نعنّي النثر العاديَّ الذي يتخاطب به الناس في شئون حياتهم اليومية؛ فإن هذا الضرب من النثر لا يعد شيء منه أدبًا إلا ما قد يجري فيه من أمثال؛ إنما الذي يعد أدبًا حقًّا هو النثر الذي يقصد به صاحبه إلى التأثير في نفوس السامعين والذي يحتفل فيه من أجل ذلك بالصياغة وجمال الأداء، وهو أنواع، منه ما يكون قصصًا وما يكون خطابة وما يكون رسائل أدبية محبرة، ويسمي بعض الباحثين النوع الأخير باسم النثر الفني.

وليس بين أيدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولوها، وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة؛ فقد عرفوها، غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية، ومن ثم استخدموها فقط في الأغراض السياسية والتجارية1. ولا ينقض ذلك ما جاء في السيرة النبوية من أن سويد بن الصامت قدم مكة حاجًّا أو معتمرًا؛ فتصدى له رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم،

---

2) .(في أصول الأدب ، ص 3).

1) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة أدب.

حين سمع به، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام، فقال له سويد: فلعل الذي معك مثل الذي معي، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "وما الذي معك؟ " قال: مجلة لقمان، فقال له رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم: "اعرضها عليّ"، فعرضها عليه، فقال له: "إن هذا لكلام حسن والذي معي أفضل من هذا: قرآن أنزله الله عليّ، هو هدى ونور؛ فتلا عليه رسول الله القرآن، ودعاه إلى الإسلام فلم يَبْعُد منه، وقال: إن هذا القول حسن." 2

وهذا الخبر إنما يفيد أنه كان عندهم صحيفة بها بعض أمثال وحكم مما كانوا ينسبونه إلى لقمان، ووجود مثل هذه الصحيفة لا يدل على أنهم استخدموا الكتابة في التعبير عن وجدانهم نثرًا وشعرًا؛ فقد كانت محدودة الانتشار بينهم، ومن التعسف أن نزعم ذلك لمجرد الظن؛ بينما تنقصنا أو تعوزنا النصوص الحسية. ولكن هذا لا ينكر أنه وجدت عندهم ألوان مختلفة من القصص والأمثال والخطابة وسجع الكهان. ومن المؤكد أنهم كانوا يشغفون بالقصص شغفًا شديدًا.

وساعدتهم على ذلك أوقات فراغهم الواسعة في الصحراء؛ فكانوا حين يُرْخي الليل سدوله يجتمعون للسمر، وما يبدأ أحدهم في مضرب من مضارب خيامهم بقوله: كان وكان، حتى يرهف الجميع أسماعهم إليه، كل هؤلاء يتابعون الحديث في شوق ولهفة1 ومن غير شك كان يفيض القَصَّاص على قصصه من خياله وفنه، حتى يبهر سامعيه، وحتى يملك عليهم قلوبهم فيحولهم من الشفقة إلى محبة الانتقام ومن الضحك إلى الجدّ. وعيونهم تلمع في وجوههم السمْر وقلوبهم تخفق من آن إلى آن. وليس بين أيدينا شيء من أصول هذا القصص الذي كان يدور بينهم؛ غير أن اللغويين والرواة في العصر العباسي دونوا لنا ما انتهى إليه منه. وطبيعي أن تتغير وتتحرف أصوله في أثناء هذه الرحلة الطويلة التي قطعتها من العصر الجاهلي إلى القرن الثاني الهجري، وإن كان من الحق أنها لا تزال تحتفظ بكثير من سمات القصص القديم ولا تزال تنبض بروحه وحيويته.1"

" زعموا أن أخوين كانا فيما مضى في إبل لهما؛ فأجدبت بلادهما، وكان قريبًا منهما واد فيه حية، قد حمته من كل أحد؛ فقال أحدهما للآخر: يا فلان، لو أني أتيت هذا الوادي

---

1) زهر الآداب للحصري "طبع مصر" ج1ص 140.

2) المصدر نفسه.

المُكْلى؛ فرعيت فيه إبلي وأصلحتها، فقال له أخوه: إني أخاف عليك الحية، ألا ترى أن أحدًا لم يهبط ذاك الوادي إلا أهلكته، قال: فوالله لأهبطن. فهبط ذلك الوادي، فرعا إبله به زمانًا، ثم إن الحية لدغته، فقتلته :فقال أخوه: ما في الحياة بعد أخي خير، ولأطلبن الحية فأقتلها أو لأتبعن أخي؛ فهبط ذلك الوادي؛ فطلب الحية ليقتلها، فقالت: ألست ترى أني قتلت أخاك، فهل لك في الصلح، فأدعك بهذا الوادي، فتكون به، وأعطيك ما بقيت دينارًا في كل يوم. قال: أفاعلة أنت؟ قالت: نعم، قال: فإني أفعل؛ فحلف لها وأعطاها المواثيق، لا يضيرها. وجعلت تعطيه كل يوم دينارًا؛ فكثر ماله ونمت إبله؛ حتى كان من أحسن الناس حالًا. ثم إنه ذكر أخاه، فقال: كيف ينفعني العيش، وأنا أنظر إلى قاتل أخي فلان؟ فعمد إلى فأس؛ فأحدها، ثم قعد لها، فمرت به، فتبعها، فضربها فأخطأها، ودخلت الجحر، فرمى الفأس بالجبل فوقع فوق جحرها، فأثر فيه؛ فلما رأت ما فعل قطعت عنه2

لم يستطع القصص الذي أضيف إلى الجاهليين أن يحمل صورة واضحة عن النثر الجاهلي كما تمكنت من ذلك الأمثال التي برهنت بصفة واضحة عن كيان النثر في العصر الجاهلي كون الأمثال رغم قدمها إلا أنها تعيش طويلا و تفيد الشعوب في مختلف مجالات حياتهم خاصة في ميدان الحروب التي كانت سائدة وقتئذ وقد ساعد في استمرارية هذه الأمثال الإيجاز وتداولها اليومي من طرف الألسنة وقد سارع العرب إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول للهجرة؛ إذ ألف فيها صُحار العَبدي أحد النسابين في أيام معاوية بن أبي سفيان "41-60هـ" كتابًا كما ألف فيها عبيد بن شَرِيَّة معاصره كتابًا آخر، ويقول صاحب الفهرست: إنه رآه في نحو خمسين ورقة1. وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني وجدنا التأليف في الأمثال يكثر؛ إذ أخذ علماء الكوفة والبصرة جميعًا يهتمون بها ويؤلفون فيها، وقد وصلنا عن هذا القرن كتاب أمثال العرب للمفضل الضبي.

ونمضي إلى القرن الثالث، فيؤلف أبو عبيد القاسم بن سلام فيها كتابًا يشرحه من بعده أبو عبيد البكري باسم "فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام"

والأمثال تتوالى، حتى ألف أبو هلال العسكري كتاب "جمهرة الأمثال" ويخلفه الميداني، فيؤلف كتابه "مجمع الأمثال" وهو يقول في مقدمته إنه رجع فيه إلى ما يربو على خمسين

---

2) في حكام العرب كتاب "المحبر" ص 132

1) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية لكارلونا لينو "طبع دار المعارف" ص14وما بعدها.

كتابًا.

ومن يرجع إلى هذه الكتب يجدهم يسوقون الكلمة السائرة التي تسمى مثلًا، وليس فقط؛ بل يقفون غالبا لسرد القصة أو الأسطورة التي تمخض عنها المثل، تروي في تضاعيفها. وموقفنا من هذه الأقاصيص والأساطير لا يختلف عن موقفنا من القصص الجاهلي؛ فنحن لا نتخذ منها صورة للنثر الجاهلي وإن اختلجت بروحه وطبيعته، لنفس السبب، وهو تأخر تدوينها، أما الأمثال نفسها فمن المحقق أن طائفة كبيرة مما روته الكتب السالفة يتحتم أن يكون جاهليًّا، وخاصة أكثر ما رواه عبيد بن شَرِيَّة، ولو أن كتابه لم يسقط من يد الزمن ووصلنا لاطمأننا إلى ما يرويه خارقة حكيمًا حكمة بالغة.

وقالوا: إنه عاش عُمْرَ سبعة نسور وأن كل نسر منها عاش ثمانيين سنة وكان لُبَد آخرها، وبه ضربوا المثل في طول العمر فقالوا "طال الأبد على لبد 2". ونسبت إلى لقمان في عصور متأخرة طائفة من الأقاصيص أريد بها إلى العظة والاعتبار، سميت أمثال لقمان، وهي مكتوبة بأسلوب ركيك وقد زعم هلر Heller كاتب مادة لقمان في دائرة المعارف الإسلامية أن شخصية لقمان مرت بثلاث مراحل:

"أ" مرحلة جاهلية وفيها يتراءى لقمان عاد الأسطوري الذي يقال إنه عاش عمر سبعة نسور، وكلما هلك منها نسر خلفه نسر آخر، حتى كان لُبَد الذي ذكره شعراؤهم كثيرًا. "ب" مرحلة قرآنية: وفيها نجد للقمان سورة خاصة به في الذكر الحكيم وقد ربط بعض المفسرين بين لقمان هذا وبين بلعام حكيم بني إسرائيل فسردوا له نفس نسبه؛ إذ قالوا إنه لقمان بن باعور1 بن ناحور بن تارخ. "ج" مرحلة متأخرة: وهي مرحلة نسج فيها ولفق قصص كثير حول لقمان كما يصور ذلك كتاب "أمثال لقمان."

وأن "هلر" مخطئ فيما ذهب إليه من هذا التطور لشخصية لقمان، لسبب بسيط، وهو ما قلناه من أن قدماءنا فرّقوا بين لقمان عاد ولقمان القرآن الكريم؛ فهما ليسا شخصًا واحدًا بل هما شخصان، وبينما تعني بالأول كتب الأمثال نجد الثاني تعني به وبوصاياه كتب

---

2) الحيوان للجاحظ "طبعة الحلبي" 1/ 74.

1) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة أدب.

الفقه والتفسير مثل موطأ مالك وتفسير أبي حيان، وقد روى الجاحظ طرفًا من تعاليمه، وهي تطبع بطابع ديني.2

واشتهر في الجاهلية بينهم كثيرون بهذا اللون من الأمثال وما يتصل بها من حكم، يقول الجاحظ" :ومن الخطباء البلغاء والحكام الرؤساء أكثم بن صيفي، وربيعة بن حذار، وهرم بن قطبة، وعامر بن الظرب، ولبيد بن ربيعة3" وأحكمهم أكثر بن صيفي التميمي وعامر بن ظرب العدواني؛ فأما أكثم فكان من المعمرين4، من هذه الأمثال؛ غير أنه فُقد. ولم يحاول من جاءوا بعده أن يفردوا الأمثال الجاهلية من الإسلامية؛ إذ دَرَج أكثرهم على ترتيب الأمثال حسب الحروف الأولى على نحو ما ترتب المعاجم ألفاظها، فهم يرتبونها أو يؤلفونها في تسعة وعشرين بابًا بعدد أبواب الحروف الهجائية5.

وبذلك أصبح من الصعب تمييز جاهليها من إسلاميها في كثير من الأحيان، ومع ذلك قد يورد أصحاب هذه الكتب مع ما يرونه من الأمثال إشارات تدل على جاهليتها وقدمها. وهي تتخذ عندهم طريقين :الطريق الأول: أن يسوقوا مع المثل قصة جاهلية تفسره، أو أن يساق هو في أثناء قصة جاهلية، كتلك الأمثال التي نقرؤها في قصة الزباء من مثل: "لا يطاع لقصير أمر" و"لأمر ما جدع قصير أنفه" و"بيدي لا بيد عمرو". وقد بلغت أمثال هذه القصة عند الميداني ثمانية عشر مثلًا. ومن هذا الطريق ما يتصل بأحداث أو أساطير جاهلية كالذي زعموا أن النعمان بن امرئ القيس اللخمي ابتنى قصرًا له يسمى الخَورنق، بناه له رومي يُسمى سِنمَّار؛ فلما أتمه قال له سنمار: إني أعرف موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله، فقال له النعمان : يعرفها أحد غيرك؟ فقال: لا، فقال: لا جرم لأدَعَنَّها وما يعرفها أحد، ثم أمر به فرمي من أعلى القصر إلى أسفله فتقطع؛ فضرب به الجاهليون المثل فقالوا: جزاء سنمار.

هذا جزء يخص النثر في العصر الجاهلي ونشأته حاولت ما استطعت تقديم أفضل ما عثرت عليه من معلومات غير أن المصادر في أغلبها سيما الباحثين والنقاد لا يتوقفون

---

2) حامد حفني : تاريخ الأدب الجاهلي ، ط 1 ، ص 51

3) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آدا ب العرب ، ط مكتبة الإيمان ، صـــ24

4) تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة أدب.

5) لسان العرب، جمال الدين بن منظور، مادة أدب.

عن التفصيل الممل في دراسة الشعر وحتى المبالغة في ذلك لهذا عثرنا على عدد محدود من المعلومات حول هذا الجزء الذي لا يقل أهمية عن الشعر رغم كونه محور مهم للدراسة لدى أغلب الأدباء فالشعر قد حظي بتعريفات لا بأس بها تتسم بالضبط والإحكام، أما النثر فـــما ورد في حقه من تعريفات لا تتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار الشكل ينقسم إلى خطب ورسائل، وباعتبار اللفظ يتفرع إلى نثر مرسل ومزدوج وسجع.1

ولم يصلنا عن العصر الجاهلي من النثر إلا أقل القليل, ولعل السبب في ذلك يتمثل في الآتي:

- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي, و صعوبة حفظ النثر.
- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
- قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية. 2

وبالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فان الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها:

الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا، النثر المسجوع.

- **الخطـــــابة:**

هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها. وهي من أقدم فنون النثر،لأنها تعتمد علي المشافهة.

- **الرسائل:** يعتبر فن الرسائل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة ازدهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وفيهما انتشر صيته، وهو " فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمقة القوية 1

---

1) أنظر الأمثال في النثر العربي القديم، ص43.

2) انظر معلوف: حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، ص407.

1) تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، مادة أدب.

✓ **المعنى اللغوي للأدب في العصر الجاهلي :**

1 _ أخذ الأدب معاني عدة في هذا العصر غير تلك التي أخذها في العصر الحديث إذ كان يدل على الدعوة إلى الطعام أو الوليمة على حد التعريفات التي وصلت إلينا من مختلف المصادر و إن نقبنا هذه الكلمة أي الأدب فهي بمعنى الداعي إلى الطعام فقد جاء في لسان طرفة ابن العبد (أ)

نحن في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلَى ...لا ترى الآدبَ فينا يَنْتَقِرْ (ب)

ففي مفهوم الأدب لدى أبي الحسن الندوي يرتبط بالمعنى اللغوي والاصطلاحي القديم الذي يوسع من مفهومه، ويجعله مرتبطا بأبعاد خلقية قيمية أصيلة. و الكتاب "نظرات في الأدب" جمع آراء أبي الحسن الندوي في قضايا أدبية ملحة وقدم مفهومه للأدب .2

والجفلى: هي الدعوة العامة، والآدب هو الداعي، وينتقر أي يتخير أو يختار، ومعنى عجز البيت (إنك لا ترى الداعي فينا إلى الطعام يخصص قومًا دون آخرين) ومن ذلك المأدُبة بمعنى الطعام الذي يدعى إليه الناس. واشتقوا من هذا المعنى أدُبَ يأدُب بمعنى صنع مأدبة أو دعا إليها.

وبهذا يفتخر الشاعر بأنهم كانوا يقيمون المآدب في الشتاء، ويجعلونها عامة لكل عابر سبيل إذ أنهم لم يكونوا يختارون من يحضر إلى تلك المآدب. وهذا معنى ضيق جداً، وبعيد كثيراً عن معنى كلمة (أدب) في العصر الحديث. وتدل مادة (أ،د،ب) في المعاجم اللغوية على أصل واحد تَتَفرَّعُ مسائله وتَرجِعُ إليه 1 ومنها: 1- الأدبُ أن تجْمَعَ الناسَ إلى طعامِك ".

2- وهو الأَمرُ العَجَبُ "(2) الذي يسترعي انتباه الناس ويدعوهم إلى التجمع.

3 - وهو قسمان: أدبُ الدرْسِ وأدبُ النفْسِ 1- وهو كل ما كان فيه دعوةٌ إلى المَحَامِدِ ونهيٌ عن المَقَابِحِ"(3) أو هو مَلَكَةٌ تَعْصِمُ من قامت به عَمَّا يَشِينُهُ"(4).

---

2) البيان والتبيين: 1/ 53.ظ

5- وقد يتضمن الأدب معنى الظَّرْفِ وحسنِ تناول الأمُورِ"(5)

6- حسن الأخْلاقِ وفعل المَكَارِمِ"(6)

إن هذه المعاني - على تعددها - ترتد إلى أصل واحد، هو المعنى الخلقي، فالعرب كانت تستعمل لفظ الأدب للدلالة على كل خلق جميل (الكرم، طلب المشورة، حسن التصرف، الكياسة...) ولعل هذا الاستعمال هو الذي شكل نواة الدلالة الاصطلاحية للأدب مع التطور التاريخي الذي خضعت له كثير من مفردات اللغة العربية.

_ **مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة :** قد تطور مفهوم الأدب بتطور الحياة العربية ، بعد أن كان يدل على الدعوة إلى الوليمة و الطعام في العصر الجاهلي ليعرف العرب فيما بعد و عبر الزمن معاني جمة للأدب من أنه الخلق المهذب ، والطبع القويم ، والمعاملة الكريمة للناس ومنها اشتقوا كلمة (أدُّب –يأدُّب) بمعنى صنع طعامًا كما اشتقوا كلمة (المأدبة) وهي الوليمة . (1) وليس وراء بيت طرفة أبيات أخرى تدل على أن الكلمة انتقلت في العصر الجاهلي من هذا المعنى الحسي إلى معنى آخر؛ غير أننا نجدها تستخدم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في معنى تهذيبي خلقي؛ ففي الحديث النبوي: "أدبني ربي فأحسن تأديبي" ويستخدمها شاعر مخضرم يسمى سهم بن حنظلة الغنوي بنفس المعنى إذ يقول

: لا يمنعُ الناسُ منِّي ما أردتُ ولا .....طيهم ما أرادوا حسن ذَا أَدبا2.

وربما استُخدمت الكلمة في العصر الجاهلي بهذا المعنى الخلقي؛ غير أنه لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الظن. وذهب"نالينو" إلى أنها استخدمت في الجاهلية بمعنى السنّة وسيرة

---

1) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ط مكتبة الإيمان ، ص 24

2) نفس المصدر ، ص 27

3) نفسه ، ص 28

4) (حامد حنفي ، تاريخ الأدب الجاهلي ، ط1 ، ص 15

5) رينيه وليك ، أوستين وارين : نظرية الأدب ، تر، محي الدين ، ص 19 .

6) - لسان العرب،مادة أد

1) المعجم الأدبي، حبوز عبد النور، ص 315.

2) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب الجاهلي ، ط 22 ، دار المعارف ص 8

الآباء مفترضًا أنها مقلوب دأب؛ فقد جمع العرب دأبًا على آداب كما جمعوا بئرًا على آبار، ورأيًا على آراء، ثم عادوا فتوهموا أن آدابًا جمع أدب؛ فدارت في لسانهم كما دارت كلمة دأب بمعنى السنة والسيرة، ودلوا بها على محاسن الأخلاق والشيم3. وهو فرض بعيد، وأقرب منه أن تكون الكلمة انتقلت من معنى حسي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معنى ذهني وهو الدعوة إلى المحامد والمكارم؛ شأنها في ذلك شأن بقية الكلمات المعنوية التي تستخدم أولًا في معنى حسي حقيقي، ثم تخرج منه إلى معنى ذهني مجازي.

حيث تحول هذا المعنى الحسي إلى معنى نفسي الذي ينطوي فيه وزن الأخلاق وتقويم الطباع والمناسبة بين أجزاء النفس في استوائها عل الجملة.

✓ **المعنى الإصطلاحي لكلمة الأدب :**

عرف العرب من معاني الأدب أنه الخلق المهذب، والطبع القويم، والمعاملة الكريمة للناس نرى هذا المعنى في النص الجاهلي الذي ورد عند عتبة بن ربيعة، وهو يصف لابنته هند زوجها أبا سفيان، من غير أن يسميه لها، فقد جاء في هذا الوصف " بدر أرومته، وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه". وواضح من هذا النص أن المراد به هو أنه ذو خلق نبيل، وأنه يأخذ أسرته با تباع هذا الخلق النبيل. وفي رد هند بنته مايدل على هذا المعنى أيضاً، إذ قالت: "إني سآخذه بأدب البعل". تريد أنها ستعامله بالخلق الكريم الذي ينبغي أن يعامل به الزوج .

فقد بدأ الأدب وسيلةً للتعارف، ثم أصبح مَوْهِبَةً في التنبؤ بالحقيقة، وفي الدلالة على مَكْمنها، كي يتركَ للفلسفة والعلوم بعد ذلك، أمرَ متابعةِ هذه الحقيقة، وتحديد سماتِها، والوقوف على تفصيلاتها، ومن هنا حقَّ لنا أن نقول: إن أمَّةً لم يمهِّدْ شعراؤها لفلاسفتها وعلمائها، هي أمةٌ بلا فلسفة، وبلا علم، ليس لها مضمار البقاء سوى أنْ تظلَّ عالةً على هامشِ الوجود.

ويؤكد الرافعي أن معنى الأدب الاصطلاحي يستحيل أن يكون جاهليًا ولا من مصطلحات القرن الأول الهجري ، لأن الكلمة لم تجئ في شيء من شعر المخضرمين

3) مصطفى صادق الرافعي ، تاريخ آداب العرب ، ط مكتبة الإيمان ، ص 27

ولا المحدثين، وعلى الرغم أن لهم القوافي الطويلة على الباء وقد استوعبوا فيها الألفاظ إلا مادة الأدب ومشتقاتها مع أن ليس أخف منها عند المتأخرين .(1)

يقر الزَّبيدي نقلا عن الجواليقي في "شرح أدب الكاتب" بالتطور الحاصل في دلالة لفظ الأدب، حيث يقول:"الأدب في اللغة حسن الأخلاق وفعل المكارم، وإطلاقه على علوم العربية مولد حدث في الإسلام"(2)

وهذا ما أكده كثير من المعجميين المعاصرين، ويرجعون ذلك إلى التحولات الجذرية التي عرفها المجتمع العربي الإسلامي " والروافد المنصبة في الحضارة الجديدة، فهو في مدلوله الأبعد انطلاقا من شيوعه على الألسنة، يتضمن معنى العادات والتقاليد والأعراف المتوارثة... والبارز من المتون القديمة أن هذه الكلمة في نموها الزمني وثرائها الدلالي تضمنت معاني لصيقة بالشمائل النفسية، والتربية الرفيعة.. وقد ظل هذا المعنى الخلقي ملتصقا بها خلال مرحلة زمنية طويلة.... ومع ذلك فإن دائرة شمولها اتسعت ابتداء من القرن الأول للهجرة، فتضمنت فضلا عن فحواها التقليدي معنا ثقافيا خاصا"(1) إن هذا المعنى نفسه خضع للتطور كما يفهم من تعريف صاحب الكليات، حيث يقول:"الأدب علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظا أو كتابة"(2) ويذكر من أصوله: اللغة، والصرف، والاشتقاق، والنحو، والمعاني، والبيان ،والعروض، والقافية، فضلا عن فروعه.

ويأخذ الأدب في العصر الحديث دلالة أخص، فهو "علم يشمل أصول فن الكتابة ويعنى بالآثار الخطية النثرية والشعرية، وهو المعبر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة، عن العواطف التي تعتمل في نفوس شعب أو جيل من الناس"(3)

وتبقى هذه الدلالة نفسها غير قطعية ولا نهائية، ومرد ذلك إلى طبيعة الأدب ذاته، وارتباطه بالنفوس البشرية التي من طبعها التغير والتبدل الدائم، ممل يجعل مفهوم الأدب متغيرا بتغير الرؤى والمذاهب التي يعود إليها، فما يعد أدبا عند بعض الناس قد لا يدرجه

---

1) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة أدب.

2) رينيه وليك ، أوستين وارين : نظرية الأدب ، تر، محي الدين ، ص 19 .

1) حامد حنفي ، تاريخ الأدب الجاهلي ، ط1 ، ص 15

2) لسان العرب،مادة أدب

3) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة أدب.

البعض الآخر إطلاقا ضمن دائرة الأدب، وهذا ما يدعو إلى ضرورة تتبع دلالة هذا المصطلح في المتون الأدبية ذاتها، قصد تجنب عواقب الإسقاط المفاهمي الذي قد يؤدي إلى أحكام نقدية مهزوزة وغير مستنده إلى أساس وثيق.

من خلال هذه التعريفات يظهر لنا بأن المعنى الإصطلاحي للأدب في العصر الجاهلي بقي يدور حول المعنى التهذيبي ولخلقي ولم يشرع في التطور الحقيقي لمفهومه الإصطلاحي إلا بعد ظهور الإسلام حيث أصبح الأدب :

الأدب هو الكلام البليغ الصادر عن عاطفة المؤثر في النفوس1.أو التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية, هدفها التأثير, في شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة. وما بعدها.

أو هو الكلام الإنشائي البليغ الذي يُقصد به إلى التأثير في عواطف القراء والسامعين سواء أكان شعرًا أم نثرًا. وتتعدد تعريفات الأدب لاتساعه ولاعتماده على الذوق ولاختلاف توجهات الدارسين له .ثم أصبح بمثابة الكتابة التخييلية بمعنى القصص الخيالي بالفرنسية (fiction) أي الكتابة التي ليست صادقة حرفيا . كما دخلت هذه الكلمة في عدة مصادر للكتب .

وظلت هذه الدلالات المختلفة وطيدة الصلة بالكلمة على مر العصور وتفرعت منها دلالات مختلفة فيما بعد , وفقا لسنة الله في خلقه :فقد أطلقت على الكتب التي تتضمن حكما ونصائح وإرشادات مثل : (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) لابن المقفع. وأطلقت على الكتب التي تتناول التقاليد والرسوم التي ينبغي أن تراعى في أي مهنة, مثل2:(أدب الكاتب) لابن قتيبة وأطلقت على ما يتعلق بالنثر والشعر والبلاغة وعلوم اللغة كما في كتاب(البيان والتبيين للجاحظ وكتاب (الكامل) للمبَرِد.3

ب الأدب في صدر الإسلام :

بعد العصر الجاهلي وعند مجيئ الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد مضي مائة وخمسين سنة على حسب تحديد الجاحظ والدكتور حسين الواد في كتابه في تأريخ الأدب مفاهيم

---

1) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة أدب.

2) - المعجم الأدبي، حبوز عبد النور، ص 315.

3) المرجع نفسه ، ص 319

ومناهج أخذ الأدب منحى أو منعرجا آخر نحو التهذيب و الأخلاق كتاب (تأريخ الأدب)، ومضى عقد ونصف العقد من الزمان ..وشهدت المعرفة بالأدب من ألوان التحول ما هو منعكس _ لا محالة _ على (التأريخ له) بالتهذيب.

نعم كان الشعر ديوان فضائل العرب، وسجل مفاخرها ووسيلة تخليد مآثرها يقول الجاحظ "فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها و تحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال ، و كانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها . 1

ويقول ابن سلام" وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم، به يأخذون وإليه يصيرون") 2 ويؤكد ابن قتيبة مهمة الشعر عند العرب حين يقول" وللعرب الشعر الذي أقامه الله مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا ولآدابها حافظا ولأنسابها مقيدا ولأخبارها ديوانا، لا على الدهر ولا يبيد على مر الزمان وحرصه بالوزن والقوافي وحسن النظم وجودة التحبير من التدليس والتغيير"3

بدأ الشعر يصور التغير الاقتصادي والاجتماعي، الذي نشأ من انتشار الدعوة المحمدية وتكوين الدولة الإسلامية، ففقد الهجاء مركزه الجاهلي كما أصبح بعض الشعراء يؤيدون الدعوة المحمدية ونذكر أبرزهم شاعر يؤيد الدعوة المحمدية ويرد على هجاءهم اللاذع للرسول وهو شاعر االرسول حسان ابن ثابت قال في هجاء أبا سفيان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء

بأن سيوفنا تركتك عبدا وعبد الدار سادتها الإماء

وقال في بيت آخر :

سواءا مدحته أو لم تمدحه فالأمر عندي سواء 4

والشعر في صورته الجديدة، المتمثلة في المناقضة بين الشعراء أو طوائف منهم. الحماسة تكتسي بألوان الاستشهاد الديني، وخاصة عند الخوارج. والغزل ينفرد بقصائد كاملة في

---

1) الكليات، أبو البقاء الكغوي ،ص 68.

2) المعجم الأدبي، جبور عبدالنور،ص 315- 316 .

3) انظر الأصمعيات "طبع دار المعارف" رقم 12بيت 30.

4) تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية لكارلونا لينو "طبع دار المعارف" ص14وما بعدها.

بعض المدن الزاهرة في الحجاز، فيرق أسلوبه باللهجة الحجازية، وبسبب شيوع فن الغناء وتأليف الشعر الغزلي الذي يقصد التغني به. وغزل الحجاز نوعان: نوع قصصي واقعي مرح، يمثله عمر بن أبي ربيعة في مكة، وآخر عذري رمزي حزين محروم، عند الشعراء العذريين في المدينة، مثل جميل والأحوص والمجنون 1 في هذه الفترة يظهر الشعر السياسي، ويتطور الرجز – من مجرد شعر حماسي لاستثارة المحاربين – إلى ميدان استعراض البراعة اللغوية عند" العجاج"، ويصبح الشعر – دون أن يفقد رونقه ولا فنيته – أكثر التصاقاً بحياة الجماعة، مؤدياً لوظيفته الاجتماعية. وهنا يتوافق الشكل مع المضمون، وتعود القصيدة العربية – بعد توقف قصير المدى في أثناء الفتوح- إلى قوتها، وقد تخلصت من كثير من جمود الموضوع في الجاهلية2

نمت القصيدة في العراق والجزيرة، وحمل لواء الشعر في هذه المنطقة جرير والفرزدق والأخطل وذو الرمة، وكان الأخطل أكثرهم تمثيلاً وتنفيذاً للشكل الجاهلي، في شعر الفخر ومدح الأمويين. وصور الفرزدق وجرير فجاجة الحياة البدوية واستعملا الشعر للوصول إلى الثراء، وطورا موضوع القصيدة، وأدخلا فيها تفصيلات من الخلافات السياسية والقبلية، وانتعشت النقائض على أيديهما، وأساسها المفاخرة والهجاء، وركزا مقدرتهما على إبراز معارفهما اللغوية، لإثارة إعجاب مدرسة النقادر اللغويين التي تكونت في هذه الفترة من جامعي اللغة والشعر القديم. وشعر ذو الرمة أمعن في استعراض اللغة، وأجمل في وصف الصحراء تلهب صوره الغزل أحياناً. وبينما كان الشعر الجاهلي يمثل العاطفية والمحدودية، والمستوى الخلقي السامي، كان الشعر الأموي يمثل تضارب القوى، وتصارع المثل في الحياة الجديدة، وخلافات الأحزاب على الخلافة والحكم. وفيما عدا الغزل الذي ظل في مستواه المثالي، فإن الموضوعات الأخرى تنزل إلى مستوى الحياة اليومية .جمعت دواوين شعراء هذا العصر، إما في حياتهم أو مباشرة بعد مماتهم. وشعر هذا العصر أكثر الشعر العربي

---

1) الساميون)1 تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج1 ص 148 وما بعدها وتاريخ العرب مطول لفيليب حتى ج1 ص8 وما بعدها ومقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر "الطبعة الثانية" ج1 ص115 وج2 ص 232-306.

2) - عز الدين المناصرة / الأعمال الشعرية.

القديم صحة، من حيث النص أو نسبته إلى الشاعر. 1

ولقد قسم العصر الإسلامي إلى عدة عصور أخرى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عصر عباسي وآخر أموي والعهد العثماني مرورا بحملة نابليون على مصر وبداية النهضة العربية إلى غاية القرن التاسع عشر الذي عرف تطورات وتحولات في مختلف مجالات الحياة العامة خاصة النهضة الأدبية ولكن قبل الولوج في الحديث عن هذه النهضة فسوف أقف أولا على حال الأدب في العصور المختلفة التابعة للعصر الإسلامي مستهلة في ذلك بالعصر الأموي .

أدى قيام الدولة الإسلامية إلى ظهور أدب إسلامي يغاير في كثير من خصائصه الأدب الجاهلي، بيد أن قصر حقبة صدر الإسلام 2 (40هـ) لم يتح لهذا الأدب أن يمد جذوره وأن تتضح سماته الجديدة، فلما كان العصر الأموي أتيح لهذا الأدب الجديد أن يزدهر وأن تتضح قسماته، وساعدت على هذا التطور عوامل كثيرة سياسية واجتماعية ودينية .3

وأبرز المؤثرات في الحياة الأدبية عصرئذ كانت السياسية ،أدت الأوضاع السياسية للدولة الأموية إلى بروز شعراء سياسيون امثال :

الكميت بن زيد الاسدي ، ت سنة 126ه

همام بن غالب (الفرزدق)، ت سنة 114ه

السيد الحميري، شاعر عاش في العصرين الاموي والعباسي، توفي سنة 173ه

الكميت بن زيد، واشتهر بقصيدته البائية ومن المعها :

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

الفرزدق: لقد اشتهر في قصيدته الميمية في حق الامام علي بن الحسين عليه السلام، يقول :

---

1) لسان العرب،مادة أدب.

2) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1918، ص5.

3) أبو العلاء المعري / الديوان.

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم 1

✓ **الخصائص الفنية للشعر في العصر الأموي:**

- الألفاظ جزلة وسهلة وعذبة رقيقة
- الاعتماد على التصوير رغبة في إبراز الأفكار والمعاني.

_ بناء القصيدة كان على طريقة الجاهلين في تعدد أغراض القصيدة

أ **الموسيقا :** التزم الشعراء نظام الوزن الواحد والقافية الواحدة.

- التأثر بألفاظ القرآن2.

ب الكتابة في العصر الأموي:

تقدم النثر في العصر الإسلامي على الشعر لنزول القرآن نثراً وكذلك الحديث الشريف وقد استمر ازدهار النثر في العصر الأموى، وتعددت فنونه نظرًا لتعدد الأحزاب السياسية في هذا العصر وشدة الصراع بينها، وحاجة كل حزب إلى متحدثين بارعين في فن القول يؤيدون مبادئه ويهدمون مبادئ غيره 3

ج الأدب في العصر العباسي :

أما شعر العصر العباسي - الذي تبدأ خصائصه في الظهور منذ أواخر العصر الأموي (منتصف القرن 8) – فإنه يمتاز بأنه شعر حضري وبأنه قد ساهم فيه لأول مرة شعراء ليسوا عرباً خلصاء، وكان فحوله من الموالي. وقد أثرت هذه الظاهرة الأخيرة في النثر أكثر من الشعر. وظل الوزن والشكل دون تغيير. وحصر بحور الشعر الخليل بن أحمد (1791)، فتجمدت منذ ذاك. 1

---

1) (د . مريم البغدادي ،مدخل لدراسة الأدب ، ص 28)

2) تاليف الشاعر العراقي فالح الحجية ، كتاب الموجز في الشعر العربي ، الموسوعة العربية

3) - عز الدين المناصرة / الأعمال الشعرية.

1) بقلم : عباس المناصرة / ناقد إسلامي

لكن اللغة رقت عن لغة البادية، مع احتفاظ تام بالمستوى الفصيح. ولما أوى الشعر إلى بلاط الخلفاء، الذين رعوا الشعر والشعراء، اتخذت القصيدة شكلاً رسمياً مسجلاً، وأصبح هذا الشكل وحده مجال تنافس الشعراء بسبب تمسك الخلفاء بثقافتهم العربية، وبسبب ميل فطري في العرب عامة إلى المحافظة على القديم، ولهذا أصبح مجال التجديد نسبياً. ولكن بالرغم من صرامة الشكل والموضوع، فقد حدث في المعالجة التفصيلية للموضوعات التقليدية، تغيرات تنوع المدح والهجاء، ولكن الغزل كان أطوع في التجديد، فلقد حمل آثار الحجاز في الرقة والغنائية إلى سوريا، حيث تطور على يد الخليفة الوليد بن يزيد2، وعندما اختلط بشعر الخمر ووصف مجالس الشراب جاء إلى العراق مع مطيع ابن اياس، ليجد مجالات للتطور في مجالس المجون في البصرة وبغداد، حتى في قصور الخلفاء، وذخر بالصور الجديدة، والروح الماجن الساخر، والحوادث الوقعية البعيدة عما ألف العرب.

✓ **خصائص الشعر:**

اتسع مجال القول على صعيد الشعر والنثر في أدب العصر العباسي، تبعاً لاتساع مناحي الحياة وتشعبها في هذا الطور المتألق من حضارة العرب.3 فتكاثرت الموضوعات التي تناولها الشعراء فضلاً عن الأغراض الشعرية التي نظموا فيها. من ذلك توسعهم في وصف مشاهد الطبيعة المختلفة، مثل وصف الربيع لأبي تمام وللبحتري وكذلك ما وصف به أبو الطيب المتنبي شعب بوان في بلاد الفرس. 4

وأوغل شعراء هذا العصر في وصف الأيك والحمائم، والرياض والحياض، والأزهار والثمار،حتى حفلت دواوين البحتري وابن الرومي وأبي بكر الصنوبري وأمثالهم بهذه الأوصاف الجميلة التي انطوت على التشبيهات الطريفة والألوان البهيجة. وقد عني أبو بكر الصنوبري (ت334هـ/945م) بوصف الحدائق والبساتين، والورود والرياحين، حتى اشتهر بأشعاره (الروضيات)، وهو يشير إلى هذا المنحى الأثير لديه في قوله:

---

2) انظر ديوان طرفة "طبعة آلوارد" القصيدة رقم 5 بيت 46

3 حامد حفني : تاريخ الأدب الجاهلي ، ط 1 ، صـ 51

4) حامد حفني : تاريخ الأدب الجاهلي ، ط 1 ، صـ 132

وصف الرياض كفاني أن أقيم على وصف الطول، فهل في ذلك من بأس1

وفي الوقت نفسه التفت شعراء العصر العباسي في أحوال قليلة إلى شؤون تتصل بحياة عامة الناس بعيداً عن بلاط الخلفاء وقصور الأمراء. ومن الموضوعات الجديدة على هذا الصعيد الشعبي وصف ابن الرومي لبسطاء الناس وكادحيهم، وما كان يمتاز به بعضهم من براعة في مهنتهم، كوصفه للخباز وللحمال وقالي الزلابية، في مقطعات شعرية حافلة بالصور الطريفة.2 وغلب على جانب من الشعر فكر الفلاسفة وعلماء الكلام، واقتحمته ألفاظهم واصطلاحاتهم، كالجوهر والعرض والشك واليقين، مثل شعر أبي العتاهية الذي ينم على آثار المانوية الفارسية وعقيدتها الثنائية: لكل إنسان طبيعتان خير وشر وهما ضدان

وكل شيئ لاحق بجوهره أصغره متصل بأكبره

أما النثر فلم يتوطد إلا بفضل الكاتب المنشئ عبد الله بن المقفع) ت142هـ/759م) بعد أن تسلم شعلة هذا الفن من صديقه الناثر الرائد عبد الحميد الكاتب، الذي لقي مصرعه في إثر الثورة العباسية، ولم يقيض له المضي إلى شوط أبعد في هذا المضمار. فقد تجلى فن النثر في أدب الرسائل أول الأمر في نهايات العصر الأموي وبدايات العصر العباسي، فكتب ابن المقفع رسائله على غرار رسائل عبد الحميد، وهي مقالات طوال تتناول موضوعاً معيناً، لعل أشهرها «رسالة الصحابة» أي في آداب الصحبة والمعاشرة والسلوك .

- ✓ **خصائص النثر الفنية:**

على صعيد الأسلوب في نثر العصر العباسي فقد اغتنت ملامحه وتنوعت أنماطه. فقوام التعبير عند ابن المقفع مشاكلة اللفظ للمعنى، مع توخي الاقتصاد في الألفاظ والوضوح في المعاني إذ البلاغة عنده «هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها»، فكان همه جلاء الفكرة وإيصال المعنى، ولهذا لم يكن يلوي على صنعة أو تنمق ولا وشي أو تزيين. غير أن السنين التي أعقبت ذلك حملت مع التعقيد

---

1) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير "طبع القاهرة 1311هـ" ج1 ص3.

2) الحيوان ، ط 1 ، ص 71

الحضاري ما يوازيه من التعقيد الأسلوبي، على غرار ما كان أيضاً من حال الشعر، فطالت العبارة لتكون أقدر على استيعاب الفكرة، وحل الإطناب في القول محل الإيجاز المعهود. وحرص الكتاب على أن تتسربل جملهم فيما بينها بإيقاع الازدواج أو التوازن، من مثل ما جنح إليه سهل بن هارون (ت215هـ/830م) والجاحظ، أول الأمر، ثم ما زاد فيه أبو حيان التوحيدي، وما استكثر منه ابن العميد (ت360هـ/830م)، والصاحب ابن عباد (ت385هـ/995م).2 و من أعلام النثر نجد ابن المقفع والجاحظ وابن قتيبة وأبو الفرج الأصفهاني وابن العميد وأبو حيان التوحيدي وبديع الزمان الهمذاني والحريري". 1

وفي الختام: نستطيع أن نقول: إن الأدب الإسلامي هو تصوير الحياة والإنسان والكون في صورة فنية مُلتزمة بفلسفة الإسلام للجَمال، فعلينا أن نهتمَّ بهذا الأدب حق الاهتمام؛ لبثِّ الإسلام وانتشاره في العالم كله مُلتزمًا بالخصائص المذكورة أعلاها، والله وليُّ التوفيق، والهادي إلى سواء السبيل.

2 الأدب في العصر المعاصر(الأدب بمعناه العام) **:**

تعددت تعاريف الأدب تعدد المدارس والدراسات التي تتناول الأدب من مختلف جانبه ومن أهم هذه التعريفات التي وإن امتدت جذورها إلى العصور البدائية الأولى إلا أن اختلافها لا يمكن إخفاؤة والذي سيظهر جليا خلال هذه التعريفات.

اتسعت دلالة هذا اللفظ فيما بعد لتعني "الأخذ من كل شيء بطرف" فلفظ الأدب صار يطلق على من يجيد طائفة من المعارف والثقافات، ولفظ الأدب يعني كل المعارف التي ينبغي أن يجيدها الأديب، وقد أُلفت طائفة من الكتب تتناول الأدب بهذه الدلالة مثل كتاب" أدب الكتاب" لابن درستويه، و" أدب الكاتب " لابن قتيبة وحسن بن سهل يعدد الآداب العشرة جامعا فيها بين الرياضة والعلوم والفنون والآداب. على أنه ما لبث لفظ " أدب ". أن استخدم بدلالته الفنية وأريد به المأثور من النظم والنثر "

غير أن جميع المعاني السابقة لا تعدو أن تكون معاني وبسيطة للأدب، ربما هي أقرب إلى الدلالة اللغوية، حيث عمق الدارسون البحث في معنى الأدب في ظل تطور الفكر

---

1) مدخل لدراسة الأدب ، ص 5

الإنساني الحديث لنجد أنفسنا أمام تعريفات عدة1

أ تعريف الأدب في اصطلاح الدارسين :

من العسير الوصول إلى تعريف دقيق ومحدد للأدب، ذلك أن الأدب مرهون بجوانب متغيرة، فهو واحد من الفنون المرتبطة بالنفس الإنسانية من جهة، وبحاجات البشر وتصورهم للحياة وقضاياهم فيها من جهة ثانية، وكما أن النفس الإنسانية متذبذبة بين حالة وأخرى فإن وعي الإنسان بالحياة مختلف باختلاف الزمان والمكان.

سنجد للأدب تعريفات عدة ينطلق فيها كل تعريف من زاوية معينة في فهم الأدب، ويسعى نحو غاية محددة، وإذا كنا نقول: إن اختلاف الغاية يؤدي إلى اختلاف الوسيلة فإن هذا ما سنجده فعلاً حين نعرف الأدب بأنه كافة الآثار اللغوية التي تثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو أحاسيس جمالية.

فالتعريف السابق يركز على طبيعة الأدب اللغوية، لكنه واسع فضفاض يمكن معه أن ندخل في الأدب نصوصاً ذات طبيعة فلسفية أوتاريخية، فهو يركز على البعد العاطفي للأدب لكنه يهمل عناصر أخرى2.

يعرف الأدب بأنه صياغة فنية لتجربة بشرية.

وهذا التعريف موجز مقتضب لا يحدد مادة الأدب اللغوية ولا غايته،وربما يلفت انتباهنا فيه اهتمامه بمفهوم التجربة التي يستمد منها الأديب تجربته التي يعبر عنها، فليس بالضرورة أن يكون مقصودنا بالتجربة ما يعيشه فعلاً، وإنما تتعدد مصادر التجربة الإبداعية لتشمل جميع المصادر التي يستقي منها الأديب خبرته وعارفه في الحياة، وبالتي يمكن تحديد مصادر التجربة الإبداعية في الآتي:

١ - **التجارب الذاتية** : وهي ما يعيشه على المستوى الشخصي.

٢-التجارب التاريخية : الأديب يعمل في التاريخ خياله دون التقيد بالجزئيات والبواعث فهو يستطيع اختيار من التاريخ تجارب جمة يحيلها إلى أدب خصب فهو بدوره يحدد الدوافع الأخلاقية والاجتماعية وعلى هذا النحو استطاع شكسبير أن يعيد خلق الشخصيات الإنسانية الخالدة مثل هاملت وبوليوس قيصر ومكبث وغير ذلك .

---

1) مدخل لدراسة الأدب ، ص 7

2) طبقات الشعراء ، ط 1 ، ص 24

٣- التجارب الإنسانية : ويقصد بها كل تجربة في ثقافات البشر المختلفة، سواء أكانت معاصرة أم تاريخية.

٤ -التجارب الخيالية والأسطورية، وهي ما يتقمصه الأديب على مستوى خيالي منطلقاً فيه من أصول حقيقية، إذ يتخذ من الخيال مادته الإبداعية حيث يعكس ما لا يستطيع أن يعيشه في الواقع على شكل فن أدبي .

٥ -التجا رب الاجتماعية : ويقصد بها كل تجربة يستمدها الأديب من الوسط الواقعي الذي يعيش فيه أو يستقيها من محيطه الإجتماعي فهو يعكس ما يعانيه المجتمع من بؤس وحرمان في قالب أدبي مليئ بالحركة والدينامية .

يعرف الأدب بأنه تعبير عن الحياة مادته اللغة. وهذا التعريف يركز عل ربط الأدب بالحياة، فيجعله متأ ثرا بها ،ساعياً إلى تمثيل ذلك التأثر في عمل أدبي. لكن لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الأدب ينقل إلينا الحياة نقلاً حرفيا، وإنما يتم ذلك من خلال عدسة الأديب ورؤيته للحياة، فالأديب أشبه ما يكون بالمرآة، وتبعاً لاختلاف الأدباء تختلف المرايا، بين مقعرة ومحدبة بل حتى في درجة التقعر بين مرآة وأخرى1.

الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية والتجربة البشرية تشمل التجربة الشخصية وهي الأحداث التي تمر في حياة الأديب من مباهج ومسرات تبعث في داخله إشراقة الأمل إلى محن وآلام تفجر فيه ينابيع الأدب بينما ينتظر ستويفسكي تنفيذ حكم الإعدام كان يقص ويحلل مشاعر المحكوم عليه بالإعدام كذلك الفرد دي ميسه كان يقص محنته وآلامه في حبه الفاشل وهيامه لجورج صاند .

التجارب الأسطورية :

وهي تجارب تتحدث عن موقف الإنسان من قوى الطبيعة والآلهة الخيالية التي منها يقدر الأديب اتخاذ هياكل لأدبه.

وفي ختام موضوع تعاريف الأدب نعود لنقول أنها لا تنتهي عند هذه الحدود بل عرف تعريفات ليس لها نهاية نظرا لعدم ثبوت الباحثين والدارسين عند تعريف شامل حيث

---

1) مدخل لدراسة الأدب ، ص 13

عرف الأدب بأنه تعبير عن الحياة وسيلته هي اللغة، أنه نقد للحياة بمعنى نقد حياة الأديب وحتى المجتمع وأنه ذاتي وموضوعي ...إلى غير ذلك من التعريفات التي لا تحصى .
يوضح لنا هذا التعريف الأخير مهمة الأدب وعمله الرئيسي كما يوضح لنا أهدافه. ومن كل هذه التعريفات نخرج بنتيجتين آلا وهما: الأدب تعبير عن حقيقة وواقع أنسانيين كما يمثل التعبير الجميل وهي التي تحقق الرضا والمتعة الحسية لدى المتلقي وبهذا يكون الأدب كلاما مثقفا، مهذبا وممتعا.1

3 – الأدب عند الغربيين :

منذ ولوجنا هذه الدنيا ونحن نسمع بالأخص لدى العجائز لفظا متداولا في أوساط مجتمعنا يدعى "الرومية" وكان يطلق على اللغة وفي نفس الوقت المرأة الفرنسية بيد أن هذا اللفظ في الحقيقة لا يشير إلى الفرنسية كما كان يتصور لدى الأغلبية الساحقة وفي نظر هذه الأخيرة أن اللفظ يرمز إلى الاستعمار الفرنسي الذي ما ترك بقعة مغربية إلا واستعمرها ولكن الحقيقة أن تلك الكلمة أو اللفظ إنما يرمز إلى أولى الحضارات المستعمرة لكل شمال إفريقيا أو شبه الجزيرة العربية قديما ألا وهي عاصمة إيطاليا روما ربما يتساءل البعض لما تطرقت لهذه الكلمة سأجيب قائلة بأن هدفي هو إظهار مدى تأثر الشعوب العربية والإفريقية بهذه الحضارة أي الحضارة الرومانية وبالتالي بثقافتها وآدابها باعتبارها المنشأ الأول للأدب، كون المصدران الرئيسيان للأدب يتمثلان في:
أولا الحضارة اليونانية الرومانية كما أشرنا سابقا أما الثاني فيتمثل في الكتاب المقدس.
بدأت النهضة الأوربية في إيطاليا منذ أوائل القرن الخامس عشر، ولم يتسع انتشارها إلا بعد مضي قرن ونصف عليها، إذ كانت مسيرتها بطيئة في فرنسة وألمانية وإنجلترا، ومع إطلالة عصر النهضة في إنكلترة بلغت اللغة الإنكليزية بداية مرحلة الحداثة؛ وأصبحت لغة مختلفة عن لغة العصر الوسيط، ومع هذا فقد تطورت اللغة الإنكليزية في هذا العصر لتصبح لغة الأدب.ولكن اللاتينية ظلت مهيمنة على الحياة الفكرية. ويدعى هذا العصر في

---

1) د.شفيق بقاعي، د. سامي هاشم ، المدارس و الأنواع الأدبية ، ص 8،9،10
راجع في تعريف الأدب النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة و العلم لمحي الدين صبحي
و أنظر : عمر الدقاق ، الحضارة العربية ، المجلد 1 ، ص 625 .

إنجلترا أيضاً بالعصر الإليزابيثي نسبة إلى الملكة إليزابيث الأولى مع أن النهضة في الأدب والفن بدأت قبل توليها العرش واستمرت بعد وفاتها وتولي الملك جيمس الأول العرش من بعدها.

يمتد عصر النهضة في إنجلترا على مدى ثلاثة قرون منذ أواخر القرن الخامس عشر حتى القرن السابع عشر. ومع أن المؤرخين يقسمون هذا العصر إلى عدة حقب في إنجلترا بحسب الملوك والحكام الذين توالوا على العرش خلال ثلاثة قرون، إلا أن التيار الأدبي الذي ساد كان واحداً تقريباً وهو العودة إلى الاتباعية القديمة التي تمثلها الحضارة اليونانية والرومانية. وانتشر بهذا مذهبا يجد في الإنسان مركزاً للكون وطاقة مستقلة بحد ذاتها .شهد هذا العصر تطوراً ملحوظاً في حياة المدن التي جذبت إليها ما صار يسمى بالطبقة الوسطى، وأدى تحرر الفرد من تبعية الكنيسة والإقطاع التي سادت في العصور الوسطى إلى انطلاقه في هذا العالم بحرية البحث والتفكير، حتى صارت الحرية الفردية موضع الاهتمام الأول عند الأديب، ولم يعد الأدب وقفاً على طبقة النبلاء، بل صار من أولويات الحياة عند أبناء الطبقة الوسطى، ومن هنا بدأ الاتجاه نحو الواقعية والتركيز على النواحي الروحية لدى الأفراد العاديين بدلاً من الاهتمام بسير النبلاء، وصارت الصبغة الإنسانية لدى الفرد العادي هي التي تميز صورة البطل في أدب العصر.

وقد تميزت الحقبة الأولى من هذا العصر، وهي حقبة آل تيودور قبل مجيء الملكة إليزابيث الأولى، بتأثير أكبر للحضارة الاتباعية وتحرر مفاجئ من تبعية الكنيسة الكاثوليكية،وقد سبب هذا الانفصال المفاجئ عن الكنيسة بعض الفوضى والضياع وعدم الاستقرار، ولكن ما لبثت إنجلترا أن بدأت تنعم بالحرية، وبدأت تتطور إلى بلد تجاري مستقل. وبدأ يظهر تأثير مذهب الإنسانية في الحياة بعيداً عن سيطرة الكنيسة. ولكن في ذلك الوقت كان الاعتماد في الأدب على الاقتباس والترجمة من الأدب الإيطالي والفرنسي، فترجم ويات وهنري هوارد السونيتات الإيطالية، وتميز توماس إليوت(Thomas Elyot) وتوماس مور في مجال الكتابة النثرية، وظهرت عدة محاولات لترجمة الكتاب المقدس إلى الإنكليزية أدت في البداية إلى إعدام بعض الكتّاب مثل تيندل Tyndale ومور إذ كانت هذه المحاولات من المحرمات.أما المسرح فكان في

البداية امتداداً لمسرح العصور الوسطى، إذ بقيت المسرحيات الدينية والأخلاقية منتشرة حتى الحقبة الإليزابيثية1 ..

ومن المعروف أن أزهى عصور الحضارة الرومانية،كان انعكاساً لمنجزات الحضارة اليونانية. لذا كانت الحضارة الرومانية جسراً بين الحضارة الغربية ومنها الإنكليزية والحضارة اليونانية التي سادت من القرن الخامس إلى القرن الثالث قبل الميلاد. وقد ورث الأدب الإنكليزي من حضارتي اليونان والرومان عالماً زاخراً من الأساطير والأحداث والصور التي مازالت تغنيه حتى الوقت الحاضر. ظلت الدراسات اليونانية واللاتينية إلى عهد قريب موضع اهتمام الصفوة من رجال العلم في جامعتي أكسفورد وكمبردج بوجه خاص، والجامعات الأوربية بوجه عام. وكم من أديب إنكليزي بدأ حياته الأدبية بدراسة التراث الاتباعي (الكلاسيكي) قبل أن تتفتح موهبته الفنيّة في الأدب المحلي. ومن هنا نشأت الحاجة إلى الرجوع إلى المصادر الاتباعية من أجل تذوق العمل الأدبي. وتكفي، مثالاً من بين عشرات الأمثلة، رواية أوليس Ulysses لجيمس جويس (James Joyce) وقد استفاد الأدب الإنكليزي من المصدر الآخر، وهو الكتاب المقدس ومن المعروف أن الترجمة الإنكليزية للكتاب المقدس التي صدرت عام 1611 برعاية ملك إنجلترا جيمس الأول قد تركت أثراً بيّناً في الأدب الإنكليزي. ومع وجود ترجمات أقدم من تلك فإن الكتّاب الإنكليز تأثروا بترجمة سنة 1611 التي أسهمت كثيراً في تكوين اللغة الأدبية عند الأجيال اللاحقة. ومن أهم ما استمدوه من هذا المصدر الديني ما عُقد على صلة الفرد بربه وبأفراد مجتمعه، تلك العلاقة التي تحدد مكانة الإنسان في هذا العالم، والتي تقضي بأن الفرد إنسان ناقص يحاول جاهداً الوصول إلى الكمال؛ والتقرب من ربه من أجل أن يحقق الخلاص بعد أن كتب عليه أن يعيش بذنب السقوط في هذه الدنيا.وقد استبدت هذه الفكرة بعقول المفكرين والأدباء الأوربيين قاطبة2.

---

1) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

2) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

ويمكن من الناحية التاريخية تقسيم الأدب الإنكليزي إلى أربعة عصور رئيسية من غير أن يخضع هذا التقسيم إلى أي ثوابت تجعله نهائياً أو مطلقاً، تحمل أحياناً اسم لغة غالبة أو حاكم مشهور أو كاتب مرموق أو خاصية أدبية معينة أو ما يوجز الخواص الرئيسية لأحد العصور. ويمكن تقسيم هذه العصور الأربعة إلى حقب تاريخية على النحو التالي:

1ــ العصور الوسطى (450 _ 1500 -م) :

وتقسم إلى حقبتين بارزتين بحسب اللغة الغالبة في كل منهما، وهما حقبة الأدب الإنكليزي القديم (450 (1066 -التي غلبت فيها اللغة الأنكلوسكسونية، وحقبة الأدب الإنكليزي الوسيط (1066 (1500 -التي غلبت فيها اللغة الإنكليزية الوسيطة.

2ــ عصر النهضة (1500 _ 1660) م:

ما دام الأدب يعنى بالظاهرة الثقافية فنجد من الصائب أن تعود نشأته إلى النهضة الثقافية الغربية ومن ثم العربية متأخرا أو متقهقرا بسبب الحروب المتتالية وسلسلة الإستعمارات التي عرفتها البلاد العربية و("البحث في نشأة الأدب مسلك يتحكم في التصنيف في تاريخ الأدب كل التحكم، يستدعي في ذلك الرجوع بالنشأة إلى خليط عجيب من النفسانيات الاجتماعيات الوقائعيات تحف بالأدباء المبدعين وتنزع بهم إلى الفاعلية في إنتاج ما أنتجوا، وتحويل مواطن الاهتمام، وأي العلاقات نعتد به، حينئذ، من علاقات الأدب بالتاريخ ما دامت البنى والأشكال لا تسلم إلى البنى والأشكال إلا في صيغ متعالية لا يتميز فيها السبب ؟)"

ويمكن تقسيم هذا العصر إلى حقبة آل تيودور(1557 -1500) Tudor Age والحقبة الإليزابيثية Elizabethan، نسبة إلى الملكة إليزابيث الأولى (1558-1603) والحقبة اليعقوبية (1603 – 1625) Jacobean نسبة إلى الصيغة اللاتينية من اسم الملك جيمس الأول .Jacobus والحقبة الكارولينية (1625 – 1649) نسبة إلى الملك شارل الأول Charles وحقبة الكومنولث التي حكم فيها كروم ويل ((1660 -1649) Cromwell والتي تعد نهاية عصر النهضة.

3ــ عصر الاتباعية الجديدة (1660 _1798 -م) :

ويقسم إلى حقبة إعادة الملكية (1660 _ 1700 م) والحقبة الأغسطية(1700 _ 1798 م) ومرحلة التمهيد للإبداعية (الرومانسية) أو عصر جونسون (1745 _ 1798) م

4ــ العصر الحديث (من 1798 إلى الوقت الحاضر) :

وينقسم هذا العصر إلى الحقبة الإبداعية (1798 ــ1832) والعصر الفيكتوري (1833-1901) والحقبة الإدواردية (1901 _ 1914) وحقبة الحداثة (1914 _ 1939) والحقبة المعاصرة, .

العصور الوسطى : تؤلف العصور الوسطى حلقة وصل بين سحر العالم القديم والنهضة الأوربية .وترجع أهمية هذه العصور في التراث الأوربي إلى انتشار المسيحية وظهور الإقطاع بين الشعوب التيوتونية Teutonic والكلتية التي قطنت شمالي أوربة وغربيها، مما أدى إلى تحول ملحوظ في قيمها الحضارية. ويتصف أدب هذا العصر بالقصص الإبداعية والمغامرات والبحث عن الروح والحب المثالي؛ تلك الموضوعات التي بدأت تطغى على سيرة الأبطال المحاربين والأساطير الموروثة من العهد القديم.

وينقسم هذا العصر في بريطانية إلى حقبتين تميزهما اللغة: حقبة الأدب الإنكليزي القديم الذي كتب باللغة الأنكلوسكسونية التي تنتمي في أصلها إلى لهجات الشعوب التيوتونية، وحقبة الأدب الإنكليزي الوسيط الذي كتب بلغة تطورت عن الأنكلوسكسونية، ودخلتها عناصر من الفرنسية الوسيطة ذات الأصل اللاتيني بعد اجتياح النور مندبين Norman لإنجلترا عام 1066. وكان النورمنديون ينتمون إلى الشعوب التيوتونية وحضارتهم فرنجية، وقد حملوا معهم هذه الحضارة المتقدمة آنئذ فأثرت تأثيراً إيجابياً في الأدب الإنكليزي. وقد خضع الأدب الإنكليزي القديم إلى تأثير حضارتين:الحضارة الوثنية التي ارتبطت بالأنكلوسكسونيين، والحضارة المسيحية التي أتى بها المبشران أيدان Aidan أوغسطين Augustine إلى منطقتي نورث مبرية Northumbria وكنت Kent نحو عام 597م. ويظهر هذا التأثير جلياً في ملحمة «بيوولف Beowulf «الشعرية التي تعد أول ملحمة وأول عمل يكتب باللغة الإنكليزية القديمة وتتألف من 3182 سطراً، ويعتقد أنها تعود إلى القرن الثامن الميلادي، إلا أن أحداثها تدور في القرن السادس في اسكندنافية، ويصور فيها الشاعر المجهول قيم الشجاعة والفروسية والخلود المتأثرة بالحضارة الوثنية والقيم الأخلاقية المسيحية أيضاً. وتدور أحداث القصة حول بيوولف

البطل الذي خلص ملك الدنمارك هرثغار Hrothgar من وحش يدعى غرندل Grendel بعد معارك دامية مع الوحش وأمه. وهذه الملحمة هي الملحمة الإنكليزية الوحيدة التي وصلت كاملة إضافة إلى بعض الأشعار البطولية والقصائد الغنائية الشعبية Lyricsباللغة الإنكليزية القديمة التي كان ينشدها شعراء أو مغنون في قصور النبلاء على أنغام موسيقى القيثارة في أثناء المآدب الفخمة. ومن أمثال هذه القصائد «نواح الزوجة و الجوال The Wanderer)) والبحار The Seafarer وقد اتصف الشعر آنذاك بالإيقاع الحر وحركة التشديد المنتظمة والأشعار غير المقفاة وغنى الصور. واشتهر في هذا المجال الشاعر كادمن Caedmon الذي عاش في القرن السابع، والشاعر كين وولف Cynewulf الذي عاش في القرن التاسع، وكتب قصائد "الخروج" Exodus و داني يل Danielوسفر"التكوين Genesis".

أما في مجال النثر فقد كُتب الكثير من الحوليات والعظات الدينية باللغة اللاتينية، ولم تبدأ الترجمة إلى اللغة الإنكليزية القديمة حتى القرن التاسع حين ترجم الملك ألفْرِد King Alfredالكثير من الأعمال إلى اللغة الإنكليزية، ولم تتطور كتابة النثر باللغة الإنكليزية حتى القرن الحادي عشر في كتابات إيلفريك Aelfric ولفستان Wulfstan اللذين اشتهرا بكتابة العظات الدينية ومع انتصار النور مندبين على الأنكلوسكسون عام 1066 في معركة هيستينغز انفتح الأدب الإنكليزي على القارة الأوربية ، وصار هناك تأثير واضح في الكتابة وتنوع في استخدام اللغة، فقد بقي البلاط يستخدم الفرنسية وبقيت الكنيسة تستخدم اللاتينية وبقي الشعب يتحدث الإنجليزية فظهرت كتابات في اللاتينية والفرنسية والإنكليزية. ويعد كتاب "تاريخ ملوك بريطانية" (1135) HSTORY OF THE KINGS OF Britainالذي كتبه الكاهن(حفري مونموث في أهم ما كُتب باللاتينية، وهو يصور تاريخ الملوك الأبطال على نهج أسطورة «الملك آرثر واعتماداً على هذا الكتاب نظم بعض الشعراء من أمثال حفري غايمار Geoffrey Gaimar وروبرت ويس Robert Wace أشعاراً بالفرنسية عن الملك آرثر، مثل قصيدة ويس «رومان دو بروت (1205) .

التي نقلت إلى الإنكليزية وصارت أول ما كتب بهذه اللغة عن أسطورة الملك آرثر لتظهر روح العصر والنزعة الوطنية لتجسيد أعمال أبطال البلاد الأصليين1.

هذه الإنجازات قامت كلها بفضل تلك الحرية المتاحة بعد زوال الإمبراطوريات الغربية السابقة, حيث اعتبرت الديمقراطية وحرية التعبير أحد مميزات الحضارة الغربية الحالية والتي تميزهم عن جيرانهم الشرقيين 2 .

بالمقارنة مع عدة ثقافات أخرى, فإن الثقافة الغربية ترفع مرتبة الفرد وتحترم حقوقه. على كل حال يبقى هذا المفهوم غير مطبق بشكل عملي ويبقى نظريا. لكن وبمجرد اختلاف آراء الفرد ومطالبه عن مصالح المجتمع ككل, تم تفسيرها بطريقة غير مفهومة أو خاطئة مما يجعل قبول الفرد بين بناء المجتمع يبقى معلقا بنتيجة تقبل أحدهما أفكار الآخر. وقد تغير هذا الوضع عند مختلف طبقات المجتمع, وكنتيجة عن ذلك ظهرت العديد من الحركات الاجتماعية والثقافية التي أثرت في المجتمع والتي بقيت حية حتى الوقت الحاضر.

يقوم المجتمع الغربي بتشجيع الأفراد على الابتكار والإبداع والتعبير عن آرائهم بحرية, مما يؤدي إلى تطور الفنون وعلوم التبانة بشكل واضح. علاوة على ذلك, تشجع الرأسمالية إيديولوجية الأفراد بشكل كبير وذلك في كل الدول الغربية تقريبا .

ويعد الأدب من الخصائص الثقافية والفنية التي تميز الحضارة الغربية من حيث الشكل و الأصل. الرقص, الموسيقى, الفنون البصرية, القصص, الروايات, فن العمارة والعلوم الإنسانية, كلها قد عبر عنها بطرق مميزة لهذه الحضارة.

وبما أن الملاحم التاريخية مثل المهابهاراتا وإلياذة هوميروس تميز العصور القديمة والمعروفة حول العالم, يعتبر أدب الرواية من أنواع سرد القصص الحديثة التي نشأت في الغرب في فترة أعوام 1200 حتى 1750. "أوبرا الصابون" قد نشأت في الولايات المتحدة في مطلع الثلاثينات, وتعتبر شكل تقليدي لفن السرد القصصي الذي كان تذاع على

---

1) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

2) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

الراديو ثم نقلت على التلفزيون, وتعتبر أول شكل من أشكال المسلسلات الحديثة, وسميت بهذا الاسم نسبة لشركات التنظيف والصابون التي كانت ترعى العمل الفني آنذاك. ازدهر فن الأغنية المصورة أيضا في الغرب في منتصف الثلاثينيات.

وقد بدأ الأدب الإنكليزي يدخل عهداً جديداً ممهداً لعصر النهضة حين أدخل وليم كاكستون William Caxton الطباعة إلى إنجلترا عام 1476، فظهرت الحوليات والترجمات من اللغات الفرنسية واللاتينية وكتبت أعمال نثرية كثيرة منها تعليمية ومنها تاريخية .ومن أبرز المؤرخين في هذه الحقبة الانتقالية إضافة إلى توماس مور جون سطو John Stow ووليم كامدن .William Camden وظهر بعض الشعراء الأوائل الذين اقتبسوا من تشوسر منهجه أمثال وليم دنبار William Dunbar الذي اشتهر بقصيدته الحالمة "الدرع الذهبي" (1503) ، وغافين دوغلاس Gavin Douglas صاحب قصيدة قصر الشرف (1501)، وتوماس ويات وهنري هوارد1 . وقد كتب توماس ويات قصائد غنائية كثيرة ولكن أهم ما قدمه للأدب الإنجليزي هو استخدامه للشعر الحر المرسل Blank Verse في ترجمته للإنيادة لفر جيل (1554) ثم ظهر شعراء اهتموا بشعر الهجاء الذي كان موجهاً إلى البلاط ورجال السياسة، وأبرز الشعراء في هذا المجال جون سكيلتون (1460 _1529) John Skelton الذي كان لا يكف عن هجاء رجال البلاط، وقد اشتهر بقصيدته «فيليب سابرو. ولعل أهم ما تميزت به العصور الوسطى، وخاصة في النصف الثاني من الحقبة هذه، هو نشوء المسرح الإنجليزي وتطوره الذي ابتدأ في الكنيسة بمشاهد مسرحية مأخوذة من الكتاب المقدس كانت تُمثل في باحة الكنيسة في أثناء القداس أو بعد الصلاة في المناسبات الدينية المهمة التي أطلق عليها اسم المسرحيات الدينية Liturgical وقد تطورت فيما بعد ومهدت السبيل لعدة أنماط من المسرحيات اتخذت طابعاً جماهيرياً أوسع، وصارت وجهاً من وجوه الاحتفالات الدينية العامة، وأطلق على هذه الأنماط مسرحيات المعجزات Miracles والمسرحيات الأخلاقية Moralities وكانت تعرض في ساحات المدن الرئيسية وفي بعض الحانات وبهذا مهدت السبيل لمسرح

---

1) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

عصر النهضة الذي اقتبس الكثير من مسرح العصور الوسطى ولكنه فاقه عراقة وعظمة2.

✓ **المعنى اللغوي و الاصطلاحي لكلمة الأدب في الحضارة الغربية :**

إن المعاني التي توحي بها لفظة أدب حديثة الظهور نسبيا، ففي اللغة اللاتينية توجد لفظة LITTERATURA وهي نسخة من اللفظة اليونانية GRAMATIKE لكنها لم تكن تعني عند سيشرون CICERON بعد إلا المعرفة بفن كتابة الحروف. وبعد ذلك أصبح هذا اللفظ يدل على علم الأدب وثقافة الأديب بل ظروفه كلها ؟ وهذا هو المعنى الذي عرف عن هذا اللفظ في بداية القرن الثامن عشر، إذ كان فولتيرVOLTAIRE يؤكد أن لشبلان CHAPELAIN أدبا واسعا. وقد استعمله عدة كتاب بهذا المفهوم حتى نهاية القرن التاسع عشر. ويبدو أن أول تحول في معنى هذه اللفظة قد حدث في ألمانيا خاصة عندما نشر ليسينغ LESSING ابتداءا من 1759 ففي تلك الرسائل لم تعد لفظة أدب تعني المعرفة الكتبية فقط بل أصبحت تعني الإنتاج الأدبي للسنوات الحديثة مع العلم أن لفظة LITTERAIRE مشتقة من المصدر نفسه وطرأ عليها التطور نفسه ولم يعد الأفراد هم المقصودون بها بل أصبح الإبداع مقصودا كذلك. ولا يخفى علينا الطابع البيبليوغرافي الواضح في هذا المجال فمازال اللفظ الدال على الأدب في بعض اللغات كالألمانية يستعمل أحيانا للدلالة على البيبليوغرافيا. وهذا اللفظ لم يقتصر فقط على الأدب إنما أضيفت إليه عدة معان ابتداءا من عام 1770م . فإذا استعمل مقرونا بصفة فهو يدل على مجموع الإنتاج الأدبي لبلد ما أو لفترة ما و إذا استعمل وحده فهو يدل على الإنتاج في حد ذاته:

ومن هنا لم تبق إلا خطوة واحدة ليصبح هذا اللفظ يدل على النشاط الأدبي عموما. لقد قامت بتلك الخطوة السيدة دي ستاييل DESTAEL حين نشرت كتابها " في الأدب منظورا إليه من علاقاته بالمؤسسات الاجتماعية " (1800م) .

عندما استعمل لفظ الأدب تقريبا بكل المعاني التي نعطيها إياه اليوم ولذا فلم يعد عندنا أدب بل صناعة للأدب ودراسة للأدب.

---

2) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

لقد بدأ مفهوم الأدب يحل تدريجيا محل مفهوم الآداب الجميلة الذي كان مستعملا حتى ذلك العصر بوجه عام. ولكن لا بد من وجود الكثير حتى يكون محتواهما واحدا فأولا يهيمن أساسا على الآداب الجميلة نوعان هما : البلاغة والشعر، وقد يكون هذا الشعر ملحميا أو غنائيا أو دراميا، ولم يكن النثر القصصي فيها إلا مكان ضئيل وغير معتبر، بينما ظهر الأدب، بالعكس في الوقت الذي فرضت فيه الرواية نفسها. وكانت الرواية في بدايتها على الأقل منفتحة الأمر الذي جعل الأنواع العامية تدخل ضمنها وهي مقروءة ومحبوبة من طرف السلطة في تلك الفترة، والأدب منذ القديم نتج عن توسيع الثقافة المكتوبة على الجماهير . ويمكن القول إن الفرق الأساسي بين الأدب والآداب الجميلة هو أن الأول يملك بعدا اجتماعيا وليس جمالي فحسب. إن هذا الاتجاه موضح جيدا بعنوان مؤلف السيدة دي ستاييلDESTAEL التي كانت الوريثة الثقافية للإخوة شليغل SCHLEGEL وأيضا لمونتيسكيو MONTESQUIEU فجعلت من الأدب محصولا لروح العصر والروح الوطنية وسنجد وجهة النظر هذه مطورة في المفهوم الإيطالي للأدب المحدد بالعرق والبيئة والزمن.

ومن ثم فإن الأدب ظهر كمفهوم تطوري يتغير محتواه حسب الأوضاع التاريخية. بينما تمثل الآداب الجميلة إطارا ثابتا مرتبطة بقيم ثابتة كالحقيقة والجمال والسمو.

وأيضا هناك تاريخ للأدب بينما لا يمكن أن يكون للآداب الجميلة إلا الوصف.

إنه لمن الصعب الإحاطة بمفهوم الأدب، فاللفظة ذاكرة دلالية معقدة، فهو يحمل في الوقت نفسه ميراث استعمالاته القديمة واستعمالات الآداب الجميلة التي تخلى عنها: ولم يعد الأدب يستعمل بمعنى " ثقافة المتأدب" مع العلم أن بعض العبارات – وإن كانت متجاوزة – مثل " مغذى بأدب جيد" لم تختف بعد من اللغة. إن الأدب يمكن أيضا أن يستخدم للإشارة إلى وضعية " المتأدب" والكاتب خاصة بدرجة سلبية. أحيانا كما نقول مثلا " إن الأدب لا يطعم صاحبه "1 لكن الأدب بصفة عامة هو جهاز الإنتاج الأدبي. عالم الآداب

---

1) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

المغلق. وبالرغم من أن استعماله في تقهقر إلا أنه مازال لهذه اللفظة تلوين نخبوي بارز2.

مهما تحدثنا عن نشأة الأدب فلا يمكننا أن نقول كل شي كون هذا الموضوع جد واسع للعدد الهائل من الحضارات واللغات لهذا قدمنا لمحة عن ذلك في الغرب ونترك المجال للأكثر أهمية ألا وهو الأدب العربي ابتدءا من الجاهلي إلى عصرنا الحالي إذن دعنا نتحدث عن نشأة الأدب الجاهلي وخصائصه .

4 – الأدب في الفكر الإنساني :

ميّز الله الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل. والعقل هو مركز التفكير. وأياً كانت اللغة أو الوسيلة التي يستعملها الفرد، فهي تنتقل إلى العقل ليحلّلها ويفسّرها.

ولقد ساوى الله بين جميع البشر أن زوّدهم بهذا الجهاز المدهش، ودعاهم إلى توظيفه في حياتهم، باعتباره أداة للتعلّم تلازمهم طيلة حياتهم. كما شجّع على التعلّم في كثير من الآيات. " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (آية 9، سورة الروم) ونبه إلى القدرات الكبيرة للعقل، الذي لا حدود للمعرفة لديه: "... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (آية 85، سورة الإسراء)

وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أنّ الإنسان لم يستعمل سوى جزءاً قليلاً من قدراته العقلية، وأن المجال أمامه واسع لتعلّم المزيد. كما أنها دعوة عامة لمواصلة البحث والتعلّم، لجميع البشر في كلّ زمان ومكان. والعلم لا يتم إلا بالتعلّم . والذي يعني التفكير. والتفكير يقود إلى الإبداع.

"... وفي أنفسكم أفلا تبصرون"(آية21، سورة الذاريات)"... الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار" (آية 191، سورة آل عمران)، لماذا يدعونا الخالق إلى التفكير؟ وهل هناك إبداع مهما بلغت درجته، يصل إلى إبداع الخالق في كلّ ما خلقه؟!

---

2) روبير إيسكاربيت.ROBERT ESCARPIT الأدب و الأنواع الأدبية ، تر طاهر حجار ، ط1، 1985 م. عنوان الكتاب الفرنسية كالتالي: literature ET genres littéraires

راجع الأدب الانجليزي.نشأة الأدب الانجليزي.مصادر الأدب الانجليزي.المكتبة الأدبية العالمية.

حسين الواد ، تأريخ الأدب مفاهيم و مناهج ،ص 8).

أليس التفكّر في ما خلق الله دعوة إلى التفكير الإبداعي؟

ولما كان التفكير مطلباً أساسياً في تقدّم الإنسان وتطوّره منذ بدء الخليقة حتى نهايتها، كان لا بدّ من مواكبته لكل عصر من العصور. وإذا ما تأملنا الثورة التقنية العلميّة في عصرنا الحالي، وحاجتها إلى البحث والتقدّم، تحتّم علينا أن نفكّر جدياً في تطوير القدرات المبدعة عند الأفراد منذ المراحل المبكرة في حياتهم. وهذا الأمر يتطلب تطوير المناهج التعليمية باستمرار، وأن تتبنى المؤسسات التربوية تنمية مهارات التفكير وتحفيزها والارتقاء بها، باعتبارها وسيلة لتحقيق غايات ملحّة، كما أن التغيير السريع الذي يشهده العصر ما هو إلا مقدمة لتطوّر أسرع وأشمل، ينتظ المستقبل. حيث ستقوم الآلات والعقول الالكترونية بالأعمال الروتينية، وتترك للإنسان الأعمال الإبداعية، وهذا يتطلب منا أن نغير أسلوب تفكيرنا، بحيث يُؤهلنا إلى التعامل مع علوم المستقبل وإبداعاته1 ومنها الأدبية بصورة خاصة

فنحن نعاني من الكثير لكننا لا نجيد التعبير إلا عن القليل.. فالمعاناة تتفاعل في وجدان المفكر فيقبلها بعقله, فتصهر فؤاده حتي يكاد يذوب, وتمزق أحشاءه من الداخل حتي تكاد تنفطر, لكنه بعد تعبيره عن مكنونات النفس, نجده قد استسلم للسكون والاسترخاء, فتغمره السكينة, ويشعر بالارتياح.فالتعبير عن مكنونات النفس إما أن يكون شعرا ينظمه الشاعر في قصائده, أو نثرا يسطره الأديب بأسلوبه, أو لوحة يرسمها الفنان بريشته أو تمثالا يشكله النحات بزميله, أما إذا كان التعبير فكريا فغالبا ما ينطق به المفكر بلسانه, أو ينطلق به يراعه فيثري الإنسانية بقرائحه, فإذا عبر المفكر بنظم شعري أو بتعبير نثري, كان ما عبر به المفكر أدبا, وهنا يتم اللقاء بين المفكر والأديب.1 وما دام الفكر ومعه التفكير ينسب بصورة حتمية إلى الإنسان فلا عجب أنه كنز الطاقات الإبداعية الذي لا ينضب، فكم من أمة نمت وتطورت بفضل الاستثمار الأمثل في تربية عقول أبنائها،ويشدد المربون على ضرورة الاهتمام بعمليات التفكير وتنمية مهاراته بوصفها الثمار الحقيقية للتعليم2،

---

1) زينب حبش ، التفكير الإبداعي، أمين بسرّ لجنة التربية والتعليم ، وزارة التربية والتعليم العالي ، سنة 2005 .

1) د. انور ماجد عشقى ، ثقافة و فنون ، ص 1

2) عطية، 2009 ،ص 176

3) إبراهيم، 2004 ،ص 41) .

4) دكتورة نعمات أحمد فؤاد، كتبت يوما في الأدب ، النقد، الفكر، الفن ص 2

وأصبحت المهارات ذات العلاقة بالتفكير مثل مهارات التفكير الناقد والإبداعي وحل المشكلات وإتخاذ القرا رات مهمة جدا في حياة الفرد بصفة عامة والمبدع بصفة خاصة إذ تساعدهما في تعاملهما مع مشكلات الحاضر والمستقبل.

فمثلا التفكير بلغة العلاقات بين الأشياء المختلفة يساعدهم على إدراك الروابط بينها3 (أديب يعيش قضايا قومه ...يطرحها ويذود عنها، مفكرا 4 .

وبهذا الأسلوب في قرض الأدب فقد مهدوا السبيل لإثراء الشعر كونه من أهم أجزاء الأدب باعتبار أفلاطون رائد نظرية المحاكاة الذي يعتبر أول من ربط بين الشعر والمرآة، لأن هذا الربط كان يخدم غرضه في تصور الشعر انعكاسا لظاهر العالم الحسي بعيدا عن العالم العقلي وإغنائه وتنوير فكره. ومن خلال التأريخ والتطور لمعنى كلمة الأدب الذي عرضناه تتجلى لنا العديد من العلاقات الوظيفية للأدب خاصة بينه وبين الفكر وفي نفس الوقت وظيفته الفنية التي تظهر بصفة واسعة في الشعر حين يتعلق الأمر بالغزل والرثاء والمدح

أما الفكرية فتتجلى في الشعر أيضا والنثر مثل الخطابة فما نوع هذه العلاقات وكيف يتم هذا الربط بينها أي العلاقات والوظائف .

---

1) د. انور ماجد عشقى ، ثقافة و فنون ، ص 1

2) عطية، 2009 ،ص 176

3) إبراهيم، 2004 ،ص 41) .

4) دكتورة نعمات أحمد فؤاد، كتبت يوما في الأدب ، النقد، الفكر، الفن ص 2

الفصل الأول
التعريف بالمصطلحات
الأدب، الجمالية والفكر

الفصل الأول

التعريف بالمصطلحات

1 مفهوم الأدب بصفة عامة

أ – الأنواع والأقسام الأدبية

ب – الأجناس الأدبية

ج – الخصائص الأدبية

د – الصعوبات التي واجهت الدراسات الأدبية

علاقته بالحياة الإجتماعية والفنية الثقافية

2_ مفهوم علم الجمال لغة واصطلاحا

أ - أنواعه

ب - أهم نظرياته

ج - علاقته بالأدب والفنون الأخرى

3 مفهوم الفكروانجازاته الإبداعية

4- علاقته بالأدب والإبداع والجمال

مقدمة الفصل الأول :

ونحن نتداول كلمة الأدب بفرعيه الشعر والنثر وتدور ألسنتنا دورانا واسعا لكثرة اطلاعنا على آثاره الشعرية والنثرية، حتى ليظن كل منا أنه ليس في حاجة إلى من يحدثه عن الأدب أو يعرفه به، وكأنه يماثل بعض الظواهر الطبيعية التي نبصرها بأعيننا كظاهرة الضوء مثلا، ولكن هذه الظاهر الطبيعية ليس من المستحيل تحليلها بأدق التفاصيل بعكس الأدب الذي يحمل سحرا في طيات نصوصه بحيث كلما نوشك أن نصل إلى الحل عاد

وكأنه باطن يصعب الوصول إليه ولأن الأدب يخاطب العاطفة والعواطف غالبا ما تكون غامضة غير واضحة لقد سماها علماء النفس ولكن تحليلها إلى عناصرها لا يزال شاقا عسيرا، فنحن إنما نلاحظ ما يصحبها من بعض المظاهر المادية كالضحك والعبوس

واصفرار الوجه واحمراره، أما هي نفسها فلا نستطيع أن نسبر أغوارها . 1

إذن فنحن نتحدث بالحديث وندون العبارات ونكتب الجمل والمشاعر والأحاسيس والآهات والكلمات فنعلن للملأ بأن مانكتبه أدباً ونكتب في أقسام الأدب سواء في المنتديات أو في المجلات الأدبية المتخصصة ولكن هل يا ترى الكلام الأدبي له قالب خاص يميزه عن غيره من الكلام العامي المستشري بين بني البشر؟

وهل الأدب له قواعد ومعالم ورؤى لكي نستطيع أن نقول عنه بأنه قالب أدبي.؟

وهل من يكتب الكلمات ويدون العبارت هو بالفعل أديب ؟

فما هو الأدب من وجهة نظر القارئ والمتابع لهذا ؟

أود أولا أن أبين وجهة نظر الغرب حيال التعريف اللغوي للأدب مما اشتقت و من أي لغة وفي أي تاريخ و على ما تدل هذه الكلمة عندهم ؟

في هذه المعالجة وددت أن أبين وجهة نظر اللغة العربية للأدب متى أطلق عليه هذا اللفظ ولماذا سمي أدبا ولم نطلق عليه لفظ كلاماً مرتباً أو منمقاً مثلا، فدعونا نسرد واقع الأدب وتعريفه من قديم الزمان إلى وقتنا الحاضر مستلهمين المعنى الحسي واللفظي لما يطلق عليه لفظ الأدب..

---

1) كان 15 (-نظرية الأدب، ص61.)

والأدب مرآة تعكس حياة المجتمع وتشخص خصائص المميزة، والأدب العربي قديمه وحديثه ترجمان هذه الأمة العريقة ولسان حالها، وهو لا يختلف في جزء منه عن الصحافة والإعلام في عصرنا الحاضر، والنص الذي نقترحه عليك يعالج علاقة الأدب بالحياة عامّة وبالشعب خاصّة. وما دام الشعر من أهم أجزاء الأدب فدعونا نستدل على هذا التعريف باعتبار أفلاطون رائد نظرية المحاكاة الذي يعتبر أفلاطون أول من ربط بين الشعر والمرآة، لأن هذا الربط كان يخدم غرضه في تصور الشعر انعكاسا لظاهر العالم الحسي بعيدا عن العالم العقلي، فبالنسبة إليه أن كل ما يحتاج إليه الشاعر هو أن يأخذ مرآة ويديرها في جميع الاتجاهات، والفن عنده مجرد مرآة عاكسة، وكما أن أي فرد قادر على أخذ مرآة وبإدارتها في جميع الاتجاهات فيرى ما يشاء، كذلك الفنان عمله كعمل المرآة لا أكثر، وفي هذا الشأن يقول أفلاطون: "(إن الفن أيسر سبيل إلى تقديم صورة سطحية للعالم بأكمله، فالفنان يدعي لنفسه القدرة على محاكاة كل شيء، أما السبيل إلى ذلك فهو أن تأخذ مرآة وتديرها إلى كل الجهات فإنك في الحال تصنع الشمس وكل ما في السماوات والكواكب والأرض وتصنع لنفسك وغيرك من الناس، والحيوانات والنباتات والأواني 1 ."

1 الأدب بمعناه العام :

إن الأدب صورة ومادة، ما في ذلك شك، ولكن صورة الأدب كما نراها، ليست هي الأ سلوب الجامد، وليست هي اللغة، بل هي عملية داخلية في قلب العمل الأدبي لتشكيل مادته وإبراز مقوماته. ونحن لا نصف الصورة بأنها عملية، مشيرين بذلك إلى الجهد الذي يبذله الأديب في تصوير المادة وتشكيلها، بل لما تتصف به الصورة نفسها في داخل العمل الأدبي نفسه، فهي حركة متصلة في قلب العمل الأدبي، نتبصر بها في دوائره ومحاوره ومنعطفاته، ونتنقل بها داخل العمل الأدبي من مستوى تعبيري إلى مستوى تعبيري آخر حتى يتكامل لدينا البناء الأدبي كائنًا عضويًا حيًا. وبهذا الفهم الوظيفي للصورة تتكشف أمامنا ما بينها وبين المادة من تداخل وتفاعل ضروريين. فمادة العمل الأدبي ليست بدورها معاني- كما يقول عميد الأدب والمدرسة القديمة -بل هي أحداث، لا من حيث

) 1 محمود أمين العالم :بين السياسة والأدب، محمود غنايم ، ص 127 .

أنها أحداث وقعت بالفعل، ويشير العمل الأدبي إلى وقوعها، بل هي أحداث تقع وتتحقق داخل العمل الأدبي نفسه، ويشارك التذوق الأدبي في وقوعها وتحققها، وهي بدورها عمليات متشابكة متفاعلة يفضي بعضها إلى بعض إفضاءً حيًا، لا تعسف فيه ولا افتعال . والصورة- في الحقيقة -هي جماع هذه العمليات المفضية وهذه الحركة النامية المتجهة في داخل العمل الأدبي بين أحداثه لإبرازها وربطها بالعناصرالأخرى التي يتكامل بها البناء الأدبي. وعلى هذا فالمعاني وحدها قيم متحجرة لا تصلح مادة للعمل، بل هي وسيلة من وسائله المختلفة لتحقيق أحداثه وخلق ارتباطاته الكاملة. 1

ومن ثمّ يلخص العالم وأنيس رؤيتهما النقدية في نهاية أحد مقالات الكتاب، نذكر من خلاصته ما يلي:

1 . إن مضمون الأدب في جوهره أحداث تعكس مواقف ووقائع اجتماعية.

2 . إن الصورة الأدبية أو الصياغة عملية لتشكيل هذا المضمون وإبراز عناصره وتنمية مقوماته.

3 إن الأدب بناء متراكب ينمو نموًا داخليًا ويصوغ واقعًا اجتماعيًا صياغة متسقة.

الأدب ليس قواعد جامدة، أو صيغاً معزولة عن الحياة والواقع، أو خطباً وعظية تثقلها النصوص والأحكام، ولكنه صور جميلة نامية متطورة، تتزيَّن بما يزيدها جمالاً وجلالاً ،ويجعلها أقوى تأثيراً وفاعلية، ولا يستنكف هذا الأدب أن يبتكر الجديد النافع الممتع، فالحياة في تجدد وتطور، وكذلك الإنسان وأساليب حياته العملية والعلمية والترفيهية، على أن يظل أدبنا في نطاق القيم الأصيلة، ملتزماً بجوهرها وغايتها. 2 الأدب أدب الضمير الحيّ، والوجدان السليم، والتصور الصحيح، والخيال البنَّاء، والعواطف المستقيمة. لا ينجرف إلى انحراف نفسي، أو اعتلال شعوري، أو مرض فلسفي تفشَّت جراثيمه في الماء والهواء والفنون والأفكار والسلوكيات ذلك هو مفهومنا الشامل للأدب :

---

1) محمود أمين العالم :بين السياسة والأدب، محمود غنايم ، ص 127 .

2) مجلة مجمع اللغة العربية ، هيئة التحرير: شليمان جبران ، إبراهيم طه

تعبير فني مؤثر نابع من ذات مؤمنة مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرِّكٌ للوجدان والفكر، ومحفِّزٌ لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما . 1

- إنه صياغة لغوية جمالية مؤثرة تعبر عن التجربة الإنسانية، يتأثر بالواقع المعاش، ويرصد ما يخلفه من أثر في نفس الأديب، بحيث يكون قادرا على إمتاع المتلقي وإدهاشه وهذا يؤكد طبيعة الأدب اللغوية، وخاصيته الجمالية، ويوسع مفهوم التجربة لتتسع لكل ما هو (ذاتي شخصي وما هو موضوعي عام)، كما يقر بعلاقة الأدب بظروف الزمان والمكان الذي يُكتب فيه، إضافة إلى اهتمامه بجانب المتعة أو الأثر الذي يحدثه الأدب دون اقتصار على نقل الخبرة الإنسانية فقط. على أن هذا التعريف يراعي جوانب العملية الأدبية، فيشير إلى طبيعة الأدب) صياغة لغوية (وإلى مبدع الأدب) نفس الأديب (وإلى متلقي الأدب(إمتاع المتلقي) كما عرف الأدب كالتالي: (الأدب تعبيرٌ راق عن المشاعر والأفكار والآراء والخبرة الإنسانية.) وهو في معناه العام يشمل كل ما كُتب عن التجارب الإنسانية عامة، ويشمل أيضًا الكتابات المختلفة من معلقات العرب وملاحم الإغريق وما سجله المصريون القدماء، وكذلك روايات نجيب محفوظ، ومغامرات ماركو بولو، ومسرحيات وليم شكسبير، ومقامات الحريري ورحلات ابن بطوطة والكتب الهزلية والسير الذاتية وما إلى ذلك.

أما الأدب بمعناه الضيق، فله أنماطه المختلفة. فقد تقرأ أدبًا كُتب بلغة ما، مثل الأدب الفرنسي. وقد ندرس كتابات تتناول شعبًا، مثل أدب الهنود الأمريكيين. وقد نتحدث في كثير من الأحيان عن أدب حقبة معينة من الزمن، مثل أدب القرن التاسع عشر الميلادي مثلاً، هذا ويمكن أن نشير إلى أدب يتناول موضوعًا معينًا مثل أدب الرحلات، أو قصص الخيال العلمي أو أدب المقاومة.

كما هو أحد الفنون الجميلة، أو ما يمكن أن يشار إليه بالكتابة الجميلة. وإننا لنميز بين الأدب والكتب الهزلية تمامًا، كما نميز بين لعبة كرة القدم التي يمارسها لاعبون محترفون

1) د. صلاح الدين النكدلي ،آراء في الأدب والأديب، الدار الإسلامية للإعلام ،ط1، ص 17

وأخرى لا تعدو أن تكون لعبة في الكرة يمارسها اللاعبون في حديقة المنزل أو في فناء الدار. وحين نصف قطعة مكتوبة بأنها أدب فإننا نمتدحها بإطلاق هذا الوصف عليها1.

- ✓ **أنواع الأدب :**

يُقسّم الأدب إلى نمطين رئيسيين: الأدب الخيالي والأدب غير الخيالي. فالأدب الخيالي يعني الكتابة التي يبتدعها الفنان من مُخيِّلته. وقد يُضمِّن المؤلفون كتاباتهم حقائق تتناول أشخاصًا أو أحداثًا حقيقية، غير أنهم يمزجون هذه الحقائق بوضعيات خيالية. وجدير بالذكر أن معظم الأدب الخيالي هو كتابات سردية شأن الروايات والقصص القصيرة، كما يشمل ذلك الكتابات المسرحية والشعر أيضًا.أما الأدب غير الخيالي فهو الكتابات التي تقدم حقائق تتناول مواضيع تدور حول الحياة الواقعية. وتشمل الأنماط الرئيسية للأدب غير الخيالي المقالة والتاريخ والتراجم والسير واليوميات. 2

الأدب شعر ونثر, أمّا النثر فهو قد عُرِفَ عند العرب ولغتهم العربية تفخر وتزخر بالفصاحة والبراعة في كلامهم واشتهروا بفن القول فالنثر قوي اللفظ, قصير الجمل, واضح الفكرة، قليل الاستعارة, موجز الأسلوب, ومن اقسامه :

الخطابة, الأمثال, الوصايا, الخواطر, الرسائل.

أمّا الشعر كلا م موزون مقفى يعبر عن المشاعر ويستخدم فيه صورا بليغة وأنواعه هي: غنائي وجداني, تمثيلي, قصصي. إذا حللنا العمل الأدبي سواء أكان شعراً أم نثراً، نجده يشتمل على أربعة عناصر رئيسة، هي :١ الفكرة ٢ العاطفة ٣ الخيال ٤ الأسلوب3.

- ✓ **الأجناس الأدبية :**

الأدب ليس نوعا واحدا بل أنواع مختلفة، والأجناس الأدبية في أدبنا العربي متعددة، بعضها قديم الميلاد مثل الحكم والأمثال، وبعضها حديث أفاده الأدباء العرب في مطلع العصر الحديث، بسبب اطلاعهم على الآداب الأجنبية الأخرى، مثل المسرحية.

ويختار الأديب حينما يريد الكتابة في أي موضوع ما الشكل الذي يضمن قوة التعبيرعن مراده ومقصوده، فإما أن يكون ذلك بالنثر أو الشعر. وينضوي تحت كل منهما فنون

---

1 (تودوروف ، مفهوم الأدب ، ص 13 - 20)

2 مذكرة في الدراسات الأدبية ، نقلا عن أحمد الشايب ، أصول النقد الأدبي ، القاهرة ،ط 7 ، ص 2 – 38)

3) (د . شفيق بقاعي ، د . سامي هاشم ، المدارس و الأنواع الأدبية ، ص 21)

متعددة .فهناك النثر الفني كالقصة والرواية والمسرحية النثرية والمسلسلات التلفزيونية والأفلام، والنثر الأدبي كالرسائل الأدبية، والمقالة والخاطرة والخطبة والتوقيعات والسيرة والمحاضرة والمناظرة1.

أما الشعر فينقسم إلى:

- ✓ **الشعر الغنائي:** هو الذي يعبر عن ذات الشاعر وموقفه في الحياة سواء من خلال غرض الغزل أو المدح أو الفخر أو الهجاء.
- ✓ **الشعر القصصي:** هو الشعر الذي يقوله الشاعر على لسان شخصياته متخذاً القصة وما فيها من أحداث موضوعاً له، ويندرج تحت هذا الفن الشعر التمثيلي والشعرالملحمي الذي يحكي أخبار الأبطال والمعارك، كالإلياذة للشاعر اليوناني هوميروس والشاهنامة الفارسية وملحمة جلجامش البابلية.
- ✓ **أبرز الأجناس الأدبية :**

أ القصيدة: مجموعة أبيات أو أسطر موزونة) ذات طول معين، يزيد على سبعة أو عشرة أبيات أو أسطر (تعتمد العاطفة والخيال واللغة الشعرية المبنية على الإيحاء. أما المقطوعة الشعرية فهي قصيدة قصيرة تقلّ عن عشرة أو سبعة أبيات، وتتناول عادة موضوعًا واحدً، وتأتي دون مقدمات، وقد برزت ظاهرة أدبية في العصر العباسي.

ب الحكم و الأمثال:

فالحكمة خلاصة التجربة في ثقافة أو أمة، تصاغ في قالب لغوي جميل موجز.

أما المثل فإنه يرتبط بقصة أو الحادثة بسببها قيل، ويذكر.

مثال ذلك قصة المثل" وافق شنّ طبقة"، ويقال إذا اجتمع شخصان بينهما من الانسجام والاتفاق شيء كثير، وله قصة مشهورة عند العرب.

ج القصة : فن أدبي، يعرض حادثة أو أكثر مستمدة من الواقع أو من الخيال أو من كليهما معا، ويهدف إلى الإمتاع والفائدة.

د الحكاية :هي إيراد الأحداث متسلسلة زمنيًا.

- ✓ **الحبكة :**هي طريقة عرض الأحداث وتكون غالبا متسلسلة ومترابطة سببيًا، بحيث يكون وقوع الحدث السابق سببًا في وقوع الحدث اللاحق.

---

1 د . شفيق بقاعي ، د . سامي هاشم ، المدارس و الأنواع الأدبية ، ص 21)

- ✓ **الشخصيات :** هي الأشخاص البشرية) أو ما يحل محلها (التي تدور حولها الأحداث، وتكون على أنواع مختلفة، منها:
- ✓ **الشخصية المركزية:** هي الشخصية التي تتمحور حولها أحداث القصة، وتمتاز بتبدل أفكارها ومواقفها خلال القصة.
- ✓ **الشخصية الثانوية**: هي الشخصية التي تساعد في نمو أحداث القصة وتوضح الخلفية للقصة، وتكون نمطية في مواقفها وأفكارها.
- ✓ **المكان:** هو الموقع الذي تدور فيه الأحداث.
- ✓ **الزمان:** الوقت الذي وقعت فيه الأحداث والمدة التي استغرقتها.
- ✓ **العقدة :** هي النقطة القصوى في تصاعد الأحداث، حيث يصل تشابك الأحداث إلى مرحلة من التأزم .

❖ **عناصر الأدب :**

الأدب بطبيعته متصل اتصالاً مباشراً ووثيقاً بأنحاء الحياة المختلفة، سواء المتصلة بما يمس الشعور أو بما يمس العقل والحاجات الماديّة، وبهذا يكون الأدب هو روح العصر ونتاج المجتمع لأنه يصور ميزات الأمة النّفسية والعقلية، وعيوبها ومثاليتها ومحاسنها، وأحوالها السياسية والاقتصادية. ولتصوير هذا أو بعضه كان على الأدب أن يجمع بين عناصر أربعة : العاطفة, والخيال, والفكرة , والأسلوب.

1/ العاطفة: وهي الحالة الوجدانية التي تدفع الإنسان إلى الميل للشيء، أو الانصراف عنه ، وما يتبع ذلك من حب أو كره، وسرور أو حزن، ورضا أو غضب . وقد تنبه لها نقادنا القدماء، فابن رشيق مثلا يقول في كتاب (العمدة في محاسن الشعر ونقده) أن قواعد الشعر أربعة هي الرغبة والرهبة والطرب والغضب، فمع الرغبة يكون المدح والشكر, ومع الرهبة الاستعطاف أو الاعتذار. ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب. ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب الموجع. والأدب يعتمد على عنصر العاطفة بشكل كبير ولهذا نجد هذا العنصر مقترنًا غالبًا بماهية الأدب. ومن عادة الفنون أن يكون للشعور فيها دور كبير.

ويرى البعض أن العاطفة هي التي تُكسب العمل الأدبي صفة الخلود. فقد قال البعض بأنه لا بد أن تكون العاطفة صادقة وسامية. وأن لا يعتمد الأدب على تنشيط العواطف

المريضة كما يحدث في الأدب المكشوف, وصدق العاطفة يعني بُعدها عن الزيف والمبالغة.

والإدعاء والإنفعال الكاذب.

2/ الخيال: يُطلق في اللغة على الطيف والظل. وقد يُطلق على الوهم فيقال خيَّل له كذا وكذا. أمَّا في الاصطلاح فهو أحد الملكات العقلية التي تجسد المعاني والأشياء والأشخاص ، وتمثلها أمامنا حتى تثير المشاعر وتهيج الإحساس. وهو عنصر أصيل في الأدب كله، وفي الشعر بوجه خاص. وهو يقل في شعر الحكمة مثلاً، ويكثر في الأغراض الأخرى للشعر الوجداني كالغزل والرثاء...

وتتجلى أهمية الخيال حينما نرى كيف يبدع الشاعر في تصوير مشاهد مألوفة في حياتنا، قد اعتدنا على رؤيتها، لكن الشاعر يبث فيها الحياة والحركة، ويصورها وكأنها ماثلة أمامنا.

3/ الفكرة أو المعنى: من الطبيعي أن يتضمن العمل الأدبي فكرة أو معنى يقوم عليه, ونحنُ لا نريد من الأديب أن يجعلنا نفكر بقدر ما نريد منه أن يجعلنا نشعر وندرك حقائق الأشياء من خلال الإحساس. وحديثنا عن الأفكار أو المعاني لا يعني أنها ممكن أن تُفصل أو تُلاحظ بشكل مُنفصل. فالعمل الأدبي وحدة واحدة لا تتجزأ. ولا يمكن أن نرد الجمال فيه لجمال الفكرة وحدها أو لجمال اللفظ وحده.

4/ الأسلوب: وهو الطريقة التي يلجأ إليها الأديب للتعبير عَنْ الأفكار والعواطف, أو هو القالب الذي يصب فيه الأديب هذه وتلك. فالأسلوب: صورة عامة تطبع الكلام بطابع خاص.1

❖ **خصائص الأدب :**

فهو بصورة عامة زينة "وتحفةٌ باذخةٌ فحسب، كآنية الوردِ التي تستريح على منضدتي، لستُ أرجو منها أكثر من صحبةِ الأناقة وصداقة العطّر".1)

الأدبُ أو الفنّ يحيط بالوجود كلّه، وينطلقُ في كلّ الاتجاهات... فترسم ريشته المليح والقبيح، وتتناول المترف والمبتذل، والرفيعَ والوضيع.

---

1) (الأستاذة صفية ناشي ، مدخل لدراسة الأدب ، جامعة أم القرى ، ص 25 .

1) (نيوتن ، ك . م : نظرية الأدب في القرن 20 . تر ، عيسى علي العاكوب ، ط1 القاهرة ، ص 24 ، س 1996

وعد الشعر المستقبلي خلفية جمالية انطلقت منها آراء الشكلانيين الروس في تحديدهم لمفهوم الأدب والشعر، وكان السؤال الذي ارتكزوا عليه للوصول إلى ذلك لا يكمن في كيفية دراسة الأدب، وإنما الماهية الفعلية لموضوع بحث الدراسة الأدبية "2 .

بمعنى أن موضوع الدراسة الأدبية – عند الشكلانيين – ليس الأدب، إنما الأدبية، والتي تعني دراسة الخصائص التي تجعل من الأدب أدبا، بعيدا عن كل عامل خارجي. وهو ما يوضح حرص الشكلانية على إنشاء علم للأدب مستقل كل الإستقلال عن السياقات الخارجية التي كانت سائدة قبلها. ومن ثمة " كانت أولى خطوات المنهج الشكلي هو تحديد الموضوع، لأن هذه العملية هي التي ستتحكم في تحديد النظرية.3

❖ الاستمتاع بالأدب

لماذا نقرأ الأدب. نقرأ الأدب عادة لأسباب عديدة تتبدل بتقدم العمر أو بتغير اهتماماتنا، وربما كان السبب الأساسي الذي يدفعنا للقراءة هو المتعة، فنحن نقرأ أساسًا لأننا نستمتع بالقراءة.

وتأخذ القراءة التي تستهدف المتعة أشكالاً متنوعة. فقد يكون الهدف منها تمضية أوقات الفراغ، أو الهروب من الجدران التي تحيط بنا من كل جانب.

فالقراءة بمثابة طائرة تطير بنا بعيدًا عن دواخلنا لتحملنا إلى عوالم أناس آخرين.

نقرأ في كثير من الأحيان؛ لاكتساب المزيد من المعلومات والمعرفة. فقد يُمتعنا أن نتعرف على الحياة في جبال الألب السويسرية، أو على حوض نهر المسيسيبي، كما أننا ربما نجد حلولاً ممكنة لمشكلاتنا حين نلتقي بأناس في الكتب يواجهون مشكلات تشابه تلك التي نعاني منها. ومن الممكن لنا أن نفهم عن طريق الأدب أوضاعًا قد لاندرك كنهها في بعض الأحيان حين تواجهنا في حياتنا العادية. 1

وقد نقرأ ببساطة لأننا نستمتع بقراءة الكلمات المنظومة، فربما نستمتع بقراءة مقاطع لا معنى

---

2) (نصوص الشكلانيين الروس ، ص 81)

3) د. صلاح الدين النكدلي ،آراء في الأدب والأديب ، دالإسلامية للإعلام ،ط1، ص 16

1) (مدخل لدراسة الأدب ، ص 9 – 29)

2) (فارس سلامة العطار ، ماهية الأدب ، 18 أفريل 2009 ، ص 22

لها، كما يحب الأطفال سماع الأناشيد المنظومة وهم لا يفهمون معنى كلماتها في الواقع.
ليس هنالك عمل أدبي له حكمته أو جماله في حد ذاته، وأعظم قصيدة أنشئت منذ عرف الإنسان الشعر، لا تعدو أن تكون مجرد رقعة كُتب عليها كلام مطبوع، إلى أن يتفاعل القراء معها. ولكي تصبح الكتابة أدبًا، لا بد لها من قارئ . القارئ يساعد على إبداع الأدب بتفاعله مع أفكار الكاتب وعواطفه ومعتقداته2.

والقارئ المبدع، هو ذلك الذي يراعي ما يريد الكاتب أن يقوله، وكيف يعبر عما يريد أن يقول. فالقراء المبدعون إنما يضيفون خبراتهم الخاصة في الحياة ولغتهم إلى الخبرات التي يعرضها الكاتب على صفحة الورق المطبوعة. وهم يقيسون مدى الصدق في موقف الكاتب بناءً على ما يحملونه هم أنفسهم من أفكار عن الحقيقة الصادقة. والقراءة المبدعة هي التي تحقق أعمق استمتاع بالأدب.

❖ **الحكم على الأدب :**

القراءة نشاط شخصي، إذ لا توجد أحكام نهائية يمكن من خلالها الحكم على قطعة مكتوبة. ويتدخل الذوق أو الطريقة السائدة في وقت ما لتؤثِّر في الأحكام النقدية المتعلقة بالعمل الأدبي.

فقد يبدو عمل ما عملاً مأساوياً لدى جيل معين من القراء، ثم ما يلبث أن يُعَدَّ عملاً هزلياً لدى الجيل الذي يليه. وقد تتصدر بعض الكتب لوائح أعلى الكتب مبيعًا بين عشية وضحاها، إلا أن شعبيتها لا تعني بالضرورة أنها أعمال عظيمة. وتحتفظ كتب أخرى بأهميتها لأسباب لا تمت للأدب بصلة. ويقرأ الكثيرون من الطلاب مثلاً ثلاثية نجيب محفوظ أو رواية وإسلاماه لعلي أحمد باكثير لأسباب تتعلق بالأمور التاريخية بشكل رئيسي 1.

غير أن النقاد والقراء يتفقون على كتابات معينة يَعُدُّونها تقليدية فذة أو أدبًا من الطراز الأعلى.

---

1) شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، ص 7

2) بخوش علي، استراتيجية التلقي في ضوء النظرية الشكلانية ، ص 1-2)

نشرت الآلاف من القصص مثلاً، عن محبين شبان، وقف ذووهم في وجه علاقاتهم العاطفية، غير أن معظم هذه الكتابات طواها النسيان بسرعة. أما مسرحية شكسبير روميو وجُولِييت فقد ظلت باقية على مدى فترة يزيد طولها عن 300 سنة. وهي تُعدّ قصة تقليدية (كلاسيكية) تعبر أصدق تعبير عن الحب لدى الشباب، وكذا أشعار مجنون ليلى أو قيس لبنى أو عنتر وعبلة في الأدب العربي2.

كان شكسبير فنانًا ذا موهبة، استخدم في مسرحيته كلمات وعبارات مفعمة بالمعاني.

إلا أن الأهم من ذلك هو أن شكسبير أعطى روميو وجولييت قيمًا إنسانية واسعة لا تحدها حدود، ولا يحصرها مكان محدد أو زمان معين. وشخصيات المسرحية أناس حقيقيون يواجهون مشاكل حقيقية. وهم يعبّرون عن مشاعر يمكن للناس أن يشعروا بها في أي مكان وفي أي زمان. ولنفس الأسباب، فإن كتابات روائية مثل جين أوستن مثلاً، تعني الشيء الكثير للقراء المبدعين من أي جيل. فرواياتها: إيما؛ الكبرياء؛ التحامل إنما تعبر عن حقائق موغلة في القدم، وتظهر المهارات الكتابية للمؤلفة. وقد تظل مثل هذه الروايات أثيرة لدى قراء القرن الحادي والعشرين الميلادي كما كانت محببة لقراء القرن التاسع عشر الميلادي.

وكل قارئ هو ناقد، وحتى لو قلنا: إنه ليس لدينا رأي حول كتاب معين، فإننا إنما نصدر بذلك حكمًا عليه، وإن كان هذا الحكم ضعيفًا وغير مبني على الكثير من إمعان الفكر. فقدرتنا على إصدار أحكام ذكية على الأعمال الأدبية إنما تنمو وتتضح بتوسع قراءاتنا، ومهاراتنا النقدية، شأن عضلاتنا التي تنمو وتشتد بالاستعمال. 1

الأدب ذاتي من حيث إنه تعبير عما يحسه الأديب، وعما يجول بصدره من فكرة أوخاطرة أو عاطفة نابعة من تجربته الشخصية أو من تجارب الآخرين .2

❖ أدبية النص:

---

1) : العالم و أنيس ، 1989، ص 41 .

2) بخوش علي ، استراتيجية التلقي في ضوء النظرية الشكلانية ، ص 4

على النص أن يركز على اللغة الأدبية ويبعد عن اللغة العادية واليومية المألوفة لأن في اللغة الأدبية تجعل الإدراك ينقلب إلى متعة جمالية نتيجة للإنزياحات اللغوية مما يجعل عملية إدراكها صعبة وممتعة،3 أما في اللغة اليومية المألوفة فالإدراك يكون بصفة مباشرة وآلية .

❖ **الصعوبات التي واجهها الأدب في دراساته :**

الأدب وكل ما يتصل به يحيط به شباك سحرية توشك أن تجعل كل ظاهر فيه كأنما هو باطن، أو كأنما يستخفي وراء أستار صفيقة. ومرد ذلك إلى أن الأدب يخاطب العاطفة، والعواطف غامضة أو يجللها الغموض، وحقا سماها علماء النفس وأحصوها، غير أن تحليلها إلى عناصرها لا يزال شاقا عصيرا .

والأدب كما هو ذائع مشهور، يقصد به إلى إثارة الإنفعالات في قلوب القراء والسامعين حين يتعلق الأمر بالخطاب، ولذلك كان يعتمد على الخيال، يعتمد عليه في التركيب الكلي لآثاره على حد العمل الروائي .4

فمهما حاولت الدراسات أن تشق طريقا جديدة في مجال الأدب إلا أن الصعوبات والمحاذير التي قد تقع فيها، نابعة من كونها دراسة رائدة. فالدراسات الموجودة بين أيدينا لا تساعدنا كثيراً في هذا المجال، فهي تأريخية أو نقدية، وإن كانت في كثير من الأحيان تسعى إلى التنظير، ولكنها في سعيها هذا لا تنطلق من رؤية شاملة قائمة على ربط الأدب بالفكر والمجتمع1 .

ويمكننا أن نستعير المثال الأوربي لتوضيح ما نقصده بذلك. فقد تمركزت الدراسات الأدبية في الغرب على التأريخ والنقد أيضاً، إلا أن المناهج التقليدية أصبحت، منذ العشرينات والثلاثينات، غير كافية بشكل واضح. وبدأت الدراسات تتحرر من التأريخية البحتة، من غير أن تجد لها اتجاهاً واضحاً. ووسط هذا الاضطراب جاء وارين Warrenوويلك Wellek ليضعا في عام 1942 تصوراً أولياً لهذا الاتجاه النظري، الذي

---

3) بخوش علي ، استراتيجية التلقي في ضوء النظرية الشكلانية ، ص 1-2

4) شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، ص 7

1) د. صلاح الدين النكدلي ،آراء في الأدب والأديب ، دالإسلامية للإعلام ،ط1، ص 16

2) علي المصري ، في رحاب الفكر و الأدب ، ص 5

سرعان ما تجسد في كتابهما نظرية الأدب (Theory of Literature) الذي نُشِر لأول مرة في عام 1948. لقد كان هذا الكتاب نتيجة لدراسات اعتمدت في أساسها على الدراسات النظرية السابقة، والتي تعود في أصولها إلى مؤلفات أفلاطون وأرسطو. لقد نشر هذا الكتاب في الولايات المتحدة الأمريكية، ولكنه سرعان ما انتقل إلى أوربا الغربية، ليصبح إنجيل الدراسات الأدبية، التي بدأت منذ ذلك الوقت، وخصوصاً في الستينيات، تشهد تجديداً ضخماً، وتنظيراً جذرياً للظاهرة الأدبية. لقد سهّل هذا الانتقال كون الأدب الأمريكي يمتد في جذوره إلى الأصول ذاتها التي يعود إليها الأدب الأوربي، كما أن الاثنين يمتلكان مفهوماً واحداً
للأدب 2.

إن ما حدث في الدراسات الأدبية عند الغربيين لم يحدث عندنا. ومازالت المكتبة العربية تفتقر حتى اليوم إلى مؤلّف عربي يضارع كتاب وارين وويلك. إنّ عدم وجود دراسات فكرية عند الأدب والفن العربيين، لا يعني إطلاقاً أن نظرية عربية في الأدب والفن غير موجودة، وإنما يعني أنها لم تصغ حتى اليوم، ويجب البحث عنها في مظانها من المصادر القديمة أو الحديثة .

✓ علاقات الأدب بالفكر والفن:

عندما نتحدث عن الأدب والفن فذلك لأنهما مرتبطان، فالفنون تتكون من عدة أشكال من وسائل التعبير غير اللسانية. وهي أشكال سبقت في معظمها أشكال التعبير اللغوية في الظهور. أما الأدب فهو مرتبط باللغة اللسانية المنطوقة أو المكتوبة. وإذا كان الأدب أكثر قدرة على التعبير والانتشار والانتقال والتخزين من بقية الفنون، فالفن والأدب متلازمان، ودراسة أحدهما لا بد لها من دراسة الآخر، فكل منهما يكمل الآخر ويوضحه، ويساعد على فهمه. ولذلك فإن نظرية الأدب لا يمكن أن تكون واضحة وكاملة إذا لم تترافق دراستها مع دراسة نظرية الفن، فالاثنتان تقومان على أساس معرفي واحد. إنّ ندرة الدراسات حول الفن العربي، القديم منه والحديث، بالمقارنة مع الدراسات الأدبية، يزيد مهمتنا صعوبة .ولذلك فقد عملت هذه الدراسة، على تخصيص جانب منها للبحث في

4) شوقي ضيف ، البحث الأدبي ، ص 7

الفنون عند العرب – المسلمين من حيث طبيعتها، وتصنيفها، وأساسها المعرفي الذي يربطها بنظرية الأدب ، إنّ هذه الدراسة لا تدّعي أن النتائج التي توصلت إليها نتائج نهائية .فهي تهدف إلى إثارة مشكلة النظرية الأدبية عند العرب، وتعمل على طرح الأسئلة أكثر مما تسعى إلى الإجابة عنها بشكل نهائي، وتأمل أن توجه الدراسات الأدبية عند العرب وجهة جديدة، تتخلص فيها من التأثيرات الأجنبية السلبية، التي تفرض عليها نتائجها .1

إن الأدب فعالية إنسانية خاصة قائمة بذاتها, ولها قوانينها الخاصة التي تحكمها. أما وظيفة الأدب فله عدة وظائف منها 1- وظيفة فنية 2- وظيفة جمالية 3 -ووظيفة اجتماعية فما معنى الجمالية ؟

2 التعريف اللغوي للجمالية :

إن طبيعة الإنسان تنجذب إلى كل ما هو جميل، وقد ورد عن رسول الله (ص) "إن الله جميل يحب الجمال"، وقد شاءت قدرة المبدع البديع الخالق سبحانه وتعالى أن يجعل من الجمال _في شتى صوره _ مناط رضا وسعادة لدى الإنسان، واستساغة الجمال حق مشاع، وربما تختلف مقاييسه من فرد لفرد، ومن عصر لعصر، لكنه اختلاف محدود قد يمس جانباً من الجوانب، أو عنصراً من العناصر التي تشكل القيمة الجمالية، ولم يقف الإحساس بالجمال عند النظرة الشاملة، أو الانطباع المبهم، أو الإيحاء التلقائي السريع، ويقول الدكتور زكي نجيب محمود: "الإنسان العادي من جمهور الناس، إذا عرف في حياته الجارية،كيف يفرق بين ما هو جميل وما هو قبيح فيما يحيط به من أشياء، فإنه مع معرفته تلك، يظل بعيداً أشد البعد عن القدرة على بيان الأسس التي إذا توافرت في شيء ما، كان ذلك الشيء جميلاً، وإذا غابت عن شيء ما، كان ذلك الشيء مسلوب الجمال، بمقدار ما غاب عنه من تلك الأسس، وقد يحدث هنا أن يتصدى للمشكلة مفكر موهوب في عمق التفكير ودقته، فيتناول هذه التفرقة بين الجمال والقبح، حتى يصوغ أسسها ومبادئها وشروطها، وعندئذ يقال عن مثل هذا المفكر: إنه فيلسوف، كما يقال عما يكتبه في هذا الموضوع: إنه "فلسفة الجمال"، ولنلحظ هنا أن عملية النقد في مجال الفن والأدب، إنما هي فرع يتفرع عن "فلسفة الجمال"، ولذلك فقد يختلف النقاد في الأساس

الذي يقيمون عليه نقدهم، باختلافهم في المذهب الفلسفي الذي يناصرونه"1 ومن الخطأ أن نعتقد أن للجمال مقاييسه الحسية وحدها،

تلك التي تقع عليها العين، أو تسمعها الأذن، أو يشمهاالأنف، أو يتذوقها اللسان، أو تتحرك لها لمسات الأطراف العصبية، فالجمال مادة وروح، وإحساس وشعور، وعقل ووجدان، فإذا التقى فلاسفة الجمال في بعض الجوانب أو العناصر، فستظل هناك في عالم الجمال مناطق يعجز الفكر الفلسفي عن إدراك كنهها، والوصول إلى أبعادها، فليس العقل وحده هو القوة القادرة على استكناه كل أسرار الوجود وما خفي فيه، ولحكمة يقول الله في كتابه العزيز (...فإنها لا تَعمى الأبصارُ ولكن تَعمى القُلوبُ التي في الصُّدورِ) (الحج: 46). لقد استطاعت الفلسفات القديمة أن تصل إلى قناعة بأن القيم الثلاث (الحق _ الخير _ الجمال) هي القيم الكبرى في الوجود، وأنه تحت مظلة هذه القيم الثلاث الكبرى تتدرج القيم الإنسانية جميعاً فروعاً لها، وقيمة" الخير" تلك تنبثق من التفرقة بين ما هو رذيلة وشر، وبين ما هو فضيلة وخير، هذه التفرقة يقوم بها مفكر موهوب _طبقاً للتصور الفلسفي _ يتميز بدقة التحليل، ونفاذ البصيرة، فيصوغ تلك الأسس التي على وجودها تبنى الفضيلة، وعلى غيابها تبنى الرذيلة، فإذا تحقق لذلك المفكر ما أراده، عددناه فيلسوفاً، وعددنا ما كتبه "فلسفة الأخلاق ." 1

أما إذا كانت التفرقة بين الخطأ والصواب، بحيث يقوم بها مفكر دقيق، أوتي سعة الأفق، وأصالة الدقة، كان ذلك هو "علم المنطق" وهو فرع من الفلسفة، وعن طريقه نصل فلسفيّاً إلى قيمة "الحق". الحق والخير والجمال إذن هي القيم الثلاث الكبرى في الفلسفات القديمة، وهي صناعة عقلية بشرية بحته، ترعرعت في ظل التجربة والتاريخ والأحداث، ويقول الأستاذ محمد قطب في منهج الفن الإسلامي: إن كلا من الفن والدين يعبر عن الحقيقة الكبرى، كما يقول: إن القرآن يوجه الحس البشري للجمال في كل شيء، وإنه يسعى لتحريك الحواس المتبلدة لتنفعل بالحياة في أعماقها، وتتجاوب تجاوباً حيّاً

---

1) عبد الباقي عمر دعماش ، ثراء الفكر و فكر الثراء ، ص 1-2)

1) علي المصري ، في رحاب الفكر و الأدب ، ص 5

1 د : حسين جمعة ، (أستاذ الدراسات العليا بجامعة دمشق) ، جمالية الكلمة ، ص 9

2) _د.محمود ذهني، تذوق الأدب طرقه ووسائله، مكتبة الأنجلو المصرية، ص23.

مع الأشياء، والأحياء، وهنا يلتقي الفن بالدين..2 والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود".1 والجمال ليس قيمة سلبية لمجرد الزينة، كما أنه ليس تشكلاً ماديّا فحسب، ولكنه بالمعنى الصحيح حقيقة مركبة في مداخلها وعناصرها وتأثيراتها المادية والروحية، وموجاته الظاهرة والخفية، وفي انعكاساته على الكائن الحي، ذلك لأن أثره يخالط الروح والنفس والعقل، فتنطلق ردود أفعال متباينة، بعضها يبدو جليّاً وبعضها الآخر يفعل فعله داخلياً، لكن محصلة ذلك كله ما يتحقق للإنسان من سعادة ومتعة، وما ينبثق عن ذلك من منفعة، تتجلى فيما يأتي أو يدع من أفعال وأقوال، وفيما يحتدم داخله من انفعالات ومشاعر، والجمال بداهة لا يرتبط بالمظاهر الحسية وحدها، وهذه قضية هامة من وجهة النظر الإسلامية، فالمرأة الجميلة الفاتنة لا يصح أن تكون مجرد أداة لإثارة الشهوة البهيمية، وارتكاب الرذيلة، واشباع الرغبة الآثمة، وجمال الطبيعة وما فيها من ورود وزهور وأنهار وجبال وطيور، ليس مجرد جمال سطحي، لكنه ينبع من قوة مبدعة قادرة، خلقت فأحسنت، وصنعت فخلبت الألباب والأبصار، وأثارت الفكر والتأمل، وفتحت أبواب الإيمان واليقين بهذه القدرة المعجزة الخالقة، وإذا كان الاستمتاع بالجمال مباحاً في الأصول الإسلامية، فإنه مدخل إلى ارتقاء الروح والذوق، وسمو النفس وخلاصها من التردي والسقوط، ومحرك للفكر كي يجول إلى ما هو أبعد من المظاهر الحسية التي قد كتب عليها الزوال.2

فالجمال سبب من أسباب الإيمان، وعنصر من عناصره، والقيم الجمالية الفنية تحمل على جناحيها ما يعمق هذا الإيمان ويقويه، ويجعله وسيلة للسعادة والخير في هذه الحياة.

فالمسلم إذ يقبل الجزء الأكبر مما قيل عن "البيت" من الداخل، يرفض رفضاً قاطعاً أن تكون جدران "البيت" هي أوله، وهي آخره، لأنه يعتقد أنه بيت إلى زوال، كان قبله

---

3) محمد البدراني وإسماعيل المشهداني ، الجمال في الأدب الإسلامي)

1) عبد الباقي عمر دعماش ، ثراء الفكر و فكر الثراء ، ص 1-2)

2) علي المصري ، في رحاب الفكر و الأدب ، ص 5

أزل، وسيكون بعده أبد الخلود. ويشير الأستاذ محمد قطب في "منهج الفن الإسلامي" إلى أن التصور الأوروبي قائم على مادية الإنسان، وحيوانية الإنسان، وإنكار الروح، وأن السبب في ذلك هو "الدارونية" القديمة، التي تولدت عنها "الماركسية" وعلم النفس الحديث، وعلم الاجتماع الحديث، وتأثر بها الأدب والفن في القرن التاسع عشر والقرن العشرين. 2 يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه " البحث الأدبي":"(والجمال حقا موجود في الطبيعة، ولكن يس هذا ما يهم أصحاب الفلسفة الجمالية ، فهو موجود فيها سواء حوله الفنان إلى أعماله أو لم يحوله، إنما يهتمون به حين ينتقل إلى عمل فنان") 1

ومصطلح الجمال أستيتيكا مصطلح حديث، لعل أول من استخدمه الناقد الألماني بومجارتن (1714 – 1762) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أصدر كتابا بهذا العنوان،

ورأى الفيلسوف الألماني كانت (1724 _ 1804) أن الجميل هو ما يتفق النقاد كلهم على جماله، هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فلقد أعطى الذوق الفردي المكانة الأولى في النقد، ثم جاء الفيلسوف هيجل الذي يرى أن علم الجمال ما هو إلا فلسفة الفن،

ومضمون الفن هو الأفكار، أما الشكل فهو تجسيد للفكر، وقد عبر عن آرائه هذه في كتابه "(محاضرات في علم الجمال". يرى هيجل أن الأجناس الأدبية تتطور، فلقد انتشرت الملحمة في العصور القديمة، أما في العصر الحديث فلقد حلت الرواية مكان الملحمة، ويرى أنها هي ملحمة المجتمع البورجوازي، ويرى أن جنس المأساة في المسرح يتبنى عادة أفكار المجتمع وقيمه السائدة، وأبطال المأساة هم المدافعون عن هذه القيم،

وبذلك فإن علم الجمال بدأ في ألمانيا على يد كل من بومجارتن، كانت وهيجل. 2

ما دام علم الجمال كما يقر هيقل أنه فلسفة الفن والفن بدوره مضمونه الفكر والفكر يعبر عنه بواسطة كلمات والكلمة كما هو معروف مرتبطة بالإنسان والكون والفكر والفن... لتدل على أنسنة الإنسان وتجلي الروح الخالدة في الكون، وتحقق الوجود الحي بالفعل

---

1 (د.نجيب الكيلاني ، الأدب الإسلامي و علم الجمال ، ص 4 .)

2 (د . ممدوح أبو الوي ، علم الجمال عند النقاد الروس ، ص 1

1) (د . ممدوح أبو الوي ، علم الجمال عند النقاد الروس ، ص 1)

2) هيغل (1770 - 1831) فيلسوف ألماني تعمق في دراسة علم الجمال.

الروحي الثقافي والجمالي... فالكلمة صورة العالم الأكبر، وإن عبرت عن ذات الإنسان في مشاعره وأفكاره وما يجري حوله... وما يتلقى من معارف وآراء...

ويصبح للكلمة وظيفة هامة في كل زاوية من زوايا الذات والوجود... ويغدو لها مغزى خاص في الفن يرتبط بالإمتاع والفائدة... وحين تنحصر دائرتها في فن البلاغة فإنما تتجه بشكل مباشر إلى الجمال... فالبلاغة في عناصرها كلها إنما تبنى على الجمال وتخلق بدائعه، وتتصيد مقاصده، وتحقق في الذات والمجتمع وظائفه...

فليس هناك أحد في الوجود ينفر من الجمال، أو يمج طرائقه وقسماته... بل هناك سعيٌ حثيث منذ الأزل إليه؛ وشغف في النفس إلى آفاقه... وهو يتشكل داخل الإنسان باعتبار المقولة الذائعة الصيت: (كن جميلاً تر الوجود جميلاً). وهو يتشكل في الوسط الموضوعي أيضاً؛ لترتقي ذائقة الجمال من الشكل الحسي إلى العقلي فالروحي؛ فتسمو النفس وتصفو...

إنطلاقا من هذا النص يظهر لنا بأنه من الطبيعي جدا أن نجد أكثر من تعريف للجمال وقد قلنا إن الحكم بالجمال أو القبح في ميدان النقد شيئ مألوف وشائع عند عامة الناس على اختلاف أوطانهم وأزمانهم . ويحسن بنا أن نعرف الآن عندما نطلق كلمة الجميل أو القبيح على عمل فني. ذلك أن اللفظتين لا تطلقان كما يقول كيرت جون ديكاس j . □ في كتابه " (فلسفة الفن)" إلا من جانب الناقد وليس لهما أي معنى من وجهة النظر الإبداعية عند الفنان. وقد يكون الناقد الفنان نفسه عندما يلتفت فيما بعد ليتأمل ويقوم عمله، أو يكون شخصا آخر، فهذا الذي نقومه بقولنا إنه جميل أو قبيح إذن ليس مطلقا هو العمل الفني بهذه الصورة، أي من حيث هو رغبة الفنان في أن يجسم مشاعره في شيئ. 1

✓ علاقات الجمال بالثقافة والحياة والأدب:

يتدخل الجمال في جميع ظروف حياتنا، فهو الجني الأنيس الذي نصادفه في كل مكان.

وعندما نجيل الطرف حولنا لنتبين أين وكيف وبأي شكل يتجلى لنا أنه يرتبط منذ القدم بأوثق الروابط بالدين والفلسفة ومن هذا النص يتضح لنا أن الإنسان لجأ على الدوام إلى

1 دراسات في علم الجمال. مجاهد ص 119.

الفن كوسيلة لوعي أسمى أفكاره روحه واهتماماته.2 وفلسفة الفن ليست عريقة في تاريخ الفكر والفلسفة، فهي من المواضيع الحديثة، ولكن منذ أرسطو كان ثمة تنويه بمعنى الفن الذي يختلف عن معنى العمل العادي وثمة محاورة مستمرة بين الفن والطبيعة، فهو يخضع لها مرة ثم يسيطر عليها تارة أخرى، ويصبح الفن هو الإنسان مضافا إلى الطبيعة كما يقول (لالو)، وبصورة عامة، كان الفن يعني مهارة في إبداع صيغ جمالية لتحقيق لذة جمالية وليس لذة مادية. 3

انطلاقا من كل هؤلاء النقاد نلاحظ مدى إسهام الفكر في الفلسفة والجمال وما دام البحث يشمل الفكر كعنصر فعال في الأدب وأهدافه السامية فمن الواجب التعرف عليه وعلى ما يربط الأدب به، فماذا نقصد بالفكر وما موقعه في النصوص الأدبية ؟

وإن البحث عن الجمال في الواقع والحياة أمر شاع، والإنسان بطبعه ينجذب إلى كل ما هو جميل، فالجمال في حد ذاته قيمة معينة يتميز فيها الحسن من القبيح.

أوجد الله مقدارا عظيما من المظاهر الجمالية في كيان الطبيعة، من أجل إشاعة الهدوء في النفس الإنسانية واستمرار الحياة، كما أوجد استعداد التجميل لدى الإنسان ليقوم بالصناعة وبتحويل ما هو قبيح، وبالتالي يجعل من قفص الحياة فضاء أرحب بحكم الفطرة التي فطر عليها، واستساغته لهذه القيمة1. غير أن اختلاف تذوق الجمال بين الأشخاص، والبيئات يجعل الإحساس به لايتوقف عند النظرة الشاملة أوالانطباع الخاطف أوالإيحاء الّتلقائي.

فالرؤية لا تعدد ميزانًا حقًا للحكم بالقبح، وأيضا الجمال في حد ذاته لايدرك بالحواس الخمس، لوجود مقاييس معنوية وروحية تجعله عقل ووجدان وروح، ومهما بلغ الإنسان فإّنه أحيانًا يعجز عن إدراك كونه وسر الجمال2.

ولا تقوم الفلسفات القديمة إلا على قيم ثلاث وهي:

الحق والخير والجمال، والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء بين الجمال والحق، فالجمال ليس قيمة سلبية لمجرد الزينة، كما أّنه ليست شلا ماديا فحسب، ولكّنه بالمعنى الصحي

---

2 فيلسوف وعالم نفس أمريكي (1859 - 1952) اهتم بعلم التربية.

3 الخبرة الجمالية. سرحان ص 33 وانظر" فلسفة الفن "د. زكريا إبراهيم ص 116 - 120.

1 أندريه مالرو (1901 - 1975) روائي وف فرنسي اتجه إلى الفن كتبه (سيكلوجية الفن)

حقيقة مركبة في مداخلها، وعناصرها، وتأثيراتها المادية، والروحية وموجاته الظاهرة والخفية، وفي انعكاساته على الكائن الحي ذلك لأن أثره يخالط الروح، والنفس، والعقل، فتنطلق ردود أفعال متباينة، بعضها يبدو جليا، وبعضها الآخر يفعل فعله داخليا، لكن محصلة ذلك كله ما يتحقق للإنسان من سعادة ومتعة، وما ينبثق عن ذلك من منفعة.3

ولعل أهم النظريات التي تعنى بالجمال نجد العديد من المحاولات انطلاقا من نظرية المحاكاة عند أفلاطون وأرسطو، نظرية المحاكاة لحازم القرطاجني ومدخل إلى نظرية الجمال في النقد العربي القديم للدكتور محمد علي غوري .

3 تعريف الفكر:

ميّز الله الإنسان على سائر المخلوقات بالعقل. والعقل هو مركز التفكير. وأياً كانت اللغة أو الوسيلة التي يستعملها الفرد، فهي تنتقل إلى العقل ليحلّلها ويفسّرها. ولقد ساوى الله بين جميع البشر أن زوّدهم بهذا الجهاز المدهش، ودعاهم إلى توظيفه في حياتهم، باعتباره أداة للتعلّم تلازمهم طيلة حياتهم. كما شجّع على التعلّم في كثير من الآيات." قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (آية 9، سورة الروم) .

ونبه إلى القدرات الكبيرة للعقل، الذي لا حدود للمعرفة لديه: "... وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (آية 85، سورة الإسراء) .

وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة إلى أنّ الإنسان لم يستعمل سوى جزءاً قليلاً من قدراته العقلية، وأن المجال أمامه واسع لتعلّم المزيد.

كما أنها دعوة عامة لمواصلة البحث والتعلّم، لا لفئة بعينها، وإنما لجميع البشر في كلّ زمان ومكان.1

والعلم لا يتم إلا بالتعلّم والتعلّم يعني التفكير والتفكير يقود إلى الإبداع "... وفي أنفسكم أفلا تبصرون" (آية 21، سورة الذاريات) .

---

2) بحث في علم الجمال. جان برتليمي ص 7.

3) المصدر السابق ص 10 - 11.

1) (عبد الباقي عمر دعماش ، ثراء الفكر و فكر الثراء)

2) عجائب الفكر وذخائر العبر/ محمد خير رمضان يوسف.. بيروت: دار ابن حزم، 1421هـ، ص 211

"... الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار" (آية 191، سورة آل عمران).

لماذا يدعونا الخالق إلى التفكير؟

وهل هناك إبداع مهما بلغت درجته، يصل إلى إبداع الخالق في كلّ ما خلقه؟!

أليس التفكّر في ما خلق الله دعوة إلى التفكير الإبداعي؟ 2

ولما كان التفكير مطلباً أساسياً في تقدّم الإنسان وتطوّره منذ بدء الخليقة حتى نهايتها، كان لا بدّ من مواكبته لكل عصر من العصور. وبالتفكير نبني على الماضي ونبتكر من أجل الحاضر والمستقبل.

والتقدّم في جميع المجالات، تحتّم علينا أن نفكّر جدياً في تطوير القدرات المبدعة عند الأفراد منذ المراحل المبكرة في حياتهم. وهذا الأمر يتطلب تطوير المناهج التعليمية وتحسينها باستمرار، وأن تتبنى المؤسسات التربوية تنمية مهارات التفكير وتحفيزها والارتقاء بها، باعتبارها وسيلة لتحقيق غايات وأهداف ملحّة، لا كأهداف بحدّ ذاتها.1

كما أن التغيير السريع الذي يشهده العصر الحاضر ما هو إلا مقدمة لتطوّر أسرع وأشمل، ينتظر عالم المستقبل. حيث ستقوم الآلات والعقول الالكترونية بالأعمال الروتينية، وتترك للإنسان الأعمال الإبتكارية والإبداعية. وهذا يتطلب منا أن نراجع أنفسنا، وأن نغير أسلوب تفكيرنا، بحيث يُؤهلنا إلى التعامل مع علوم المستقبل واكتشافاته وإبداعاته.2

هناك العديد من المبدعين على مدار التاريخ. منهم مبدعون في مجال محدّد وآخرون في مجالات متعدّدة. ومنهم من قدّم إنجازات مبدعة في سنّ مبكرة أو في سنّ متقدّمة. ومنهم من أبدعوا في الفن أو الموسيقى أو في العلوم والتكنولوجيا. وما يهمنا، أن نجعل من

---

1 دكتورة نعمات أحمد فؤاد، كتبت يوما في الأدب ، النقد، الفكر، الفن ص 2

2)موسوعة المفكرين والادباء العراقيين (الجزء العشرين) محيي الدين اسماعيل: حميد المطبعي، دار ن الثالشؤوقافية العامة بغداد 1994 م ص 218.

التفكير الإبداعي مطلباً خاصا هو الإبداع الأدبي ودور الفكر هو التفكير لأنه كنز الطاقات الإبداعية الذي لا ينضب، فكم من أمة نمت وتطورت بفضل الاستثمار الأمثل في تربية عقول أبنائها، ويشدد المربون على ضرورة الاهتمام بعمليات التفكير وتنمية
مهاراته بوصفها الثمار الحقيقية للتعليم 1 وأصبحت المهارات ذات العلاقة بالتفكير مثل مهارت التفكير الناقد والإبداعي وحل المشكلات وإتخاذ القرا را ت مهمة جدا في حياة الإنسان إذ تساعده في تعامله مع مشكلات الحاضر والمستقبل.
فمثلا التفكير بلغة العلاقات بين الأشياء المختلفة يساعدهم على إدراك الروابط بينها، وللأسف الشديد فمؤسساتنا التعليمية نادرا ما توجه الاهتمام نحو تطوير المهارات السابقة التي تزداد أهميتها في مجتمعنا يوما بعد آخر 2
وتحاول عاجزة اللحاق بهذا التغير الذي يحدث في المجتمع بمحاولة منها للأخذ بأسباب التقدم العلمي.
ولقد دعاني هذا الموضوع إلى تأمّل الآيات الأولى التي نزلت على النبي محمد، صلى الله عليه وسلم،(اقرأ باسم ربك الذي خلق(4) خلق الإنسان من علق (3) اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم (5) علم الإنسان ما لم يعلم (6) صدق الله العظيم (آية 1-5 من سورة العلق)." اقرأ"، تعني فكّر، فالقراءة لا تعني شيئاً إن لم تكن وسيلة للتفكير والفهم.
والقراءة هنا هي قراءة سمعيّة، تتم عن طريق حاسّة السمع فالنبيّ محمّد أمّيّ، لا يعرف قراءة المادة المكتوبة. ولكنه قادر على القراءة السمعيّة التي تحوّلت بها الألفاظ والعبارات إلى قوالب صوتية وألفاظ مسموعة، يستحيل على غير الأذن أن تستعملها وتنقلها إلى مراكزالترجمة والتفسير في الدماغ. 1

---

1) مقرر نظرية الأدب ، ص 9 ، 10)
2 (النقد الإجتماعي للأدب نشأته و تطوره ، آزاده منتظري ، محمد خاقاني ، منصوره زركوب ، ص 5 – 8).
3) (إيان كريب ، تر ، د . محمد حسين غلوم ، النظرية الإجتماعية ، ص 273)
4) الديوان الشرقي، ص 129
5) العقاد، التفكير فريضة إسلاميه، دار النهضة، القاهرة، ط6، ص7
6) المصدر السابق ص 153.
1) الأسس الجمالية في النقد العربي عز الدين إسماعيل .

ثم تُشير الآية الثانية إلى موضوع خلق الإنسان، والذي يتضمن العقل والحواس، التي بها يستطيع الإنسان أن يتعلّم.

أما الآية الثالثة، فتُظهر الصفة الإلهيّة أي" الأكرم"، بخلقه الإنسان على أحسن صورة وأتمهّا

أمّا" الذي علّم بالقلم"، فهذه إشارة إلى أنّ الخالق العظيم قد طلب من جميع عباده تعلّم القراءة والكتابة. بينما تؤكد الآية الخامسة، "علّم الإنسان ما لم يعلم"، أن الله سبحانه قد منح الإنسان العقل والحواس ليتعلّم كلّ ما يريد تعلّمه.

يقول الباحثون: إن 95% من الجهد المبذول للقراءة، يقوم به العقل، أو ما يحصل داخله (أي عملية التفكير). أما الباقي، 5%، فتقوم به إحدى الحواس التي زوّدها الله سبحانه لعباده. (الحاج خليل 1988)، وسواء اعتمدت القراءة على أي حاسة من الحواس الخمس، فإن الجهد الأكبر لعملية القراءة يقوم به العقل، الذي هو مركز التفكير.2

وإذا أردنا أن نُنشئ جيلاً مُفكراً، علينا أن نُنشئ جيلاً قارئاً ومحللاً وناقداً منذ السنوات الأولى لذلك الجيل.

4 علاقات الفكر بالأدب والفلسفة والجمال :

الأدب والفكر في معية واحدة وفي صف واحد، إذ إن الأدب - كما هو معلوم - الأخذ من كل علم بطرف والفكر هو الذي يحرك في المثقف عقله وذهنه، ومن ثم فالمفكر أديبٌ ومثقفٌ حتى يصل إلى درجة الفيلسوف، هذا إذا كان لهذا المفكر موهبة أدبية أو شاعرية.

أما الفلسفة فمعناها محبة الحكمة، هكذا في التعريف المأخوذ عن اللغة الإغريقية القديمة، والفلسفة لها منطق جزل أو نحف ويقال: إن المنطق معناه نحو الفكر البشري. وليس هناك مقارنات بين هذه المصطلحات بالقدر الذي يفرق، ولكن هذه المصطلحات كافة مصطلحات ثقافية ومعرفية وفنية ليس إلا. بيد أن الأدب هنا منعش لهذه الحركات الذهنية والمصطلحات الفكرية لأنه يحمل في باطنه رقاقات عاطفية وأدبيات حلوة وفنوناً جميلة.

هذه المعالم الثقافية بين الأدب والفكر والفن والمنطق والشعر والذهن لهي تعبيرات ذوقية

2) (التوحيدي ، الفكر الجمالي ، ص 9

تصل بين الذهن والفكر فيعبّر بها الأديب عمّا يعلمه لغةً وأدبًا وثقافةً. وصار لهذه الثقافة محبون خاصة في القرون الماضية وبالأخص الشعر والفن الأدبي وكان ذو السلطة يقربون إليهم الأدباء والشعراء والفنانين أمثال الرواة والإخباريين كحماد الراوية وخلف الأحمر والأصمعي الذي كان يروي كثيرًا عن الأعراب ومثال على ذلك أنه التقى بأعرابي فقال له ما صناعتك؟ فقال الأصمعي: الأدب، فقال له الأعرابي: نعم الشيء هو فعليك به فإنه ينزل المملوك في حد الملوك1.!

وتطور التاريخ في الآداب والمعارف والفنون فصار لها كتب ودواوين ومؤلفات ومجاميع كما تطور الأدب ولغته وتفكير أدبائه وشعرائه ودون كل ذلك كما في الأغاني لأبي فرج الأصفهاني والأمالي لأبي علي القالي والكامل في اللغة والأدب للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري والبيان والتبيين للجاحظ وسواها من الكتب التي وصلت العصر الحديث التي لم تصل وذهبت نهبا لهولاكو الذي دمر بغداد بما فيها من الكتب والمكتبات حتى غدا نهر الفرات ودجلة خليط الحبر والمداد.

هذه الأشياء تدلنا على الثقافة وانصياع الأديب وراءها؛ لأنها قيمته وهدفه في سبيل أعماله الأدبية التي تكون زادًا فكريًا وثقافيًا لهذه الأشياء2.

والثقافة التي يضطلع بها الأديب أو الشاعر ثقافة من المفروض أن تكون واسعة؛ لأنها تشكل الحقيبة التي تحمل في ثناياها كل معنى يريد الأديب إيصاله منها لجمهوره من القراء والمتلقين، وهذا شيء مستجاد.

إنما الشيء المحيِّر في موضوعنا تساؤل يقفز ليقول لنا: هل الفلسفة التي أشرنا إليها آنفًا مسألة أم مشكلة؟ وإجابة الأديب عن ذلك ليست مشكلة بقدر ما هي مفهومة لدى الجمهور؛ لأن الفلسفة لها علمها وثقافتها خاصة المدرسة الإغريقية في الفلسفة وما تلتها من المدارس التي كان من أبرز أعلامها الكندي والغزالي والفارابي وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون .

---

1) د . حسين جمعة ، (أستاذ الدراسات العليا بجامعة دمشق) ، جمالية الكلمة ، ص 9

2) (الأسس الجمالية في النقد العربي عز الدين إسماعيل .

ولا يخفى عنا أن الفلسفة ما هي إلا عمق في التفكير ففي أحد تعريفات الفلسفة فهمنا أنها بحث في العلم والبحث في العلم يشبه نوعا ما نقد العلم بصفة عامة والأدب بصفة خاصة فما دامت الأدب من صنع الفكر والفلسفة من صنع عمق التفكير فالعلاقة هي فكر ينقد الفكر، يمكن القول بلا مبالغة : إن الفكر دخل واقتحم كافة ميادين وجوانب الحياة كلها فلا سياسة دون فكر ولا مرافق إجتماعة ولا تنمية اقتصادية ولا تعليم جيد ولا تربية جادة ولا استراتيجية قومية دون مقدرات فكرية .1

فالفكر والعلم والثقافة ميدان فسيح لنوع من القوة لا يقل أهمية عن قوة المال لا وبل نستطيع اعتباره أكثر قوة من المال الذي يستحيل تحصيله دون تفكير وتخطيط والفكر عصارة ونتيجة أهم وأنبل خصائص الإنسان وأرقى أعماله وهو التفكير ويظهر ذلك جليا في ما وصل إليه من ثقافة وعلم وإختراعات وانجازات لا تحصى لهذا يمكننا القول أن العلم والثقافة هما فاكهة ذلكم الفكر وثمرته، تسقى بماء التفكير الواحد، فتنتظم تارة في حبات متناسقة متناظرة، وفق مسار صارم من القوانين، والسنن والمناهج، فتنتج لنا علما، وتتحلل وتتخفف تارة أخرى من تلكم الرقابة، فتنتج لنا ثقافة وأدبا وفنا، الفكر تربة الإعتقاد وسماد القناعات، ومولد المشاعر، وقائد الإهتمام وصانع الحضارات، العلم زاد الإنسان ودليله في التعامل مع نفسه ومع الكون والحياة، والفكر يدعو إلى الإيمان، ويعرف بالخالق، ويصدق وحي السماء ويفهمه.2

والإنسان كائن مفكر بالدرجة الأولى، لا يستطيع وعي ذاته ولا وجوده ولا ما حوله، إلا من خلال التفكر والنظر في الأنفس والآفاق، وإعمال عقله أعز وأشرف وأخطر منحة وهبها إياه الله – جل و علا – ولذا قرر علماؤنا أن العقل مناط التكليف3. ولما كان العقل هو منتج كل ثقافة فإنه لا محالة منبع للأديب والفنان وكل صانع .

هذا عن الفكر ودوره في الحياة الثقافية والأدبية وبه قد أنهينا الفصل الأول مستوف كل عناصر البحث من إضاحات قصد تناول الموضوع بيسر أكثر ووضوح أفضل في الفصل الثاني الذي يتناول السؤال بجدية وعمق من خلال مختلف علاقات الأدب بكل الحياة

---

1 (التوحيدي ، الفكر الجمالي ، ص 9)

2 نفس المصدر ، ص 11

3) نفس المصر ، ص 19

الثقافية والعلمية والأدبية وبما ينتج هذا الأدب من فكر يوصله كرسالة للقارئ أو بالأحرى للمتلقي من شكل وجمالية عن طريق النظريات التي اهتمت كثيرا بهذه الجوانب دون نسيان أهم عنصر في كل هذه الدراسة هو الوظائف التي يقوم بها الأدب في الحياة العامة والحياة العلمية والثقافية معتمدة على عدة دراسات تناولت هذا الصنف من دراسات ولو من بعيد مثل نظرية المحاكاة التي تعد رأس الدراسات الأدبية بالإضافة إلى(الفن والجمال أ.صالح بن أحمد الشامي)، تقسيمات الجمال لمحمد أحمد الزاملي، العلاقة بين الشكل والمضمون ليحي عبد الرؤوف جبر العلاقة الموضوعية بين الشكل والمضمون في ديوان الثقافة والفن، فلسفة الجمال في الفكر الإنساني لعلاء الدين حسن، رؤية في الشعر الإسلامي بين المضمون والشكل للدكتور محمد زغلول حسن، وظيفة الأدب بين المنفعة والإمتاع لخضر محمد أبو جججوح، الأدب بين الإنسانية والجمالية لمحمد زيوش، كلية الآداب واللغات لشلف، شعر الحكمة بين العقلية والفنية للدكتور الربعي بن سلامة، جامعة قسنطينة، مقاربة النص الشعري بين الجمال والفكر للدكتور وليد قصاب، التيار الخلقي الذي يتحدث عن وظيفة الأدب للدكتور وليد قصاب إلى غير ذلك من دراسات حول الطبيعة والوظيفة للأدب ونحن سنذكر قدر ما استطعنا ما تقدمه لنا هذه الدراسات من توضيحات. أولا نتحدث عن علاقات الأدب سواءا بالفكر أو الجمال والفن والإنسانية والشكل والمضمون وخاصة بالجمال ثم سأتحدث عن وظائف الأدب ودوره الهام في الحياة الثقافية ثم أذكر بنوع من التفصيل أهم النظريات التي تناولت الأدب كقضية هامة مثل نظرية التعبير والمحاكاة ونتحدث مطولا عن حقيقة الأدب هل هو وظيفة أم طبيعة بنفس معنى الإشكال المطروح هل الأدب ذات أهداف أو وظائف فكرية أم هو شكل وطبيعة وفنية وجمالية فقط أو كلاهما معا مستدلة في ذلك بالقائمة التي عرضتها في السطور السابقة

الفصل الثاني

علاقات الأدب بالفكر و الجمالية ووظائفه

الفصل الثاني :

1 - مقدمة الفصل الثاني

2 - علاقات الأدب بالفلسفة ، بالسياسة ، بالتاريخ ، بالفن و الشكل ، بالمضمون .....

3 - وظائف الأدب : تعبيرية ، فنية ، جمالية ، فكرية ، .....

4 - نظريات الأدب المختلفة التي عالجت قضايا أدبية مختلفة نذكر منها الأساسية والمهمة المتمثلة في وظائف الأدب الحقيقية .

5 - خاتمة الفصل الثاني

مقدمـــــــــــــــــــة :

لما كان الأدب مرآة تعكس حياة المجتمع وتشخص خصائص المميزة، والأدب العربي قديمه وحديثه وترجمان هذه الأمة العريقة ولسان حالها، وهو لا يختلف في جزء منه عن الصحافة والإعلام في عصرنا الحاضر، فلا بد أن يكون له أي الأدب علاقة بالحياة عامّة و بالشعب خاصّة، فالاتجاه الغالب المميّز للأدب الجديد هو – ولا شك - أدب الحياة، وأودُّ قبل كلّ شيء أن اسمّيه "أدب الحياة"، لأن عبارَة" : الأدب في سبيل الحياة "قد أثارت لبْسًا وغموضا في الأذهان وجعلت الكثيرين يقولون : إنّ كلّ أدب حتى المأخوذُة من بطون الكتب القديمة في السِّيَر والحِكم والبلاغة إّنما هو في سبيل الحياة، وتجميلها وتهذيبها وهذا صحيح، ولكن ليس هذا ما يقصده الأدب، إذ يراد من" أدب الحياة "أن يكون شيئا آخر غير" أدب الكتب"، والغرض هو أن يقوم الأدب على التجربة الحية للإنسان أو عصره أوالشعب، وأن تكون هذه التجربة صادقة – ومن هنا جاء الإهتمام بالواقعية – فلا تزييف وتهويل حتى لا تفسد الصوّر وتحجبَ الحقائق، تلك الحقائق والإنسان يكون مرتبطا إرتباطا وثيقا بالثقافة

والحياة الفلسفية الإجتماعية والسياسية والعلمية والإقتصادية، العقائدية وكذا الفنية والجمالية وما دام الأدب تجربة إنسانية في الحياة فلا بد لهذه التجربة أن تكون متعلقة بكل ما يمر الإنسان به من تجارب في مختلف الميادين، فالأدب إذا من المعقول أن يكون مرتبط بكل من الحياة والفلسفة والسياسة، الإجتماع، الإعتقاد والفن والشكل وبذلك يخرج الأدب من وظيفة الحلية البديعة الساكنة فوق الصّدور، إلى وظيفة النور البّراق المتحرّكِ الذي يفتح الأبصار، ويثير ما في داخل النّفس البشرية، ويُبرزُ ما في الأذهانِ من أفكارٍ معاصرةٍ.

هذه النظرة إلى الأدب لا بد أن تكون صائبة لأنها وليدة الصّدق، لأنها نتيجة طبيعية1.

2 أولا علاقة الأدب بالحياة :

للأدب علاقة واضحة بالحياة، إذ أن ارتباط كل واحد منهما بالآخر حتمي لارتباطهما بكيان الانسان. والإنسان هو محل التجارب الحياتية وكاشف خفايا الوجود والمساهم في النّهضة البشريّة كما أنه الأساس في بناء دعائم الانسانية، وعلى هذا فإن ما يصدر عنه أو حوله يمس حياته ويلمس نفسه، ومن هنا كان عليه أن يتفاعل مع كل هذا ومع مجالات

---

1).(مدخل لدراسة الأدب ، ص 36 – 37)

الحياة. فإنّ التجربة الإنسانية تُعدّ المحرك الرئيسي للأديب, لذلك فإنَّ الأدب يأخذ قيمته من مدى ارتباطه بحياة الناس وهمومهم ومعاناتهم, وهذا النوع من الأدب هو الذي يستمد قوة الوجود ويستحق الديمومة والاستمرار. فالأديب لا يمثل نفسه فحسب، بل هو يمثلها ويمثل الآخرين، فهو يعيش في مجتمع، يتصل فيه بالناس كافة، يعرف مشكلاتهم، ويحس بها. وقد كان عرب الجاهلية يجعلون بروز شاعر منهم حدثًا احتفاليًا. فالشاعر صوت قبيلته الناطق بمجدها والمدافع عنها، وليسَ ذلك فحسب. بل إن الشعر الذاتي الذي لا يُعبر به الشاعر إلا عن نفسه كالفخر الفردي والغزل والشكوى من الشيب والعاذلات ونحوه.. هو صورة لوجدان كثيرين غيره. فكل هذه تجارب إنسانية تُعمم على آخرين حتى وإن كانت تخصه.

وفكرة الربط بين الأدب والحياة لم تبرز بصورة جلية إلا في العصور الحديثة إلا أنها كانت موجودة في كل العصور القديمة؛ فالعلاقة بين الشعر والحياة قديمه قِدم التعبير الأدبي. فالشعر القديم لم يكن منفصلا أبدًا عن قضايا الناس الحيوية ومشكلاتهم الاجتماعية فالشعر الصادق – مهما كان تعبيرًا ذاتيا عن صاحبه – إنما يمس من قريب أو بعيد ظروف الحياة التي يعيشها المجتمع سواءً أكان الشاعر نفسه على وعي بهذه الحقيقة أم لا ولكن النقد لم يأخذ بهذا الوعي بمقدار أخذه بالاعتبارات الفنية. وهناك قصائد كثيرة لها أهميتها الكبيرة من وجهة النظر الاجتماعية فعندما نقرأ للمتنبي والمعري وابن الرومي وغيرهم نجد ذلك التفاعل القوي بين الشاعر وظروف مجتمعه ونجد فضلاً عن القيم الفنية قيمًا اجتماعية إنسانية عبّر عنها الشاعر. وهُناك تساؤلات تعددت عليها الأجوبة فيما يخص علاقة الأدب بالحياة. فهل الأدب - أصلا- وليد الواقع الذي يعكسه الأديب ويعبر عنه؟ أم أن الأدب دلالة على موقف الإنسان وانعكاس لذاته تجاه الواقع؟

أي: هل الأدب مرآة للواقع؟ أم انعكاس لموقف الأديب من هذا الواقع؟

ولقد تعددت الإجابات منذ عصور ما قبل الميلاد, فأفلاطون يرى أن الإبداع يقوم على محاكاة الواقع, والمحاكاة من وجهة نظر أفلاطون هي التقليد فالأدب نسخة عن نسخة. ولذلك فقد اعتبر الشعراء مُقلدين وطردهم من جمهوريته الفاضلة.1

أمَّا تلميذه أرسطو فقد بنى رؤيته على فلسفته الخاصة بالفن، فهو يرى بأن الفن محاكاة للطبيعة والإنسان، إلا أن هذه المحاكاة تختلف أداتها باختلاف الفنون، ويتميز الأدب عن غيره من الفنون باتخاذه اللغة أداة له. ويرى أن الشعر محاكاة للواقع ولكنَّ مفهومه للمحاكاة يختلف عن مفهوم أفلاطون, فهو يرى بأنَّ الشعر لا يتقيد في مضمونه بالحقيقة الواقعية الدقيقة التي لا هدف لها إلا المعرفة. لأنَّ مجال الشعر هو الممكن والمثال. فحدود الشعر هي الإمكان والمثالية للتأثير في البشر وهز وجدانهم. فمحاكاة الواقع في الأدب لا تعني نقله كما هو, فهذا نوع من التوثيق من مهمة المؤرخ وليس من مهمة الأديب.1

---

1 (د. مريم البغدادي ، المدخل لدراسة الأدب)

1 (قضايا أدبية ، نص للمطالعة)

وفي العصر الحديث نجد الناقد الإنجليزي (كولردج) يقول:" الأدب هو نقد للحياة" وهو بذلك يحدد علاقة الأدب بالحياة. فيرى أنَّ ارتباط الأديب بواقعه هو ارتباط جدلي. فهو يعبر عن انفعالاته تجاه هذه الحياة وعن موقفه منها.2

أما ميخائيل نعيمة فيقول، بأن "الشعر هو الحياة باكية وضاحكة، ناطقة وصامتة، مولولة ومهللة، شاكية ومسبّحة، مقبلة ومدبرة". والإجابات وإن تشابهت ظاهريًا فإنها تختلف باختلاف اتجاهات الأدباء.3 فميخائيل نعيمة على سبيل المثال وإن رأى أن الأدب هو الحياة فهو لا يقصد بذلك أنْ يلتزم الأديب بالتعبير عن الحياة في عصره وهموم هذا العصر, بقدر ما يقصد بذلك أن يلتزم الشاعر التعبير عن نفسه وعن حياته وهمومه, يدلّ على هذا موقفه من الشاعر أحمد شوقي الذي يبتعد عن الذاتية المغرقة في شعره ويتجه بشعره للآخرين ويُعبر عن الموضوعات السياسية والاجتماعية. يقول ميخائيل نعيمة في هذا الإطار: "إن مَن يرى شوقي في ميزان العقاد يشــْفِق على شوقي، وتكاد شفقته تنقلب نقمة على الناقد الذي لم يشأ إلا أن يكسر رجلي الجــبّار الخَزَفي ليرى الناس أنه من خزف".

ويقصد في هذه العبارة نقد العقاد لشوقي في كتاب (الديوان) فقد انتقد انشغال شوقي بالتشبيهات الحسية عن لبُاب الحقائق، وأحاسيس النفوس، وانشغل بمتابعة المناسبات عن صدق التعبير عن الحياة.1 فقد كان المجددون العرب المتأثرون بالأدب الغربي كالمازني والعقاد وميخائيل نعيمة يرون بأن تعبير الأدب عن الحياة يعني تعبير الأديب عن موقفه من الحياة وتجاربه فيها تعبيرًا تغلب عليه الذاتية المفرطة. في حين رأي الكلاسيكيون السابقون لهم كأحمد شوقي وحافظ إبراهيم أنَّ ارتباط الأدب بالحياة كامن في التعبير عن هموم العصر وتطلعات الشعب والوطنية والموضوعات العامة ليكون الأدب هادفًا ومعبرًا في آن واحد فإن الأدب ليس ترفاً، بل ضرورة من حيث هو نشاط إنساني لا تستغني عنه أي أمة من الأمم، والأدب ليس معزولاً عن غيره من العلوم والمعارف. فهو يؤثر في مجرى الحياة الاجتماعية كما يتأثر بالعديد من المعطيات الاجتماعية والمعرفية المختلفة. 2

ولا بد من التعرف إلى أهمية الأدب، ومدى تشابكه مع العلوم الأخرى وأثره في الحياة الاجتماعية، وتأثره بمعطياتها، والتعرف على أثر النظرية الأدبية في الدرس النقدي، وأهم نظريات الإبداع الأدبي، والعلاقة بين الأديب والنص والقارئ ..إلخ، ولأن البحث في مثل هذه القضايا يتطلب من الدارس أن يحدد مواقفه من الإنسان والحياة، لأن العمل الأدبي كإنتاج بشري (وثيقة إنسانية) له علاقة مباشرة بالحياة كلها وبعبارة أخرى يكون البحث

---

2 (مقرر نظرية الأدب ص 19)

1) (نظرية المحاكاة ، ص 11)

2) موسوعة المصطلح النقدي) ترجمة عبد الواحد لؤلؤة مصدر سابق ، ص288.

في تلك القضايا مبنيا على نظرية في المعرفة أو فلسفة محددة متكاملة، يعرف الأدب تعبيرا عن الحياة مادته اللغة. 3
وهذا التعريف يركز على ربط الأ دب بالحياة، فيجعله متأثرا ساعياً إلى تمثيل ذلك التأثر في عمل أدبي. لكن لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الأدب ينقل إلينا الحياة نقلاً حرفيا، وإنما يتم ذلك من خلال عدسة الأديب ورؤيته للحياة، فالأديب أشبه ما يكون بالمرآة، وتبعاً لاختلاف الأدباء تختلف المرايا، بين مقعرة ومحدبة بل حتى في درجة التقعر بين مرآة وأخرى1.
يرى برادلي أن الحياة تملك الحقيقة ولكنها لا ترضي الخيال أما الشعر فإنه يرضي الخيال ولا يمتلك الحقيقة كاملة، لذلك فالشعر ليس هو الحياة بل هما ظاهرتان متوازيتان.
ينبغي أن تسيرا الحياة والأدب في خطين متوازيين دون تقاطع، ومتى حدث ذلك التقاطع فسد الأدب لأنه سيصبح موجها لغاية أخرى من غايات الحياة، وسيكون على حساب الجانب الجمالي فيه2 .

- ✓ **علاقة الأدب بالإجتماع :**

بما أن الحياة إجتماعية، سياسية، دينية وعقائدية، ثقافية، فمن البديهي أن تكون هناك علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع، إذ أقر بها الفلاسفة والعلماء منذ القديم في ظل نظرية المحاكاة، نظرية الانعكاس وشتى الآراء والأفكار المطروحة في هذا المجال، ولم تكد تظهر نظرية الجدلية الماركسية حتي تأسّس على بنيانها، المنهج الاجتماعي للأدب؛ أحد المناهج الرئيسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع في مختلف المستويات، ويدرس ويحلل العلاقة بين المجتمع والأدب باعتباره انعكاسا للحياة.
إنّ العلاقة بين الأدب والمجتمع علاقة جذرية متماسكة ولايتولد فن عموما ولا أدب خصوصاً إلا في الجماعة (لوسيان قلدمان)، ولايصح إذا قلنا إنه يولد فلانٌ فنّا ليتمتع به نفسه، أو يقول شعراً ليسمعه وحده. ثمّ من أين يستمّد الفنّان أو الشاعر انفعاله المبدع؟ أليس من تجاربه في بيئته؟ وهل يقتبس صوره وقيمه إلا من الثقافية التي تلقاها، منذ الصغر.
ولا يمكن له أن يشعر برضي وراحة إلا عندما يجد من يقرأ الشعر أو يستمع إليه، ومن يتمتع بالفن فيشاركه في الأحاسيس ويقدّر الأنامل التي صاغت ونحتت.نحن لاننكر أن لكل شاعر طابعاً خاصاً يميز شعره عن سواه وأن لشخصية الأديب وحياته النفسية دوراً بارزاً في مواقفه الأدبية، لكن الأدباء والفنانين هم أبناء بيئتهم، منها ينهلون، ويتناولون، ويغرفون، وفيها يشع إنتاجهم، ويتدفق إبداعهم، وإليها يلتفتون، فلا أدب ولا فنّ إلا في الجماعة ومن أجل الجماعة؛ ولايمكن الغوص في أعماق الأدب إلا داخل الإطار الاجتماعي الذي منه ينطلق الأدب وإليه يلتفت، وهذا موضوع علم الاجتماع الأدبي على الإجمال. إضافة إلى أن اختصاص أي فرع

---

3) جون ديوي، (الفن خبرة) ، ترجمة زكريا إبراهيم و زكي نجيب محمود ، دار النهضة العربية، 1963، ص 188

1 (د. محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ، ط4 ، دار الأندلس ، 1417 ه – 1996 م ، ص 186)

2 (رنيه وليك ، آوستن و آرن ،نظرية الأدب ، ص 136).

من فروع علم الاجتماع لدراسة الظاهرة الأدبية يعّد من أوضح البراهين على هذا الترابط الوثيق بين الأدب والمجتمع. 1

✓ **علاقة الأدب بالسياسة و الإقتصاد :**

نكب الوطن العربي باستعمار غاشم جثم على صدره ردحا من الزمن امتص خيراته وتركه في فقر مدقع مما أدى إلى ظهور الوعي القومي وتطور النزعة الوطنية. كرد فعل على موجة الإستعمار، ولما تحرر من هذا الإستعمار نشأت حكومات قطرية افتقدت إلى الشرعية الديمقراطية وكان الأدب السياسي اللسان المعبر عن هذه النزعة التواقة إلى الإنعتاق) والحرية.

الأدب السياسي يظم العديد من الأجناس الأدبية (الشعر، الرواية، القصة، الخطابة، والمقالة ...إلخ

اشتهر منه قديما فن الخطابة والشعر وأصبحت العديد من الخطب السياسية تدرس كنماذج أدبية لما تحمله من صياغة أدبية متينة وأسلوب سردي جميل ومؤثر ومقنع جماهيريا – خطبة الحجاج يوم تسلمه إمارة العراق وخطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوم وفاة الرسول صلعم.

أما الشعر السياسي هو كل ما ينظم في شأن من شؤون السياسة يدعو به الشاعر قبيلة أو حزب أو دولة أو مبدأ سياسي مثل الشورى أو الديمقراطية واختلفت دواعي النظم فيه فمن الشعراء من كتب بدافع العصبية أو المنفعة وهناك من دفعه مبدأ أو تبني فكرة وقد تمحور الأدب السياسي حول الشعر السياسي من أيام الجاهلية لما يحمله الشعر العربي من أهمية على شتى النواحي الحياتية للعرب فكان الشعر الخطاب الرسمي لجميع القبائل في الجاهلية وكان سلاحا جيدا للإسلام في الرد على الكفار وبقي الشعر يضهي سحره على الناس في الدولة الراشدية والأموية والعباسية والمماليك والعثمانية، إلى الآن في عصرنا الحديث فإن للشعر مكانة عريقة وقوة مؤثرة ومحركة لعقول الناس واتجاهاتهم الفكرية والسياسية فانتزع الشعر السياسي الحيز الأكبر في الأدب السياسي العربي على مدى العصور.1 يملِك العديد من مفكرينا السياسيين رؤية جيدة لواقع الحال الذي يمر بأمتنا، هذه الرؤية من الرَّصانة والعمق ما يجعلها إضاءات نحن في أمَسِّ الحاجة لها في ظل هذه الأحداث الهادرة التي تموج بالأوطان الإسلامية خاصة والعالمية عامة؛ وقد كثرت الدراسات حول الآراء السياسية هذه إلى جانب الإجتماعية وتزيد الإهتمام حديثا بالمغزى الإقتصادي لهذه الآراء مثلا يوضح الناقد س نايتس L.C.Knights في إثباته أن موقف بن جوسون الإقتصادي كان عميق الجذور في العصر الوسيط – كيف أنه سخر من الطبقة الصاعدة للمرابين والمحتكرين،

والإنتهازيين، والوسطاء، وقد جاء تفسير الكثير من الأعمال الأدبية مثل المسرحيات التاريخية لشكسبير، وقصة "رحلات جاليفر" للكاتب سويفت في الإطار السياسي للعصر

---

1) (نظرية المحاكاة ، ص 11)

1) الديوان الشرقي، ص 129

الذي كتبت فيه.2 ونظرية المحاكاة اهتمت كثيرا بهذه الدراسات أي العلاقة التي تربط الأدب بالحياة والأخلاق والسلوك الإنساني وخير دليل على أن حياتي وأخلاقي في نفس الوقت نجد تلك الأبيات الشعرية التي تشجع الإنسان عل النجاح في حياته مثل :

قال شاعر: بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك بجهل و إقلال

قال آخر: على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

أما في فن الوصية التي تعتبر جنسا أدبيا آخر نجد مثلا وصايا لقمان لإبنه ذات الهدف الأخلاقي نذر واحدة منها : قال تعالى:"وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيّ لا تُشرك باللّه إن الشرك لظلم عظيم۞ ووصّينا الإنسانَ بوالديهِ حملتهُ أُمُهُ وَهْناً على وَهْنٍ وفِصَالُهُ في عَامين أن اشكرُ لي ولِوَالديكَ إليّ المصيرُ۞ وإنْ جَاهدَاك على أنْ تُشركَ بي مَا ليْسَ لكَ بِهِ علم فَلا تُطِعهُمَا وصَاحِبهُمَا في الدُّنيَا مَعرُوفاً واتّبعْ سَبيلَ مَنْ أَنَابَ إليّ ثم إليّ مرجِعُكمْ فأُنَبّئُكم بما كُنتم تعمَلونَ۞ يا بُنيّ إنّها إنْ تَكُ مِثقَال حبّةٍ مِنْ خَردلٍ فَتكنُ فِي صَخْرةٍ أو في السّماواتِ أو في الأرض يَأتِ بِهَا اللّهُ إنّ اللّهَ لطيف خبير۞ يا بُنيّ أقم الصّلاة وَأْمُر بالمعْرُوفِ وانْهَ عن المنكَرِ واصبرْ على مَا أصابَكَ إنّ ذَلِكَ مِنْ عَزم الأُمُورِ۞ ولا تصعّر خدّكَ للنّاس ولا تَمش في الأرض مَرَحاً إنّ اللّهَ لا يُحِبُ كُلّ مُختَالٍ فَخُورٍ۞ واقصِدْ فِي مشْيكَ واغْضُض مِن صَوتِكَ إنّ أنكَرَ الأصواتِ لصَوتُ الحمِيرِ۞"لقمان(13-19)

✓ علاقة الأدب بالإعتقاد :

تقرر بالدليل العقلي والنقلي، وبمقتضيات الفطرة القويمة: أن العبادة: هي الوظيفة الأولى والأساسية للإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأن الإسلام شمل بأحكامه جميع أعمال الإنسان ومنا شطه، ويتضح بناء على ذلك أن أمر العبادة في حياة الإنسان ليس أمراً هامشياً أو وقتياً، بل هو المبدأ الأول لوجوده، والغاية الأصلية لحياته، وعلى هذا الأساس انقسم الناس إلى قسمين- بحسب قبولهم وردهم لهذا المبدأ أو عملهم وجهلهم به- فقسم التزم بالعبودية وخضع لأمر إلهه وهولاء هم أهل النجاة وهم على درجات متفاوتة، وقسم أبى واستكبر وتعالى وتجبر فهؤلاء هم الهلكى وهم على درجات. هذه هي النظرة الإجمالية للبشر من حيث صحة الاعتقاد والعمل وفسادهما، وبناء على ذلك تفرقوا طرائق قدداً، كل يتبع مايعبده، ويسير على المنهج الذي يدين له .

ولا ريب أن أعمال الإنسان وسلوكه ومناشطه تتأثر بعقيدته ونظرته وفكره، يستوي في ذلك المسلم والكافر سواء كان منافقاً أو مرتداً أو يهودياً أو نصرانياً أو وثنياً .

والسلوك والعمل – في الغالب - هي حصيلة الاعتقاد، والأدب على وجه الخصوص هو مستودع شعوري كبير للأمة أو للفرد يحمل الخصائص الفكرية والتصورات الاعتقادية والحصيلة التاريخية، كما أن للأدب خصيصة أخرى :

وهي قدرته على تخطي الحدود وتجاوز عقبات الفوارق الجنسية واللغوية ولاسيما في عصرنا هذا الذي سهل فيه انتقال المعرفة والثقافة والآداب عبر أجهزة التقنية المتطورة

2) العقاد، التفكير فريضة إسلاميه، دار النهضة، القاهرة، ط6، ص7

وعبر الوسائل التقليدية كذلك، فأصبح هو بذاته عقيدة عند الملتزمين بمذاهبه الفكرية الاعتقادية، وإن صُورت على أنها مدارس فنيه أو مناهج إبداعية، فهي في حقيقة الأمر عقائد عند أصحابها يسعون في نشرها، ويدافعون عنها، وباسمها يقبلون ويردون ويوالون ويعادون .

إذن فكل عمل أدبي فني لابد أن ينشأ من عقيدة وينتج من فكر معين وفلسفة معينة للحياة والكون والإنسان والخالق سبحانه وتعالى، والعلاقة بين الخالق والمخلوق، ويستوي في ذلك الذي يستهدي بالوحي المعصوم والذي يستهدي بالفلسفات المادية المعاصرة أو الجاهليات والوثنيات القديمة أو الحديثة في كون كل منهم ينبثق في إنتاجه من العقيدة التي يؤمن بها، وذلك لأن الخبرات النظرية لأي إنسان عاقل هي مجموعة معلوماته الاعتقادية والفكرية والسياسية والفنية والاجتماعية إضافة إلى تجاربه وممارساته العملية، ومن خلال كل هذه المعطيات تتكون هذه الخبرات النظرية التي تنتج من خلال التجربة الشعورية أدباً، أو من خلال التجربة الفكرية فكراً وثقافة، وأهم مكونات هذه الخبرات النظرية، والدائرة التي تحيط بها وتضم كل مفرداتها هي: "العقيدة" سواء كانت عقيدة صحيحة أو فاسدة،إن الإنسان - أي إنسان - في القديم أو في الحديث لابد له من عقيدة تربطه وتحدد مساره وفكره وأعماله ففي مصر القديمة، مصر الوثنية الفرعونية كانت النصوص الأدبية تخرج متأثرة بالمعتقدات السائدة لديهم، حتى لقد أكد بعض الباحثين في هذا الصدد (أن الفكرة الأدبية في مصر القديمة ازدهرت بين جدران المعابد وأن الجزء الأكبر من الأدب المصري كان قائماً على أساس الدين1 .

✓ علاقة الأدب بالفكر و الفلسفة :

يتضح مما قدمنا أن هذه العلاقات بين الأدب والحياة والسياسة والإجتماع والإعتقاد والدين إنما يعكس العلاقة المباشرة بين الأدب والفكر ما دامت الحياة مجموعة من الأفكار تصاغ في قالب لغوي وفي هذا ("تحدث أستاذ الأدب والنقد المعاصر في الجامعة الأردنية د. شكري ماضي عن العلاقة بين الادب والفلسفة ونقاط الالتقاء والتداخل والتخارج بينهما، مشددا على أن الأدب له علاقة بمكونات الحياة مثل التاريخ السياسية الدين والفلسفة، وهو كيان فني له استقلاليته النسبية وهويته الجمالية وأن الأعمال التي تستحق التداخل لا تخلو من طابع فلسفي "كلي/ شمولي"، وتتجسد في رؤية من العالم، لافتا إلى أن هناك فرقا بين أدب الآراء وأدب الرؤية، وكثيرا ما يلقي الوعي الفلسفي بأضواء ساطعة على مسار الأدب والنقد ويحدث فيه انحناءات وانعطافات بينة، وكثيرا ما يسهم الأدب في ترسيخ مقولات هذه الفلسفة او تلك.

واعتبر ماضي أن الاتجاهات والمدارس الأدبية والتيارات والمناهج النقدية تستند إلى أسس فلسفية في مفاهيمها وتصوراتها لماهية الأدب ودوره ونقده، فالصراع بين المدارس الأدبية

---

1) د .سعيد الغامدي ، علاقة الأدب بالإعتقاد ، ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة

والمناهج النقدية لا ينحصر بالأدب والنقد، اذ هو في جوهره صراع حول رؤية الإنسان والوجود والعالم"). 1

إن الأدب الذي له قيمة في حياة الأمة، وفي العالم، وهو الأدب الذي يعني بقضايا الفكر والشعور الكبرى، في نظرة إلى الحياة والكون والفن عالية، أصيلة، ممتازة، لها خصائص شخصيتها. فإذا نشأت هذه النظرة الجديدة إلى الحياة والكون والفن أوجدت النظام وقضية القوة وقضية الحق وغيرها. وبعض هذه القضايا يكون قديما فيتجدد بحصول النظرة الجديدة إلى الحياة وبعضها ينشأ بنشوء هذه النظرة . فالأدب يتشكّل أثناء الحديث عن هذه العلاقة من خلال اللغة والصور والأساليب بينما يتشكل الفكر من خلال الرؤية والمعنى الظاهر والخفي، ويحقق امتزاجهما في اللحظة الأدبية صوتاً جديداً، يصوغه مبدأ التقارب والانسجام المفروض بينهما، ولكن يبقى ممكنا، وضرورياً في بعض الأحيان، أن يقوم حوار بين الفكر والأدب، ذلك لأن الفكر والأدب، معاً، لا ينجوان من تلك العلاقة الواضحة، وإن كانت مختلفة بالكلام. الكلام الأدبي كلام رمزي يشوبه نوع من الغموض الذي يمنح الكلام قوته الفاتنة التي تدعو إلى التأمل والتساؤل والتأويل، أي إلى فتح الطريق للتفكير. ومن ثمة يتعالق القول الأدبي بالفكر من أجل كشف الغموض والسر"، حسب هيدغر في مؤلفه (على الطريق إلى اللغة) الذي حاول من خلاله تحليل العلاقة بين الشعر والفكر.يقول بول ريكور:"الشعر يعيد الكشف عن إمكانات اللغة حيث إن هذه اللغة قد تقلصت وظيفتها التي أصبحت نفعية في الأساس في علاقتها بالواقع الآني2."

وفي بحثه "الميتافيزيقا والشعر بين أفلاطون وهيدغر" يقول "كرد محمد" : يرى هيدغر أن المجال الذي يتحرك من خلاله الشعر هو الكلام، ونفس الشيء مع الفكر، لكن هذا لا يعني أن الفكر هو نوع من الشعر، ولا يعني أيضاً أن الشعر هو نوع من الفكر، لكن ما هي الغاية من هذا الحوار بين الشعر والفكر؟ تتجلى الغاية من هذا الحوار بين الشعر والفكر في بناء سكن للإنسان..، هذا ما يذهب إليه هيدغر، فالحوار بينهما سيسمح بتشييد كينونة المسكن وذلك يتم بواسطة اللغة، إذ تُعد "اللغة -كما يؤكد على ذلك هيدغر- بيت الوجود، ولكنني أتساءل دائما ما الفرق هنا بين الحديث عن الفكر والفلسفة، إذا ما كان لكليهما قول يشبه الآخر ولطبيعة كل منهما لون لا يغيب كثيراً عن محاولات صنع الوجود الإبداعي، سواء من خلال الارتباط بالشعر أو من خلال الارتباط بغيره، ولكنني أطرح الفكر هنا

---

1 (د .سعيد الغامدي ، علاقة الأدب بالإعتقاد ، ملتقى العقيدة والمذاهب المعاصرة)

2) صفية ناشي العتيبي ، مدخل لدراسة الأدب ، ص 6)

مجرداً من بعده الفلسفي، أي من خلال وحدة وجوده ككائن مستقل عن الرؤية الخاصة لمستعمله ومجرداً من طرح الأسئلة الجوهرية، كما تفعل الفلسفة1.
هذه المعالم الثقافية بين الأدب والفكر والفن والمنطق والشعر والذهن لهي تعبيرات ذوقية تصل بين الذهن والفكر فيعبّر بها الأديب عمّا يعلمه لغةً وأدبًا وثقافةً. وصار لهذه الثقافة محبون خاصة في القرون الماضية وبالأخص الشعر والفن الأدبي وكان ذو السلطة يقربون إليهم الأدباء والشعراء والفنانين أمثال الرواة والإخباريين كحماد الراوية وخلف الأحمر والأصمعي الذي كان يروي كثيرًا عن الأعراب ومثال على ذلك أنه التقى بأعرابي فقال له ما صناعتك؟ فقال الأصمعي: الأدب، فقال له الأعرابي: نعم الشيء هو فعليك به فإنه ينزل المملوك في حد الملوك.!قد نتفق مع هؤلاء النقاد على أن الأدب ليس ميدانا لعرض المذاهب الفلسفية والفكرية, لكننا لا ننكر أيضا أن الأدب بشعره ونثره, قد عبر عن قيم فكرية وفلسفية أرقتا الأديب أو الفيلسوف, فهذا أبوالعتاهية الشاعر العباسي, يعبر في أبيات شعرية بسيطة عن قيم أخلاقية يربط فيها بين القناعة والحرية, والأطماع والعبودية فيقول:

طلبت المستقر بكل أرض فلم أر لي بأرض مستقرا
وذقت من الزمان وذاق مني وجدت مذاقه حلوا ومرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ولو أني قنعت لكنت حرا

أما ابن حزم المفكر الفيلسوف الفقيه, الذي دافع عن مذهبه الظاهري الرافض للاجتهاد, فنجده رقيقا عاشقا مدركا لمعاني الجمال.. اذا كان في حوار فكري, ألفيته صلا مطرقا, واذا كان في مطارحات شعرية وجدته عاشقا متيما, ومع هذا فهو في بعض الأحيان يمزج الفكر بالأدب, فهو غالبا ما يعبر عن قيم فكرية وفلسفية من خلال الشعر, التقي يوما وهو يسير مع الإمام الباجي إمام المذهب المالكي في الأندلس بفتاة جميلة, قال ابن حزم: إنها لجميلة, فقال الباجي: وما أدراك لعلها شوهاء؟ فرد عليه ابن حزم قائلا.

وذي عذل فيمن سباني حسنه يطيل ملامي في الهوي ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيره ولم تدر كيف الجسم وأنت عليل
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد فعندي رد لو أشاء طويل
ألم تعلم بأني ظاهري واني علي ما أري حتي يقوم دليل

فاذا كان الشعر يعني بالجمال؟ فلماذا إذن لا يعبر عن جمال الفكر؟ فالحكم التي جاءت علي لسان شعراء(العصر الفكتوري) مثل براوننج قد أخذت بألباب كثير من القراء في ذلك العصر, ومع هذا, فان العمل الفني يجب ألا يصبح مجرد مقولة مذهبية وإلا وجب علينا اتخاذ معايير أخري لقياس قيمته1 إن الأدب يمكن اعتباره وثيقة تاريخية في تاريخ الفكر والفلسفة, فنحن نرى أن تاريخ الأدب يتماشي بل يواكب تاريخ الفكر, ويتأثر به ويؤثر فيه, لكن الأدب يظل معبرا عن رسالته في الحياة, فكما أن الشعر لا يمكنه أن يكون بديلا للفلسفة فإن الشعر الفكري يظل شعرا ولا يجب الحكم عليه من قيمة المادة التي

1) (عبق الخزامى ، الشعر و الفكر ، جريدة الرياض ، سنة 2010 ، العدد 1231 .)

1 (ندوة التي أقامتها الجمعية الفلسفية الأردنية في ملتقى فكري في مقرالرابطة د. جورج الفار،).

يحتويها, بل يحكم عليه من تكامل المادة وعمقها الفني والجمالي لأن الإقرار بفكرية الأدب ينفي عنه دوره الفني الجمالي من خلال تلك اللغة الأدبية والأسلوب الجميل.2

✓ **علاقة الأدب بالجمال :**

إن موضوع الجمال هو "الجميل " سواء أكان مشهدا من مشاهد الطبيعة أم لوحة فنية، أم إنسانا، أم بيتا من الشعر... بينما يتجه الأدب إلى إيصال الفكرة والعاطفة ويلعب الأدب كأحد أشكال الوعي الاجتماعي المتميزة دوراً هاماً وأساسياً في تعبئة وتحريض وتثوير الشعوب والأمم التي تناضل من أجل انعتاقها، وفي صياغة الوجدان الشعبي العام، وبلورة الوعي الثوري والحضاري لدى الجماهير، هذا بالإضافة إلى وظيفتهِ الجمالية باعتبارهِ قيمة فنية مضافة للحياة تساهم في إعادة صياغتها وإنتاجها جمالياً.1

فإن الفن أو الأدب بصوره المختلفة مرآة تعكس بعضا من خلجات الروح وألوان المشاعر،

وتأمل بعضا من خلجات الروح وألوان المشاعر، وتأمل الفن شبيه بتلك التموجات البديعة والإنعكاسات الرائعة على صفحة الماء، وما الفن إلا رسالة من المؤلف إلى الناظر والمتأمل، تزداد بهاء وتتعدد زواياها الجمالية بمزيد من التأمل العميق، والحس الرقيق والتذوق اللطيف يورد أحد تعريفات الغرب للأدب: " الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية"2 .

وهذا يبين وإنه ما من شك في أن الصلة وثيقة بين "الفن" أو الأدب كونه يتكون من فني الشعر والنثر وبين الجمال فمن غاية الفن تحقيق الجمال، ولكنه تارة يدرك هذه الغاية وتارة تفوته والجمال لا يستغني عن الفن كميدان من ميادينه الفسيحة، ولكن لا يستطيع أن يتخلى عن مجالاته الأخرى التي منها الطبيعة والإنسان وقد حاول جون ديوي(3) أن يوضح الصلة بينهما فقال: إذا بحثنا عن الصلة بين الفن والجمال وجدنا: أن الفن يشير إلى العمل الإنتاجي، وأن الجمال يشير إلى الإدراك والإستمتاع، إلا أنه في بعض الأحيان يشار إلى فصل الظاهرة الفنية من حيث هي إبداع وخلق عن الظاهرة الجمالية من حيث هي تذوق

واستمتاع، كي لا يكون الفن شيئا مفروضا على المادية الجمالية 4

إن تناول علاقات الأدب المختلفة المجالات يؤدي بالضرورة إلى التعرف على الطبيعة الحقيقية للأدب وانطلاقا من التعريفات السابقة الذكر للأدب يتبين بأن هذه العلاقات مبنية أو تتراوح ما بين الجمالية والفكر والفلسفة كما نكتشف من خلال هذه العلاقات والتعريفات المختلفة الوظيفة الأدبية أو وظيفة الأدب كما تظهر هذه العلاقات وتبين بأن الأدب يؤدي

---

2 (أنطوان سعادة ، الأدب السوري, علاقة الادب بالفكر , فكرا لأديب ,تجديد الادبي)

1) فائز العراقي ،شعر الانتفاضة في البعدين الفكري والفني ، ص 5) .

2) (فيلسوف و عالم نفس أمريكي (1859 – 1952 اهتم بعلم التربية)

3) (الخبرة الجمالية ، سرحان ص 33 و" فلسفة الفن" د . زكريا ابراهيم ص 116 – 120).

4) "البيان والتبيين" للجاحظ 1/ 241.

جميع الوظائف تقريبا بما فيه تقدم الأمم ونجاح المؤسسة ولكن كلما تعمقنا أكثر تولدت علاقة ووظيفة أخرى وهذا نظرا للنقد المتواصل الذي صاحب الأدب إلى يومنا هذا فما دام النقد موجودا دوما فما هي إذن الوظيفة الحقيقية للأدب وماهيته ؟
وبما أن العلاقة في أي مجال كانت تعني الصلة والصلة تعني الإرتباط والإرتباط بمعنى التأثير والتأثير يحدد دور وطبيعة الشيئ وليكن هذا الشيء معني بالأدب ثم يؤدي كل هذا التقاطع إلى الوظيفة الحقيقية للأدب، وإذا لاحظنا أن علاقة الفن أو الأدب لها مؤيديها وأنصارها ولها نقادها ومعارضيها وكذا نفس الشيئ بالنسبة لعلاقة الأدب بالجمال وإذا حدث وفصلنا الأدب عن الجمال ثم تم فصله أيضا عن الفكر فما طبيعته إذا وما وظيفته ؟ أهي فكرية أو جمالية أو لا يمكن الإستغناء عن الإثنين ؟
دعنا نوضح شيئا مهما قد نسيناه في التقديم ألا وهو التصور الذهني لكلمة أو لفظة أدب لا نعني بهذا التعريف اللغوي أو الإصطلاحي للأدب بل إننا نقصد المتصور الذهني المباشر للفظة أدب أي مما ينبني؟ ما شكله؟ والإجابة على هذا السؤال لابد أن يكون موجود في كل أذهانكم فبمجرد النطق بكلمة أدب مباشرة تتبادر إلى أذهاننا مجموع من الثنائيات المتسلسلة حتى في التصور بمجرد سماع أدب أفهم ما يلي: (الشعر والنثر)، (النظم والنثر)،
(الشكل والمضمون)، (الطبيعة والوظيفة)، (اللفظ والمعنى)، (الجمالية والنفعية)، كل هذه الثنائيات تصب في نهر ومغزى واحد ألا وهو جدلية الشكل والمضمون أو بتعبير آخر قضية اللفظ والمعنى أو أكثر وضوحا الأدب بين الفكر والجمالية حتى لا ننسى موضوع بحثنا الذي تعبنا إن صح التعبير من أجل إيضاحه. ومن هذا التحليل للفظة أدب يسهل ويتيسر علينا الولوج بدقة في الوظيفة الأدبية المحظة فما هي وما نظريتها ؟

3 وظيفة الأدب :

إذا كانت وظيفة العلم هي في اكتشاف حقائق المادة وسُننها لتسخيرها في بناء حضارة الإنسان، وإذا كانت وظيفة الدين هي في تفسير الحياة وإيضاح مقاصد وجودنا فيها، ضبطها بالتشريع الذي يحمي الحياة من الفوضى، فإن وظيفة الفن والأدب هي في أن يكون "الباروميتر" الذي يقيس جدوى الحياة من حولنا، من خلال الحقيقة وقيمتها في الشعور ووقعها في نفوسنا من خلال اكتشاف مدى إشباعها لطموحاتنا، وهذه نماذج من الشعر التي تكشف جدوى الحياة من حولنا، كما يحس بها الشاعر أثناء موقفه من الأحداث، فالبحث في وظيفة الأدب هو في حقيقته بحث في قيمته، ووظيفته تعرف من خلال طبيعته فكلاهما متلازمان ومرتبطان بمفهوم القيمة، وهذا ما أكد عليه إرسطو في كتابه: (فن الشعر) وإذا كانت طبيعته تستوعب من خلال لغته المتميزة القيمة المعرفية والقيمة الجمالية فكذلك الشأن في وظيفته فهو يعلم ويمتع.
يقول الشاعر: ولستُ أبالي حين أقتل مسلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مصرعي(1)
وقول الشاعر: غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي نَوْحُ باكٍ ولا ترنُّم شادي(2)

1) (مرجع:نظرية الأدب ووليك وورين) .

وقول الشاعر: لماذا إذا هدأت نجمة الحرب تُعطى الجوائز للهاربين(3)
فالأدب عند بعض المنظرين لعب وتسلية، وعند بعضهم الآخر صناعة وعمل ونشاط جاد، وهو يساعد على معرفة الطبيعة البشرية والكشف عن معنى الحياة، وعن القيم الحسية والمجردة وعن القيم الجمالية، وهو يعلم الفضائل ويهذب الأخلاق، ويساعد على التخلص من التراكمات الانفعالية سواء في الإبداع أو التلقي وهذا ما تؤكده نظرية التطهير عند أرسطو، وهو يساعد على تقوية الإدراك الحسي وتعميقه وجديته ورهافة الإحساس بالجمال وتذوقه، يقول ماكس ايستمان:"الأدب يبصرنا بما نراه، ويصور ما سبق لنا معرفته "إذن فوظيفة الأدب ترتكز على اثنين:

/1وظيفة معرفية

أ/ يمس جوانب الواقع الإنساني والحياة ويتناولها تناولا متميزا

ب/ يصور الحضارة الإنسانية وكيفية التعرف عليها

ج/ يتواصل مع المعارف الكونية كتصوير الحياة والموت وصل الإنسان بأرضه

د/ وهو يكسب الطبيعة الجامدة الحياة من خلال اللغة والتي تمثل مستودع حضارات الأمم والطريقة خاصة ومتميزة وهذا دور وظيفي فكري يتجلى من خلال الأدوار التي يؤديها في مختلف مجالات و تجارب الحياة التي منها الإجتماعية ، الأخلاقية ، يّ تربية الإنسان على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.أيّ تتمة لما تنادي به المؤسسات الدينيّة من تعاليم أخلاقيّة، والأمر بالابتعاد عن المفاسد والنفعية الثقافية من أجل رقي الأمم وتحقيق الحضارة

الراقية أما الوظيفة الثانية :

2 (وظيفة جمالية: التي تتميز بما يلي :

أ/ الأسلوب التعبيري

ب/ التشكيل الأدبي (ينمي الذوق عند المتلقي)

(ج/ الحيل المجازية (من الأساليب التي تمنح الأدب قيمة جمالية وتوظف جوانب اللغة)

وهذا إن دل على شيئ وإنما يدل على أن الوظيفة الأدبية هي تلك العلاقة القائمة بين الراوي أو السارد أو الأديب والمتلقي وهذا الأخير أي المتلقي هو وحده من يكتشف ويحدد وظيفة الأدب الفعلية وبشكل دقيق فالنصوص الأدبية الخالدة قيلت قبل مئات السنين واستطاعت أن تجذب اهتمام القراء والنقاد على مدى تلك المدة لتتجاوز السنوات والقرون حتى عصرنا، بينما هنالك نصوص أخرى ارتبطت فائدتها بمرحلة محددة فقل عدد الفوائد التي تحققها، وبالتالي لم تستطع البقاء في ذاكرة الزمن وحياة البشر1. هذا ما يؤكد بأن البحث في وظيفة الأدب من خلال العلاقة بين الأدب والمتلقي، الذي يعد أساس العمل الأدبي فهو الذي يستحسن ويعطي إنطباعه استجابة أو نفورا " إن العلاقة بين النص والقارئ

---

2) نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية . عبد المنعم إسماعيل

3) الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا) مجلة كلية اللغة العربية جامعة الإمام محمد :٣٤١ -بن سعود الإسلامية - العدد الحادي عشر ، ص ٣٤٠) .

1) (المدخل لدراسة الأدب د.مريم البغدادي ، ص 20) .

علاقة جدلية يحكمها الغموض الفلسفي الذي يتوارى عن الظهور، والنقد الظاهراتي جعل دور المتلقي مركزيا في تحديد المعنى لأن"المعنى في النص لا يصوغ نفسه وذاته أبدا، بل إن على القارئ أن يحضر في المادة النصية لكي ينتج المعنى" 1 .
وما محاولة الذات المتلقية ممارسة فعل الفهم إلا لأن النص مبني على تكثيف المعنى الذي يدخل القارئ في غموض ومتاهات تدفعه إلى التأويلات المتعددة، وهذا بالضبط ما يعطي النص استمراريته وخلوده "بفعل الحوارية المستمرة بين بنية النص وبنية التلقي2.
ولكي لا أبتعد كثيراً أرى أن أتقيد بالإشكال الذي طرحته في البداية(الأدب بين الفكر والجمالية أو الأدب بين النفعية والجمالية فهل وظيفة الأدب فكرية نافعة تهتم أكثر بالمضمون أولا تتعدى وظيفته تحقيق القيمة الفنية وجمال الشكل، و"الشكل والمضمون "هما قوام كل عمل فني جميل، سواء أكان لوحة أم تمثالاً أم قصيدة.. فالعمل من الناحية المعنوية، فكرة وعاطفة وإحساس، جُسِّد في هذا المنظر أو ذلك التمثال أو هاتيك القصيدة. فاللوحة والتمثال والقصيدة إن هي إلا المظهر الخارجي أو الشكل الذي من خلاله أمكننا أن نتعرف على تلك الأحاسيس والعواطف، وعلى هذا يمكن القول بأن:
"الشكل: هو الصورة الخارجية، أو هو الفن الخالص المجرد من المضمون والذي تتمثل فيه الشروط الفنية. والمضمون:هو كل ما يشتمل عليه العمل الفني من فكر أو فلسفة أو أخلاق أو اجتماع أو سياسة أو دين." (3)
وإنه ما من شك في أن كلاً من" الشكل "و"المضمون "يؤدي دوره في إنتاج العمل الفني، والصلة بينهما وثيقة جدًا، فهما وجهان لأمر واحد، ولا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر. ولكن بعض النقاد ذهب في إعطاء الأولوية للفكرة والعاطفة والإحساس وذهب بعضهم الآخر إلى تقديم الشكل والصورة. إذ بهما يظهر العمل الفني ويوجد. وانقسم النقاد إلى مدرستين:
"مدرسة الشكل: وهم الذين لا يرون في المضمون أية قيمة فنية ويحصرون أحكامهم في دائرة الصياغة الفنية وما يتحقق عنها من جمال.
ومدرسة المضمون: وهم يرون الفن كله مضمونًا. وحددوا المضمون تارة بما يلد، وتارة بما يتفق مع الأخلاق، وتارة بما يسمو بالإنسان إلى سماوات الفلسفة والدين، وتارة بما هو صادق في الواقع، وتارة بما هو جميل من الناحية الطبيعية المادية." (1) .
فحتى وإن كان المذهب الكلاسيكي الذي ينادي بالعقلية في الأدب أول أدب ظهر في أوربا " في القرن السادس عشر بعد حركة البعث العلميّ. وقوامه بعث الآداب اليونانية واللاتينية القديمة ومحاكاتها، لخصائصها الفنية وقيمِها الإنسانية. حيث أخذ العلماء يحللونها

---

1 (أ قاسي صبيرة ، النص الأدبي بين الإنتاجية الذاتية و إنتاجية القارئ ، ص 3)

2" (أ قاسي صبيرة ، النص الأدبي بين الإنتاجية الذاتية و إنتاجية القارئ ، ص 3)

3) فلسفة الجمال في الفكر المعاصر. العشماوي ص 152 - 153.

1) فلسفة الفن في الفكر المعاصر. زكريا إبراهيم ص 50.

1) فلسفة الفن في الفكر المعاصر. زكريا إبراهيم ص 50.

2) ع الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب - مع ترجمات ونصوص لأبرز أعلامها ، ص 8 ، 1999) .

ليستنبطوا هذه المبادئ التي ضمنت لها الخلود، وذلك إمّا بالتذوق أو بالتحليل المباشر، أو بما كتبه المنظرون القدماء أمثال أرسطو في كتابيه "الخطابة" و"الشعر" وهوراس في قصيدته المطولة "فن الشعر" (2) .

إلا أن معظم النقاد ركزوا بالدرجة الأولى على متعة الأدب وجماليته لاعتقاد العديد من النقاد أن التذوق الأدبي يشمل الجانب الذي يقف، عند التشكيل اللغوي أو البناء الدرامي فحسب، ولعل نظرية الفن للفن من أهم النظريات التي مجدت الجمال على حساب الفكر والمنفعة حيث تقوم نظرية (الفن للفن) على فكرة تحرر الأدب من أي قيمة ممكنة إلا قيمة الجمال، وألا يُنظر إلى معايير خلقية أو قيم نفعية, فمهمة الأدب نحت الجمال, من أجل بعث المتعة في النفس. فهو يهدف إلى جعل الأدب فناً موضوعياً في ذاته، همه استخراج الجمال" فما مدى صحة هذا الرأي؟ وهل من الممكن تصور أدب خارج نطاق المجتمع وحياته المتنوعة ؟ أو بتعبير أكثر دقة هل نستطيع حقا فصل الأدب عن تجارب الإنسان في حياته ؟

❖ الأدب غاية فنية جمالية :

لنجيب على السؤال يتحتم علينا الحديث عن مبدأ نظرية الفن للفن التي تجرد الفن من أي ملابسات فكرية أو فلسفية أو دينية (أيديولوجية)، وتنشد من الفن فقط والجمال، ويطلق أصحاب النظرية على ذلك بأنه تخليص الأدب من النفعيية والغائية .

ثم إن هذه النظرية شاعت في الأدب، إذ ترى أن الأدب يجب أن يتحرر من أي قيمة يمكن أن يحتويها الكلام إلا قيمة الجمال، وألا ينظر فيه إلى معايير خلقية أو دينية أو قيم نفعية، فمهمة الأدب نحت الجمال، ورسم الصور والأخيلة الباهرة، من أجل بعث المتعة والسرور في النفس، فليست مهمة الأدب أن يخدم الأخلاق، ولا يسخر لقيم الخير أو المجتمع، إنه هدف في حد ذاته، ولا يبحث له بالتالي عن أي هدف خلقي أو غير خلقي، فحسبه بناء الجمال ليكون بمثابة واحة خضراء يستظل بها من عناء الحياة 1 .

إن الفن للفن ضرب من الفلسفة اللاتينية القائمة على نبذ القديم (الدين، الأخلاق) وعدم التقيد به في الأدب، وهو مذهب ثائر على (الرومانسية) التي تذهب إلى أن الأدب والشعر خاصة فن ذاتي يعرض للعواطف والإنفعالات الإنسانية والتعبير عنها من خلال الأدب، فالرومانسية تعتبر الأدب وسيلة للتعبير عن الذات، والفن للفن مذهب غاية في حد ذاته ومطلوبا لذاته 2

(الفن للفن) مذهب يهدف إلى جعل الشعر والأدب فنا موضوعيا في ذاته، همه استخراج الجمال ونحته من مظاهر الطبيعة، أو خلعه على تلك المظاهر.

يهدف المذهب أيضا إلى التحلل مقدما من أي عقيدة أو فكر أو أخلاق موروثة، وعدم انعكاس ذلك على العمل الأدبي أو لمح ذلك فيه 3 وقضية الفن وغرضه في القديم

---

2) (الندوة العالمية للشباب الإسلامي، البرناسية (مذهب الفن للفن).

3) المصدر نفسه)

3) (د / وليد قصاب ، في الأدب الإسلامي ، ص 87 .

والحديث بحث كثيرا عنها واختلفت الآراء حول وظيفة الأدب والفن ومن أهمها رأيان هما :

رأي يذهب إلى أن الأدب وظيفته ومهمته الأساس هي التهذيب والتربية والتعليم، وهي غاية تلحظ في اصطلاح: (أدب) و(تأديب) و(مؤدب) التي يدور معناها حول: التهذيب. وهو رأي غالب في ثقافتنا العربية، أو حتى عند الأمم الأخرى في القديم وحتى العصر الحديث.

ويرى آخرون أن الأدب والفن نوع من الترفيه والتسلية، وهو بهذا المفهوم لا يحتمل أن يقوم بوظيفة، ولا يطيق أو يقوى على حمل رسالة أو توجيه، فهو ضرب من النشاط المطلوب لذاته، وجنس يقوم على الجمال ويقوم له وينعقد من أجله.

وهو مع هذا لا يناقض بالضرورة العقائد ولا القيم، وقد يسير أحيانا مع القيم الرفيعة والأهداف النبيلة، وقد لا يسير ذلك شرطا فيه ولا مطلوبا منه 1 .

وهذا الرأي على غرابته في التراث العربي، فإنه وجد، وممن نص عليه قدامة ابن جعفر (ت 337ه) في كتابه:(نقد الشعر)، يرى أن للشاعر أن يضرب في أي فج من فجاج المعاني، وأن يسلك أي سبيل من الأغراض حميدها ومذمومها إذا ما التزم بشرط الصياغة، واعتنى بتجويد شعره حتى يقبله الجمهور ويذيع في الآفاق2. وجذور هذه النظرية أي الفن للفن تضرب في أعماق التاريخ، فهذا أرسطو يرفع من شأن الشعراء ويجعلهم عباقرة يقبل ما يقولون دون مراجعة، مناقضا بذلك أفلاطون الذي هاجم الشعراء ولم يبق منهم إلا من يعنون بالتهذيب وتمجيد الآلهة. وحين سقطت الإمبراطورية اليونانية الوثنية، وقامت على أنقاضها الإمبراطورية الرومانية النصرانية، سيطرت الكنيسة على شتى أنواع النشاطات الإنسانية

ومنها الأدب، وجعلتها خادمة للنصرانية وقيمها الفكرية والأخلاقية، وشددت النكير والعذاب على من خالف تلك السياسة أو حاول معارضتها. وفي ظل تلك السيطرة ظهرت إشارات ذليلة، وإشادات صامته بما للأدب من قيمة جمالية، وأن تلك القيمة كبيرة الأثر عظيمة الفائدة، ومن أولئك القديس (أوغسطيوس) في كتابه (النظرية المسيحية)، حيث أشار إلى المتعة الفنية التي تذوقها في اللغة التي كتبت بها نسخ الإنجيل. وفي ق17، تخلص الأوربيون من سيطرة الكنيسة، ظهرت أصوات تشيد بالفن من حيث هو مجال الجمال وموطن المتعة، فقد أشار(بيركورتي) بأن الهدف الأساسي في الشعر المسرحي هو المتعة الفنية1.

ونظر كانت الفيلسوف المشهور(ت 1804م) إلى أن الفن عمل يهدف إلى المتعة الجمالية الخالصة، أي أنه حر، لا غاية وراءه سوى اللذة الفنية، دون ما قد يتلبس به من أفكار وفلسفات أو أخلاق أو قيم اجتماعية أخرى. ولكن الإنتقادات لم تتوقف عند هذا الحد بل زادت رويدا رويدا بمرور الزمن حيث بات رفض الخدمة التي يقوم بها الأدب للمجتمع قاطعا سواءا ذلك التثقيف أو التعليم والتهذيب ومن بين هؤلاء المهاجمين للوظيفة الأدبية

---

1) (د / وليد قصاب ، في الأدب الإسلامي ، ص 96 .

2) الندوة العالمية للشباب الإسلامي: البرناسية (مذهب الفن للفن).

1) (د/ أحمد كمال زكي: النقد الأدبي أصوله واتجاهاته، د النهضة، بيروت، ص 76.)

الفنية نجد الشاعر(شيلي ت 1822م) وورد زورث ت 1850م، بالإضافة إلى رواد المدرسة الرمزية
(بودلير ت 867 م) و(مالارميه ت 1898 م) . 2
بقيت هذه الآراء حتى مطلع القرن العشرين أين ظهر مؤيدين للنظرية جاعلين إياها درعا للدفاع والوقوف أمام استخدام الأدب لأغراض خالية من الفائدة الدائمة. ركزت نظرية الفن للفن في الأغلب على الوظيفة الجمالية للأدب ونفت تلك الوظائف النفعية والفكرية التي يؤديها الأدب. ونقرأ أيضا ويحتج قدامه في دفاعه النقدي بذريعة انفصال مادة الشعر عن لغته بتشبيه الشعر بفن الصياغة أو النجارة ذلك إن الحكم النقدي ينبغي أن ينصب على عملية تشكيل لمادة وتصويرها لا على المادة نفسها ومن هنا فان جودة المادة أو رداءتها لا ترفع من شأن عملية التشكيل والتصوير ولا تضع من قيمتها كما يزعم قدامه بمعنى أن الحكم النقدي في مجال الشعر ينبغي أن يتركز في الصياغة اللغوية وعنصر التصوير لا في الفكرة أو المعنى وأيا كان المعنى أو كانت الفكرة فان العبرة في جماليات الأسلوب وجودة الصياغة والتصوير ومن ثم فهو يستحسن قصيدة امرئ القيس السابقة فحشها ومنافاتها للقيم الأخلاقية, وإنا لنلاحظ أصداء تلك الدعوات ما تزال تتردد في جوانب النظرية النقدية المعاصرة. مبررة الزعم القائل بأن العملية النقدية ينبغي أن تتمركز في طريقة القول الشعري لا في القول نفسه. 1
وفي كتاب آخر بعنوان قراءة النص وجماليات التلقي يظهر البحث عن جماليات التلقي منذ أقدم العصور وكان أرسطوا بحكم أسبقيته الزمنية أول من عنى بظاهرة الجمال هذه حتى نالت حظا وافرا من فلسفته النقدية في فن الشعر، ثم كانت حركة النقد العربي بجهود روادها ذات إسهام واضح في إيجاد مفهوم يحقق الجمالية والمتعة الفنية في التعامل مع النص،
وقد يبدو التمايز واضحا بين أرسطو ونقادنا في اعتماده على المنزع الفلسفي من ناحية وتركيزه بشكل خاص على طبيعة العلاقة بين النص المسرحي والجمهور، بينما اعتمد مفهوم التلقي في رصيدنا النقدي بشكل عام على طبيعة العلاقة بين النص الغنائي في لغته ومعطياته الفنية وبين المتلقي معتمدا على الذوق الأدبي والحس الجمالي في التمرس بفن الأساليب العربية ، إن الإنسانَ يستجيب لكل الأشياء القائمة أمام حواسه وسطحها وكتلتها مما ينتج تناسقاً معيناً متعلق بسطح وشكل وكتلة الأشياء، ويظهر في صورة إحساس بالمتعة، إن الافتقار لمثل التناسق يؤدي إلى خلق شعور بعدم الارتياح أو اللامبالاة وعدم الرضا والنفور، فالإحساس بالتناسق الممتع هو الإحساس بالجمال والإحساس المضاد هو الإحساس بالقبح، حتى الجمالين الذين رأوا أن الفنَ غايةٌ في ذاته لم يخرجوا عن هذا الإطار، فالجمال يحقق للبشرية الرقي والتقدم والحضارة والأخلاق والقيم وكل ذلك2.
الأدب فن يخاطب القلب والوجدان ولا يحتكم إلى قواعد معينة بل هذه القواعد، أصلا، نابعة منه، فهي جزء من مجموعة قيمه الجمالية، هذه الدراسات الأكاديمية التي تلفظها الجامعات كل عام قد أضرت الأدب كثيرا وصرفته عن الوجهة التي وجد لأجلها وقلصت

1) (وليد الحمداني ، الجمال و التذوق الأدبي ، مقال ، ص 2 ،س 2013 .)

2) (روز غريب، النقد الجمالي، دار الفكر 1993، ص20.)

من فاعليته الاجتماعية. فلماذا لا نجتهد بدورنا لاستنباط نظريات نابعة من صميم تجربتنا الأدبية غايتها المحافظة على القيم الجمالية والفنية التي ترقى بالأدب ليؤدي وظيفته الفنية والاجتماعية أم أن الوقت لم يحن بعد؟. 1
ولكن هذه الفترة التي اهتم فيها الكتاب بالشكل كالمحسنات اللفضية والبلاغية تعتبر فترة انحطاط وما التركيز حول مصطلح (النهضة) إلا نوع من الاعتراف بأن لكل ما يكتب رسالة يود تبليغها وغاية يهفو إليها...قال هودسن:"إن الأدب تعبير عن الحياة وسيلته اللغة" وحسب هذا القول فإن الغاية من الادب هي المنفعة الذاتية والاجتماعية, فالمتعة والمنفعة في الأدب مصدرهما الأشياء التي نجدها في العمل الأدبي والتي لها منفعة إنسانية تعود على الفرد والمجتمع والصلة الوطيدة بين الادب والحياة هي السر فيما يتضمنه من منفعة.

❖ وظيفة الأدب فكرية مرتبطة بالحياة :

انطلاقا مما تقدم من آراء حول جمالية الأدب يظهر جليا بأن الجمال والمتعة هما الهدف الأسمى للأدب إذا صح هذا التفكير فأين تلك الآداب التي أدت إلى العديد من الإنجازات وما مصيرها؟ ولماذا جاء أفلاطون بنظرية المحاكاة مستبدلا نظرية الفن للفن بنظرية الفن والمجتمع التي تنادي بفكرية والأدب، فالنص الأدبي المكتوب ليس مجرد لغة مركبة بجماليات الصياغة واستخدام الرموز والالفاظ والموسيقى فحسب بل حامل للثقافة ومعبر عن الهوية وكثير من الأدباء تنقص عندهم نظريات النقد فيصبح النص المنقود أكثر أهمية من غيره حتى وإن كان النقد مضادا لإرادة الأديب نفسه كون النص ليس خلاصة وعي وشعور وإدراك الأديب فقط ولكن نفسية الأديب ومحيطه وأهدافه ورغباته اللاشعورية وثقافته تتحكم في صياغة النص بصورة قد تكون أكثر من رغبة الأديب في عملية جذب القارئ أو إمتاعه !2
الدراسات النقدية الثقافية تعمد إلى الانتقال من مجرد الدراسات الانطباعية غير المجدية واللغوية ودراسة جماليات النصوص الأدبية وأساليب إضافة الصور والرموز إلى رؤية وقراءة الخطاب الذي يحتويه النص الأدبي بشكل نظري تطبيقي قد لا يحقق للأديب رغبته في أن يتم مدحه وأسلوب كتابته ولكنه يعطي له أهمية أكثر في تكوين ثقافة جديدة قد لا يعيها أثناء كتابته.
لو كانت الوظيفة الأدبية من أجل الإمتاع وتحقيق الجمال فقط أو كانت هذه الوظيفة عكس هذا الجمال والإمتاع وكانت من أجل تحقيق غاية فكرية أو نفعية فقط فما الذي دفع بنا إلى هذا الجدال وحصر الوظيفة بين هاتين الثنائيتين؟ أي المتعة والفائدة أو الفكر والجمال فكما أشرنا في البداية أن الأدب شكل ومضمون (البنية والمحتوى)،(الطبيعة والوظيفة) دعنا نمثل بأبسط مثال نعيشه في حياتنا اليومية، سنختار المكان وليكن السوق

---

1) (محمد هواري، الوظيفة الفنية للأدب ، جريدة الخبر ، 2010) .

2) محمود أمين العالم :بين السياسة والأدب، محمود غنايم ، ص 130_131

وفي السوق في بيع وشراء فأي التجار يحقق ربحا أكبر؟ سنجيب كلنا بأنه ذلك المالك لأجود أنواع السلع، ولكن كيف يحقق ذلك التاجر الجودة لسلعته؟ ولتكن هذه السلعة خضرا مثلا ما هو الجواب يا ترى؟ سوف يأخذ التاجر المياه ويرش بها الطماطم والفلفل ثم يبدوا الأول أكثر نضجا وحمرة والثاني أكثر خضرة ونضجا وقبل دخولنا السوق من بعيد تجذبنا تلك الألوان

ونهرع مباشرة إلى ذلك المكان من أجل الشراء، فالمضمون يمثل الطمامم والفلفل أما الجمال فهو اللون البراق عن طريق المياه التي رشت على تلك الخضر وبهذا يكون التاجر قد بلغ غايته .

وهذا المثال أيضا قد لا يجرأ أستاذي على قراءته لبساطته وافتقاره للأساليب الجمالية التي تساعدني على جذب انتباه متلقيه الذي يتمثل في الأستاذ كون رسالتي قبل أي متلقي متوجهة إلى المشرف، وهنا يظهر جليا أن التاجر قد أوصل رسالته للمشتري بأسلوبه الجميل وحيلته في نفس الوقت أما أنا فلم أبلغها لافتقاري إلى الأسلوب واللغة الجميلين هذا هو بعينه الفرق بين الوظيفتين الفكرية والنفعية والجمالية الإمتاعية إن صح التعبير.

فالأدب وظيفة ونفعي وفكري قبل كل شيئ ومما يثبت ذلك دعنا نتعرض لمزيد من المعارف والآراء والأمثلة:

إن جعل الأدب مغامرة شكلية مسرفة في التجريد والتعقيد والاغتراب والتعالي1 وهذا النقد، بالطبع، لا يعني عدم اهتمام العالم بالشكل، أو رفضه للتجديد فيه، بل يعتقد جازمًا أن الشكل والمضمون يرتبطان في وحدة عضوية جدلية، ولكنه لا يوليهما نفس الأهمية، يعتقد أن إلغاء التمايز بين الشكل والمضمون محاولة في الحقيقة لإلغاء المضمون لحساب الشكل2 وهذا ما يعارضه العالم بشدة، إذ أنه يؤمن أن القيمة المضافة في الأدب إلى الحياة هي مضمون الأدب وليس شكله بالرغم من أنه يؤكد أن هذه القيمة المضافة تنبع من التشكيل النوعي الخاص لعناصر الموضوع، إلا أن هذا التشكيل يقود في النهاية إلى مضمون معين3 ومن الأمثلة التي يضربها العالم على أهمية المضمون مسرحية أهل الكهف(1935) لتوفيق الحكيم (ت 1987)، فالنقص المضموني أدى إلى نقص في فنية المسرحية.في رأي العالم، مسرحية تنتمي إلى الأدب الرجعي الذي يعرض مصر من جانبها المهزوم، ويصور أشد العصور نكوصا وتعسفًا. وقد انعكس هذا المفهوم الرجعي لفنية المسرحية وتماسكها الفني، فالأفكار تقدم في انتظام، والمشاعر خالية من النبض ولا شك أن مصدر هذا العجز الفني، أن فلسفة المسرحية مستمدة لا من نبض الواقع الحقيقي، وإنما من فلسفة فئة تتأمل الواقع دون أن تتحرك معه، ودون أن تشترك فيه، ودون أن تضيف إليه 4") إن اهتمام العالم بمضمون العمل الأدبي وفاعليته في الواقع هو ما دفعه إلى الوقوف بحزم ضد فكرة أدونيس (1930)،الذي يرمي إلى أن الثورة في الشعر هي ثورة في الأدب نفسه وفي بنيته الداخلية

---

1) (خالد القزحي، ما بين جماليات النص الأدبي وأهمية مضمونه ، ج الثورة، مح5، ثقافة و فكر)

2) :. مجلة مجمع اللغة العربية ، هيئة التحرير: شليمان جبران ، إ ابراهيم طه ، محمود غنايم

3) عبق الخزامى ، الشعر و الفكر ، جريدة الرياض ، سنة 2010 ، العدد 1231 .)

4) "البيان والتبيين" للجاحظ 1/ 241.

وليست ثورة اجتماعية أو سياسية للمشاركة في تغيير الواقع . ومن هنا يرى أدونيس مثلاً، أن شعر المقاومة الفلسطينية شعر غير ثوري لأنه لا يثور على التقاليد الشعرية.5 أما العالم فيرى أن هذه الثورة التي ينادي بها أدونيس داخل الشعر، والتي يمارسها في شعره» هي غربة بالشعر عن الحياة والإنسان، والثورة 1 «العالم يوافق أدونيس أن للشعر قوانينه الخاصة التي تختلف عن قوانين الواقع، ولكن هذا لا يعني الانفصال عن الواقع، ثم يتساءل»: ما قيمة التجديد في جماليات الشعر والفن، بحيث يصبح عاجزًا عن التعبير عن الحياة والإضافة إليها والمشاركة في تجديدها وتغييرها؟ 2 «ثم يطالب العالم أن يتجدد الشعر بقوانينه وأساليبه دون أن ينقطع عن الحياة 3 .

كما أن العالم يعارض دعوة أدونيس التي ترى أن الثورة التي تتمثل في هدم الأبنية اللغوية السائدة، هي معادل موضوعي ثوري في الأدب يعادل العمل الثوري في الواقع 4 فهذه، في رأي العالم، معادلة شكلية آلية ليست صحيحة، فمحاربة الأدوات التقليدية في الأدب لا تعني محاربة الرجعية في الواقع، كما أن الأدوات التقليدية ليست وقفًا على التقليديين5 .

فالأدب هو انعكاس لحركة الحياة داخل الإنسان وخارجه . وهذا الانعكاس ليس انعكاسا مرآويًا وآليًا، وإنما هو انعكاس جدلي يتضمن وقائع الحياة كما يتضمن فاعلية الإنسان وموقعه وموقفه من هذا الواقع 6. كما أن هذا الدياليكتيك يعني فاعلية هذا الواقع في المتلقي الذي يتأثر بما يتلقى. 7 ويشير العالم إلى مبدأين في هذا الدياليكتيك، مبد أ العلية ومبدأ الغائية. فبينما يعبر مبدأ العلية عن المصدر الاجتماعي للأدب، فإن مبدأ الغائية يعبر عن الفاعلية المؤثرة للأدب في الحياة » إن الأدب معلول للحياة، باعتبار أن الحياة مصدراً أساسي من مصادر وجوده وإبداعه، ولكنه كذلك إضافة إلى الحياة نفسها بما حققه من إبداع ومن هنا نلاحظ أن العالم قد شدد على أهمية دور الأديب في المجتمع، لا دور أدبه فقط. وفي كتاباته الأولى في الخمسينات نجده يقول بصريح العبارة »:إن الواقعية الجديدة موقف من الحياة، موقف مميز واضح له ارتباط قوي بمشاركة الأديب في الأحداث التي تجري والخوض فيها وتبني شعاراتها 1 .

وفي أماكن عدة وفي مناسبات شتّى راح العالم يؤكد العلاقة الوطيدة بين الأدب الواقعي وبين الدور الذي يلعبه الأدباء في الحياة، ويُبرز أهمية مساهمتهم الفعالة والعملية في قضايا

---

5) فائز العراقي ،شعر الانتفاضة في البعدين الفكري والفني ، ص 5)

1) العالم، ، 1989 ، ص 224

2) ن .م.، ص . 213

3) ن .م.، ص. 212

4) العالم وأنيس، 1989 ، ص 67.

5) أدونيس ، 1972ص - 137 ؛ 193أدونيس ، 1985ص176 – 175

6) ا لعالم، 1970 ص229

7) ن .م.، ص. 229

1) أدونيس، 1972 ، ص. 119 - 108

شعوبهم وفي معاركها، 2 بل نجده في كتابه في الثقافة المصرية يعلن بشكل لا يقبل التأويل أن من خواص الشاعر الجديد اشتراكه الفعلي في عمليات الكفاح، وهذه الخاصية هي مصدر ما في شعره من جدة ونضارة، وحركة وحياة 3« وينسحب هذا على وظيفة النقد الذي يجب أن يدرس موقف الأديب من الحياة، وهذه الدراسة، كما يرى العالم، لا تمس في فنية ما يُكتب »بل تساعد على الكشف عن الكثير من الأسرار الفنية الخافية 4 ولعل أكثر مقالات العالم حدة ومباشرة والتحامًا في السياسة مقدمته لكتاب قصص واقعية التي كتبها إبان حرب 1956 بالاشتراك مع الأديب العراقي الشيوعي غائب طعمة فرمان(ت 1990 ، فبينما يتوقع القارئ من المقدمة أن تعرض لقصص المجموعة راح الكاتبان يحددان في مقال سياسي مطول دور الأدب في معركة التحرير ومعركة الوحدة العربية5.

ورأى أرسطو (384-322) ق.م في كتابه (فن الشعر)، الذي ترجمه إلى اللغة العربية أبو بشر متى بن يونس، وظهرت بعد ذلك ترجمات عدة منها ترجمة عبد الرحمن بدوي:أنَّ المأساة (.. تثير الرحمة والخوف فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات). ومن ثم فإنَّ أرسطو يرى أنَّ للأدب مهمة معينة، وهي التطهير. ويتم التطهير عن طريق المحاكاة التي تحدّث عنها سلفه أفلاطون، وطورها أرسطو.الأدب هو المعبّر الأفضل والأقوى بين جميع الفنون عن النفس الإنسانية، التي تعكس كلّ ما في العالم. وبالتالي فإنَّ الأدب يعبّر عن كلِّ ما في العالم ماضيه وحاضره، فله علاقة بالدين والفلسفة والتاريخ.1

ويقول ميخائيل نعيمة في مقالة له بعنوان (ماهية الأدب ومهمته)، من مجموعة (دروب)، التي صدرت عام 1932:(وإذن فمهمة الأدب هي التعبير عن الإنسان وكلِّ حاجاته وحالاته تعبيراً جميلاً صادقاً من شأنه أن يساعد الإنسان على تفهم الغاية من وجوده، وأن يمهد الطريق إلى غايته. وإذن فللأدب رسالة سامية، وكل من أنكر على الأدب رسالته كان مارقاً من الأدب). بجمع كل هذه الآراء حول وظيفة الأدب ومهمته وأهميته وكذا دوره نخرج إلى نظرية أدبية تقول أن وظيفة الأدب فكرية من أجل المنفعة والإنسانية والعقلية وليس من أجل تحقيق الجمال.2

"إن الطريق الذي تسير عليه الأمم من أجل النجاح والرقي هو الأدب دون غيره، وذلك لأن الأدب هو ثقاف النفس، وصقال الهمة، ومثار كوامن العزائم، وهو المشتمل على نواحي الحياة الروحية كلها، فالنفس لا تتوق إلى المعالي إلا بالأدب، وهو المهماز الأعظم الذي يبعث النفس على الخب في ميدان المجد، ومتى أوجد الأدب هذا الشوق إلى المجد نشدت الأنفس ضوالة المتعددة، أينما وجدتها، ومن أي نوع كان، فكانت العلوم الكونية والمعارف الطبيعية، وجميع الأسباب التي لا تترقى الأمم إلا بها: النظم والنثر، الزجل

---

2) العالم، 1989 ، ص223

3) ن .م.، ص209 - 208

4) ن .م.، ص. 214

5) ن .م.،208

1) العالم وفرمان، 1956 ، ص. 24

2) وفرمان، 1956 ، ص32

والأمثال، والحكم والقصص، والأساطير والتاريخ، وكل ما يهز النفس ويروقها، ويثير فيها الوجد ويشوقها، هي ألوان الأدب الذي لا مناص للأمم التي تبغي العلاء، وتتقي الفناء من استيفاء شروطه،
واستكمال أدواته، حتى ترقى معارج المدينة، وتتسق لها السعادة في الداخل والسيادة في الخارج. فقلنا إذا إن الأدب هو تلك المرحلة الأساسية التي تمر عبرها الحياة وإنما هو القول الفصل المنحوت من أصفى مقاطع الحقيقة ولولا ذلك ما قال المؤرخون:"إن الثورة الفرنسية الكبرى ما كانت لتثور، لولا الأفكار التي زرعها "فولتيرن وروسو"، وهما من أساطير الأدب، ولما كان "كارليل" الكاتب الإنجليزي يقول:" نحن الإنجليز نرى شكسبير أنفس لدينا من الهند "، يبدو القول نوعا ما غريب لمن صعب عليه تأمله وفهمه بالصورة التي يجب أن تكون فيقول: "كيف أن فذا من أفذاذ الإنجليز مهما علا في الأدب كعبه، وملك العقول سلطانه، يكون لدى أدباء الإنجليز أثمن من الهند، التي تتوقف عليها عظمة بريطانيا كلها، ولكن من تعمق في النظر يجد أن شكسبير هو الذي بقصائده هز عواطف الأمة الإنجليزية، فأوردها موارد الصفاء، وأصعدها مصاعد العلاء، وحبب إليها الجمال والجلال، وأطعمها في القلم والكمال، وإن فتح الهند المشتملة على مئات الملايين من الأنفس إنما كان من ثمرات تلك الشجرة الأدبية، التي غرستها يد شكسبير في هذه الأمة العظيمة . 1
ولولا أن يكون الأدب هو مصدر الإنبعاث الروحي، ما كان الألمان فتنوا بغوايته، إلى حد أن شبانا كثيرين انتحروا من شدة التأثر بإحدى رواياته، وما كان بعضهم يقول:" إن الله عوض الألمان من المستعمرات بالأفكار الفلسفية، ومن الفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية، وهذه نتيجة الثقاف النفسي، والصقال المعنوي، وهو الأدب الذي نحن بصدده، والنهضة الفكرية والنهضة البدنية. 2
وعلى هذا يكون للأدب وظيفة قيمية فعّالة إلى جانب منفعة التطهير ألا وهي وظيفة التغير الاجتماعي والتعديل السلوكي لأفراد المجموع... وأكاد أزعم أن كل تجربة الإبداع الأدبي عبر العصور كانت ومازالت غائية وظيفية على اختلاف وظائفها وأهدافها حتى عند
البرناسيين، وقديماً رأينا أفلاطون يدعو إلى غاية تربوية خلقية للأديب وكذلك أرسطو وإن كان أرسطو لا يقصد سوى شعر المسرحيات والملاحم في دعوته، وقد كانا قريبي عهد بالإنسانية الفطرية حيث كانت الأساطير الشعرية حقائق عامة وكان الشاعر هو معلم الإنسانية شأنه شأن الفيلسوف وقد ظلت النظرة الغائية للشعر حتى العصور الحديثة عند بعض المذاهب الأدبية ولكن في نطاق يتجاوز الجانب الخلقي التقليدي لدى أفلاطون وأرسطو والكلاسيكيين 1

---

1) جريدة النور_ وظيفة الأدب ، تاريخ : 22/ كانون الثاني / 2013 ، العدد 611 .

2) العالم وأنيس، 1989 ، ص. 101

1) د. محمد غنيمى هلال، النقد الأدبي، نهضة مصر، بدون، ص453.

ويري د. محمود ذهني أن الأدب يسبق العلم في كثير من الاكتشافات ويقدم له الكثير من الخدمات (فألف ليلة ولية) وغيرها كانت سبباً في محاولة الطيران وقصص(جون فرن) حول الغواصة مكنت من اختراع الغواصة بنفس الكيفية [2]
وفي مجال العلوم الإنسانية فنظرية (فرويد) في التحليل النفسي على أساس مسرحية الملك (السوفنولكس) ومن المفروض أن الحياة الداخلية التي يعزوها المؤلف لشخصياته قد رسمت بدافع من الاستبطان اليقظ لنفسه وقد يصر المرء على أن الروايات العظيمة هي مرجع لعلماء النفس أو تواريخ لحالات معينة [3] ومن هنا فإن للأدب دورٌ ريادي في الاكتشافات العلمية في مجالات شتى وبهذا يحقق وظيفته النفعية والإنسانية.
ولكن كيف تم فصل الجمال عن الأدب وما مصير قول كانت(1724 – 1804 م)"إن العاطفة بدون الصورة عمياء، والصورة بدون العاطفة جوفاء "؟ يبدو أن هذا البحث كان في بدء طرحه أقرب إلى البحث الفلسفي منه إلى الواقع التطبيقي، كالكثير من بحوث الفلسفة في علم الجمال ولكنه بعد ذلك بدأ يأخذ أبعاده شيئًا فشيئًا حتى كاد يسيطر على ساحة الفن في الآونة الأخيرة.
على أن كثيرًا من الفلاسفة والنقاد لم يروا في هذا التقسيم إلا وسيلة لدراسة العمل وبيان قيمته الفنية، ومدى التناسق بين الشكل والمضمون أو الصورة والمادة إذ لا يمكن لأحدهما أن يستقل بنفسه، فالفكرة غير قادرة على القيام وحدها دون صورة تبرز من خلالها، كما أن الشكل الظاهر لا قيمة له إذا خلا من المعنى.

❖ الأدب قيمة جمالية و فكرية (صورة و مادة) :

لقد تعرضنا لنقاد وأدباء ومدارس نادوا بجمالية ومتعة الأدب كما التقينا أيضا بآخرين ينشدون النفعية والفكرية لوظيفة الأدب وكل من الطرفين برهن على موقفه بالطريقة المقنعة، فأين أحادية الوظيفة الأدبية إن صح التعبير من خلال ما تقدم فالظاهرتين اللتين ارتبطتا بالأدب منذ أقدم العصور ظلتا متلازمتين حتى احتلتا مركز الصدارة عبر تاريخ الأدب الانسانى هما النفعية التي تتعلق بالمضمون أو الاهتمام بالمضمون والجمالية التي تعنى بالشكل والمتعة (الشكل والجمال والفنية) ولقد كانت هاتان الظاهرتان تسيران متوازيتين في وقت من الأوقات بيد أن الوظيفة النفعية كانت تتقدم على الجمالية وبخاصة في العصور التي كانت تمجد العقل بوصفه لب الإبداع وجوهره وهى العصور التي مثلتها الكلاسيكية في الأدب الغربي وطلائع التفكير النقدي العربي حتى القرن السادس الهجري وقد استمر هذا التنازع بين هاتين الوظيفتين إلى الوقت الحاضر ليكشف الواقع الأدبي على اتساع مساحته سيادة الوظيفة التعليمية التي تحمل الأدب مهمات الكشف عن حقائق الكون والطبيعة الإنسانية وماهية الوجود الإنساني وسط تناقضات الحضارة المعاصرة وإشكالياتها المختلفة ولقد أثبت هذا النمط من الأدب ذي النزعة الإنسانية فاعليته وجدواه

---

2) (7 تذوق الأدب، ص32.)

3) أوستين واين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، 1972، ص37.

بما يتمتع به من قيم على الصعيد الأخلاقي ومعايير القيم الفنية الرفيعة في الوقت الذي يلحظ فيه أن الأدب الذي يلقي بكل ثقله الإبداعي على الوظيفة الجمالية الإقناعية متجاهلا سمو التجربة الإنسانية وقيمها العليا، لم يتمتع إلا بقيمة تاريخية بوصفه مرحلة من مراحل التطور الأدبي لا غير ولعل هذه الحقيقة هي التي تفسر اضمحلال التجارب الشعرية التي ابتدعتها حركة الفن للفن أو ما يسمى "البرناسية" التي تمخضت عن تجارب إبداعية لا تعتد بها من الناحية الموضوعية وكذلك ما يتعلق بالمنجز الروائي للواقعية الكلاسيكية والمنجز الشعري للحركات الرمزية والدادائية والسريالية مقارنة بالتجارب الشعرية التي عبرت عنها حركة الحداثة الشعرية في الغرب في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين ممثلة في أعمال ت.س اليوت وايديث سيتول ووليم تبلر بلتيس وغيرهم وهذه الحركة الحداثية الغربية قد أفادت من الإرث الفني كالتقنيات التعبيرية والأساليب الشعرية للحركات السابقة مثل استخدام الرمز والأسطورة وتوظيفها في صلب التجربة الإبداعية إلا أنها تميزت عن تلك الحركات السابقة بتعبيرها عن موضوعات إنسانية ذات قيمة كبرى ولذا فهي زاوجت بين وظيفتي الشعر: الإمتاع والمنفعة وهذا ما أضفى عليها أهمية متفردة مقارنة بالتجارب الشعرية للرمزية والسريالية التي تميزت بنزعتها الذاتية المطلقة ومواقفها الهروبية المنكسرة التي عبرت عن وعي فردي متأزم لا يرى وسيلة لحل تناقضاته مع الواقع الفاسد سوى الإحتماء بعوالم اللاشعور والضبابية الغامضة واللجوء إلى الأحلام والهلوسة وبهذا تكون نظرية الفن للفن قد أطنبت في إنساب الأدب إلى الغاية الجمالية وحدها لا محالة فإن كان ما قد نادوا إليه من جمال قد كان حقا ثابتا وصحيحا فأين ذهبت كل المنشآت الأدبية الأخرى فما دامت الحضارة والحياة الإنسانية التي يصورها الأدب بطبعها تشتمل على تجارب سياسية، ثقافية، عقائدية واجتماعية كما أشرنا سابقا في علاقات الأدب بجوانب الحياة المختلفة فكيف يكون الفصل بين النفعية والفكرية وبين الجمال والإمتاع؟ أليست تلك الجمالية التي كتب بها ذلك الإنجيل من أجل إيصال ذلك الفكر الذي يحمله على أحسن صورة حتى يستقطب أكبر قدر ممكن من الجماهير والقراء والتابعين؟! أليس أفق الإنتظار والتوقع في سرد الخطاب الروائي من أجل جعل المتلقي يتلهف لمصير ذلك البطل الضائع مثلا؟ أليس الجزء المحذوف من صورة الكهف من أجل توسيع خيال القارئ عند الآية قال الله تعالى: بسم الله الرحمان الرحيم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فالينظر أيها أزكى طعاما فاليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا(1) إنهم

1) صفية ناشي العتيبي ، مدخل لدراسة الأدب ، ص 6

إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذن أبدا (2) – حذف – وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا (3) } صدق الله العظيم من المصحف الشريف .

أليست قصيدة أو سينية البحتري الجميلة من أجل إيصال قصة الحرب بين إيوان وكسرى ؟

هذا يثبت مدى ارتباط الفكر بالجمال والعكس صحيح وإن أي محاولة لفصل الأدب عن الوظيفة النفعية والفكرية تعد ضربا من الجنون وإن دل على شيئ وإنما يدل على عدم دراية هؤلاء المؤيدين لنظرية الفن للفن بالأثر الذي يتركه الفكر في الأدب والغاية التي من أجلها وجد هذا الأخير أي الأدب.

لا يمكننا أن نتغذى ونتعشى ما لم تكن مائدة الطعام مزينة ونظيفة وجميلة وبالتالي نحرم من التذوق والتلذذ بالطعام كما لا يمكن أن نتذوق الأدب ما لم يحمل في طيات أسلوبه جمالا مثل الصورة البيانية في القصيدة والكناية والبديع من طباق وجناس وروي وقافية بالإضافة إلى المجاز) أما في القصة والرواية نذكر(الحذف، الزمن المزيف جرار جنيت، الفاصلة الجمالية، أفق الإنتضار، السوابق، العقدة في القصة وتأزم الأمور).. إلخ ولنوضح أكثر نقول أن الغاية تبرر الوسيلة بمعنى أن الفكر والتجارب الإنسانية وإيصالها عبارة عن غاية أما الأسلوب واللغة وجمال الألفاظ والعبارات فهي تحقق الجمالية التي نعتبرها وسيلة لبلوغ الغاية .

فحين نقول مثلا: غادرت العاصمة في الصباح الباكر(جملة مفيدة توصل بسهولة فكرة خروجي المبكر من العاصمة). أما عندما أقول غادرت العاصمة والطيور في أوكارها (المعنى نفسه ولكنه يحتاج إلى جهد أكثر من بسيط لفهم المحتوى هنا يتحقق الجمال فالجملة الإسمية الطيور في أوكارها كناية عن النهوض المبكر ولن يفهم المعنى إلا الإنسان الداري باللغة والأدب وأصوله. فأما الدليل على أن الجمال وسيلة من أجل إيصال الفكرة فنستعين بالقرآن الكريم والقرآن حين يسجل أثر الجمال على النفس، لا يسجله من ميدان واحد، بل من ميادين متعددة ، ومن ذلك:

حسن الحديث وجمال القول ففي قولنا: هذه كلمة بليغة، إنما نعني: ومن المعلوم أن الجمال في هذا المجال يطلق عليه لفظ" البلاغة " أنها مؤثرة، ملائمة للموضوع الذي قيلت فيه، استعملت فيها الألفاظ الفصيحة .. واستبعدت منها الألفاظ الغريبة المتنافرة وقد خوطب الرسول صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم أن يكون قوله بليغًا وخاصة مع أولئك الذين

---

2) (روز غريب، النقد الجمالي، دار الفكر 1993، ص20.)

3) محمد هواري، الوظيفة الفنية للأدب ، جريدة الخبر ، 2010)

لم يؤمنوا علَّهم يهتدون إلى الصواب. ومن جملة هؤلاء المنافقون الذين ورد في حقهم قوله تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا ﴾ [1]، وإذا كانت بلاغة القول - كما قلنا - هي مناسبته للحال، وهذا جانب مهم من أوصاف الجمال فإن بلاغة القول هنا مع المنافقين قد تكون فالكلام البليغ، كلام مؤثر ولا نعني بالبلاغة هنا جمال اللفظ الظاهر فحسب، فهذا جمال باهت قد لا يكون له تأثير، ولذا لم يعبر عنه القرآن.

نخلص مما تقدم إلى تقرير حقيقة نفسية مهمة، وهي أن للجمال سلطانه الواسع في النفس الإنسانية، وله الأثر الكبير في قيادتها والأخذ بيدها وهذه الحقيقة ينبغي الاستفادة منها في ميدان التربية، الأمر الذي لسنا بصدد الحديث عنه الآن، ولكن الذي نريد تأكيده في هذا الفصل:أن القرآن الكريم رتب على هذه الحقيقة أمورًا مهمة متعددة، حيث جعل من" الجمال"وسيلة مهمة استخدمها في عدد من الأغراض للتعامل مع هذا الإنسان من خلال المنهج الرباني، فكان من ذلك: أن جعله وسيلة لاختبار هذا الإنسان. كما جعله جزاء على العمل الصالح، للإغراء به والحث عليه . 1

وكما أن الجمال ليس هو كل الشيء الجميل، فكذلك" الجمال "هنا هو بعض وسائل الاختبار وهو - أيضًا - بعض الجزاء الخيّر على العمل الصالح وبهذا يبدو التناسق العجيب في صنعة الله حيثما اتجهت في الخلق وفي الفطرة، في الشريعة وفي المنهج، والتناسق سمة هامة من سمات الجمال. إن الشيء الجميل (ما يرضي الجميع من غير قاعدة)(9) كما يقول كانت ويتعارض ذلك مع (جان بول سارتر) الذي يرى أن العمل بدون غاية غير منطبق في العمل الأدبي، فالأدب منفعة ومتعة وتطهير ورسم لما ينبغي أن يكون عليه العالم بالأخذ من الماضي للحاضر والمستقبل أو من المستقبل والماضي، فالأدب (هو التأثير وكل تأثير يحدث عن طريق اللغة هو أدب وهناك صلة بين الأديب والقارئ فالأديب مؤثر والقارئ متأثر والأدب هو ذلك التأثير الذي ينتقل من الأديب إلى القارئ وقد يختلف هذا التأثير كأن يكون إعجاباً بالكاتب في طريقة عرضه للموضوع أو الأسلوب الذي يستخدمه أو القدرة على الوصف والتحليل أو حتى زعزعة الأفكار الراسخة في ذهن القارئ وتحويله عنها وقد يكون هذا الأثر ممتعاً جديداً لوجهة نظر تؤمن بها فيثبتها ويرسخها في ذهنك أو قد يكون وجهة نظر جديدة مغايرة لما نعتقد ومن كتب الأدب في هذا المجال ما يكون بعيد التأثير في شخصية القارئ أو سلوكه إذ يضع نفسه بذرة لاتجاه من الاتجاهات....، وكل عمل قوامه اللغة أدى إلى هذا التأثير هو أدب)1.

---

1) سورة النساء الآية 63

1) (روز غريب، النقد الجمالي، دار الفكر 1993، ص20.

1) (د. طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة 1991، ص11.)

4 النظريات الأدبية :

هناك العديد من النظريات التي حاولت تحديد ماهية ووظيفة و طبيعة الأدب و من بين هذه النظريات نجد

أولا : نظرية المحاكاة و أفلاطون الذي ربط الأدب بالطبيعة (علاقة الأدب بالحياة والأخلاق والسلوك الإنساني).

ثانيا : نظرية الخلق (علاقة الأدب بالجمال والتشكيل والبناء)

ثالثا : نظرية التعبير (علاقة الأدب بالذات والخيال)

رابعا : نظرية الإنعكاس (علاقة الأدب بالمجتع و الفكر (الأيديولوجيا)

خامسا : نظرية التلقي تناولت علاقة الأدب بالقارئ أو لمتلقي و التأويل .

سادسا : نظرية الأجناس الأدبية التي أخذت على عاتقها التنظير للأدب ألى غير ذلك من التيارات و النظريات التي لا تعد و لا تحصى مثل (نظرية البنائية صلاح فضل، نظرية التواصل و قراءة النص الأدبي، نظرية الرواية الغربية، .....)

وبهذا ننهي الفصل الثاني ملمين بالإشكال المطروح من الناحية النظرية مستدلين ببعض الأمثلة والإنجازات التاريخية للأدب حتى لا يكون بحثنا مجرد سطور على الأوراق دون ثوابت ومعالم إلا أننا لا يمكن أبدا أن نحيط بجميع المعالم الوظيفية للأدب ويكفي أن ننهي هذا الفصل بهذا التعريف الخاتم للأدب ثم ندخل في الجانب التطبيقي الذي سنحاول فيه إدراج نماذج أدبية حول الغايتين اللتان تحدثنا مطولا عنهما الفكر والمنفعة والمتعة

والجمالية، إذن فالأدب فيه (استثمار للجمال في خدمة الحقيقة وعرضها) لأنه يتحول إلى حامل للحقيقة، يوصلها بكل أبعادها المضيئة والمعتمة، الحقيقة بروعتها وجمالها وقبحها، من خلال الرؤية الذاتية للمبدع ومن خلال السياحة الخيالية، مع أفانين البلاغة بجناحيها (البياني والنوعي)، وحيث ينتشل الأدب الحقيقة من مواطنها في: (الواقع والحياة والفكر والفهم والخيال والقيمة والنفس) ليضعها في مركب جديد ومعرض جديد اسمه (النوع الأدبي) وقد حملت ألوان مواطنها التي قدمت منها، ضمن وظيفة جديدة ونسق جديد اسمه معرض (فن الشعر) أو معرض اسمه (فن القصة) أو معرض آخر اسمه (فن المسرحية) وهكذا مع امتداد الأجناس الأدبية التي تنوف على العشرين نوعاً.

---

1) (د. طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة 1991، ص11.)

الفصل الثالث

الجانب التطبيقي

الأدب بين الفكر والجمال

الفصل الثالث :

1 – مقدمة الفصل الثاني متمثلة في الخلاصة للجانب النظري بصفة عامة .

2 – إدراج بعض النماذج التطبيقية لإثبات الإشكال المطروح في الموضوع وهو كالتالي:

- نماذج تساند أصحاب الرأي القائل أن وظيفة الأدب جمالية:

1 – من القرآن أو الدين والعقيدة، من سور أو آيات وأحاديث إن وجدت.

2 – من النثر والثقافة العامة من خطاب (سياسي، روائي، قصصي، علمي، اجتماعي ..) رسائل، مقال، أمثال إن وجدنا نصيبا منها ...

3 – من الشعر الذي هو ديوان الحياة العالمية عامة والعربية خاصة إن صح التعبير، نأخذ من كل عصر قصيدة أو إثنتين تفي بالغرض أو فكرية الأدب .

- نماذج تساند الفئة التي تنادي بفكرية ونفعية الأدب:

1 – من القرآن أو الدين

2 – من النثر والحياة الثقافية والإجتماعية العامة والخاصة

3 – من الشعر ديوان العالم والعرب

- نماذج محللة وصفيا وجماليا ونقديا لإظهار ازدواجية الوظيفة الأدبية بين الفكر والنفعية وبين الجمال والإمتاع الفني، من القرآن على سبيل المثال(سورة أو قصة الكهف، من النثر مثلا تحليل نموذج من رواية وآخر من قصة، من الشعر تحليل قصيدة إيوان وكسرى مثلا ومديح الظل لمحمود درويش .....)

4 _ خاتمة الفصل الثالث وخلاصة البحث مصحوبا برأي خاص أو نقد شخصي.

مقدمة الفصل الثالث و الأخير :

بعد أن قمنا برحلة حول الأدب وما يتعلق به من حياة الإنسان وتجاربه المختلفة الميادين وما يختص به من شكل ومضمون، وطبيعة ووظيفة ولفظ ومعنى وفكر وجمالية وما عرفه من دراسات وإنتقادات آلت إلى الإختلاف بين الناقدين وانقسامهم إلى إتجاهات مختلفة متباينة كل ينادي حسب مبدأه، فوجدنا الأول ينشد ويفظل الشكل والطبيعة على حساب المضمون الذي عرف أيضا بدوره أنصاره ومؤيديه مثل أفلاطون والمحاكاة وأرسطو ثم وجدنا لوسيان غولدان الذي ربط الأدب بالجماعة وميخائيل نعيمة بالإظافة إلى عدد من الباحثين إلا أن خلافهم هذا حول الشكل والمظمون أو المنفعة والإمتاع نسطيع أن نقول أنه بات بالفشل والنجاح في نفس الوقت، بات بالنجاح لأن كلا الطرفين استطاع أن يجد لنفسه براهين وحجج وإثباتات لتأكيد النظرية التي نادوا إليها فأصحاب الشكل وجدوا أمثلتهم

وإثباتاتهم وأصحاب الرأي الثاني أي المضمون أيضا لم يخل بحثهم من هذه البراهين والتعليلات، أما كون الطرفين قد فشلوا فذلك من خلال عدم القدرة على الفصل بين الشكل والمضمون وبين الفكر للأدب والجمالية لأنهما أي الفكر والجمالية ظاهرتان ميزتا الأدب منذ نشأته لا يمكن أن تتواجد وادة دون الأخرى، ونستطيع أيظا أن نقول نجحوا من ناحية أخرى إذ لولا تلك الثورات الأدبية لما توصلوا إلى نتيجة عدم الفصل بين الظاهرتين الفكرية والجمالية، وهذا نعثر عليه من خلال النصوص الأدبية التي نتناولها يوميا، فالجمال حتما موجود والفكر أيضا موجود حتى وإن بدا ظاهريا منفصلين ولكن في الحقيقة متصلين

ومرتبطين رباطا قويا لا يمكن قطعه وهكذا انتهى الفصل النظري بصفة عامة وأما الآن فسوف نقدم النماذج التي من شأنها أن تبين الجمالية من ناحية كما تظهر الفكر

والمضمون من جهة أخرى ومن خلال تحليلها من طرف المتلقي العارف الذي يحور النص وينتج آخر سوف يجد النماذج الأدبية هذه تربط الجمال بالفكر لا محالة وهذه النماذج بطبيعة الحال حسب الأجناس الأدبية تتمثل في الشعر، النثر، فأما عن النثر فالصدارة

والأولوية الأولى للقرآن الكريم والسنة ثم تتبعه الأنواع الأخرى على غرارالقصة، الرواية، الحكاية، المقال والرسائل وأدب الرحلات والمسرحيات والأمثال أما في الشعر فمعروف وهو القصيدة وسوف نقدم هذه النماذج حسب الكمية والقدرة على إيجاد بعضا منها على حسب هذا التسلسل حتى يستوفي هذا البحث الغرض الذي يهدف إليه ألا وهو حل الإشكال القائم على جمالية الأدب وفكريته.

1 - نماذج تساند أصحاب الرأي القائل أن وظيفة الأدب جمالية :

– من القرآن أو الدين والعقيدة، من سور أو آيات أو أحاديث :

لاشك أنّ الظّاهرة الجمالية في القرآن أرفع وأجلّ من أن يختلف فيها اثنان، فالظّاهرة القرآنية ...ربنية المصدر تتوج) الإعجاز البياني (الذي تحدى العرب بيانا « وتحدى الناس شريعة ونظاما، وهي تتحدى الجماليين في روائعه وجمالياته وجلالياته، ودراسة الجمالية في القرآن ذات جوانب متشابكة:

- فهي منطلق ووجود حضاري لأقدس وأعظم سجلّ حضاري في الوجود.
-وهي اتجاه أدبي وفني رائد يغني الموضوعات الكونية والإلهية بأي الصور الأدبية والفنية الرائعة وهي منحى تربوي يلبي حاجات الإنسان الجمالية ويصبغه بالشخصية المسلمة على نمط جامع وفريد متميز1

✓ **أسلوب القرآن :**

واعتمد فيه على اللغة في سياقها النصي، وعلى الذوق المرهف والنزعة الوجدانية المتأصلة في النفس العربية، ويمثله الجاحظ وابن سنان الخفاجي وعبد القاهر الجرجاني... وغيرهم...

1 - **البعد التصوىري في القرآن الكرىم : (** سورة' ىوسف 'نموذجا)

➢ **مظاهر التصوير الفني في سورة يوسف :**

_ **الكلمة القرآنية** : إطلاق لفظ هو انبعاث لصورة ذهنية، مما يجعل للفظ كثافة إيحائية هامة هي مفاتيح الصورة، وهو ما عبر عنه "بكري شيخ أمين"خلال ثلاث ميزات للكلمة" الأولى : جمال وقعها على السمع، والثانية، اتساقها مع المعنى، والثالثة، اتساع دلالتها2 " "ياأيها الَّذين آمنوْا ما لكم إذا قِيل لكُم انفروْا فِي سبيلِ اللهِ اثَّاقلتم إلى الأرضِ (التوبة 38)، فلفظة اِثَّاقلتم (لها أداء فني يجعلها توحي بمعاها من قبل البحث عنه في المعاجم، إذ يستحضر القارئ في خياله ذلك الجسم المثاقل الذي يجهد الرفعون في حمله. ويتفق مع الثقل والعبئ، ذلك البطء العجيب في تلفظ الكلمة، ولو أبدل حرف الهمزة بالتاء فصارت الكلمة (تثاقلتم) لأوحت الإحساس بالخفة والسرعة لزوال الشدة، فلقد أدت كلمة (اثاقلتم) المعنى بدقة بما احتوته من حروف، ومن ترتيب لها، ومن حركة التشديد على الثاء، والمد بعده، ثم ورود القاف(حركة القلقلة)، ثم الثاء المهموسة، ثم الميم ذات الغنة. ومثل ذلك كثير في القرآن، ما يؤكد أن جرس المفردات القرآنية يوحي بالمعنى فضلا عن مدلولها اللغوي 1
ومن ألفاظ القرآن ما يرسم صورة لا بجرسه الموسيقي بل بظِلّهِ في الخيال، ومثال ذلك لفظ (يترقب) في قوله تعالى" فأصبح في المدينة خائفا يترقب") القصص(18) إذ ترسم هذه اللفظَة صورة الحذ ر المتلفت .
وقد يشترك الجرس والظل في مفردة واحدة كقوله تعالى: " (يوم يد عون إلى نارجهنم) دعاء (الطور 13). فلفظة (يدعون) تفيد الدع وهو الدفع في الظهر بعنف 2
وكما تؤدي الكلمُة القرآنية الصورَة، فإنه تؤديها أيضا العبارة القرآنية بصياغة بارعة تبرز القصد الديني والجمال الفني، تلائم مختلف أحوال المخاطب، وتتسع لِمختلف مناطات الفهم بدقة متناهية . ومِن أمثلة ذلك اختلاف الخِطاب حسب المتلقي، فهنالك الخالي الذهن،

---

1) (ندير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابرة، ط1 ، جدة السعودية، 1412 ه 1991 م، ص 6)

2) _ بكري شخ أمين : التعبير الفني في القرآن ص281

1 (انظر عبد الفتاح الخالدي :نظرية التصوير الفني عند سيد قطب .ص159)

2) (انظر المرجع نفسه .ص161)

والمتردد والمنكر، مثلا قوله تالى: (إنَّا إليكم مرسلون) (يس 14)، فلما اشتدَّ إنكار المنكرين كان الخِطاب(إنا ّإليكم لمرسُلون)"(يس 16)، وهكذا كان تقدير الكلام بحسب المقام 3 .

_ التجسيم الفني:

"وإبراز المعنويات الواردة في أجسام محسوسة وملموسة على العموم والشمول، والإعجاز القرآني حول هذه المعنويات المجردة إلى حياة فيها حركة وإحساس بعد أن كانت ساكنة باهتة جامدة، وفي ذلك إثارة، وجمال، وتدبر، وتفكر في كل ما تقع عليه الحواس في هذا الوجود " 1والتجسيم في القرآن حمل على معناه الاستعاري لا الحقيقي فالإسلام دين للتجريد والتريه. 2

_ تقديم للسورة : بسم الله الرحمن الرحيم

(الر تِلك آيات الكتابِ المبينِ 8 إنَّا أنْزلناه قرآنا عربيا لّعلَّكُم تعقِلون نحن نقُص عليك أحسن القصصِ بما أ وحينا إليك هذا القرآ ن وإن كنت مِن بلِهِ لمِن الْغافِلِين 8 إ ذ قال يوسف لِأبيهِ ياأبتِ إنِّي رَأيت أحد عشر كوكبا والشَّمس والْقمر رأيتهم لِي ساجِدِين 8 قَال يا بنيَّ لاتقصص رؤياك علَى إخوتِك فيكِيدوْا لك كيدا إنَّ الشَّيطان لِلإنسانِ عدو مبين 8 وكذلك يجتبيك ربك ويعلِّمك مِن تأْوِيلِ الأحادِيثِ ويتِم نِعمته علَيك وعَلَى آلِيعُقوب كما أتمّها علَى أبويك مِن قبل إبراهِيم وإسحاق إنَّ ربَّك علِيم حكِيم 8 لّقد كَان فِي يوسف وإخوتِهِ آيات لّلسَّائِلِين 8 إذ قالُوْا ليوسف وَأخوه أحب إلى أبينا مِنَّا ونحن عصبُة إنَّ أبانا لفِي ضلالٍ مبينٍ 8 اقتُلوْا يوسف أوِ اطرحوه أرض يخلُ لكم وجه أبيكم وتكُونوْا مِن بعدِهِ قوما صالِحِين 8 قال قآئِل مّنهم لا تقتُلوْا يوسف وَألقوه فِي غيابتِ الْجبِّ يلْتقِطْه بعض السَّيَّارةِ إن كنتم فَاعِلِين 8 قَالُوْا ياأبانا ما لك لا تأمنَّا علَى يوسف وإنَّا له لناصِحون 8 أرسِله معنا غدا يرتع ويلْعب وإنَّا له لحافِظون 8قال إنِّي ليحزننِي أن تذهبوْا بِهِ وَأخاف أن يأكُله الذِّئْب وَأنتم عنه غافِلون 8 قَالُوْا لئِن أكَله الذِّئْب ونحن عصبُة إنَّا إذا لّخاسِرون 8 فَلمَّا ذهبوْا بِهِ وَأجمعوْا أن يجعُلوه فِي غيابتِ الْجبِّ وَأوحينآ إليهِ لتنبِّئَنَّهم بأمرهِم هذا وهم لا يشعرون وجاؤوْا أباهم عِشاء يبكون 8 قَالُوْا يا أبانا إنَّا ذهبنا نستبِق وتركنا يوسف عِند متاعِنا فَأكَله الذِّئْب وما أنت بِمؤمِنٍ لّنا ولَو كنَّا صادِقِين 8 وجآؤوا علَى قَمِيصِهِ بِدمٍ كذِبٍ قَال بل سوَلت لكم أنُفسكُم .. 8 لقد كَان فِي قصصِهِم عِبرٌة لّأولِي الألبابِ ما كَان حدِيثًا يفترى ولَكِن صدِيق الَّذِي بين يديهِ وتفصِيل كلَّ شيءٍ وهدى ورحمَة لّقومٍ يؤمنون") صدق الله العظيم .

---

3 كلامنا لفظ مفيد كاستقم* و اسم و فعل ثم حر ف الكلِم انظر محمد بن عبد اللّه بن مالك الأندلسي :متن ألفية ابن مالك في النحو و الصرف، مؤسسة الرسالة .ط .1 سنة . 2002 ص6

1) (محمد دالي :الوحدة الفنية في القصة القرآنية .أمون للطباعة و التجليد .ط .1 سنة . 1993 ص 215)

2) (. انظر :سيد قطب :التصوير الفني في القرآن .ص72)

ذِكر المولى تبارك وتعالى لها، بعد الوصف: " نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت مِن قبلِهِ لمِن الغافِلِين (يوسف 4).[1]

_ التقديم للقصة :

القصة هي إحدى وسائل التعبير الفني، والتي يعد التصوير الفني أحد ألصق الخصائص الفنية، إلى جانب توفرها على عناصر فنية أخرى، مما يؤهلها لِتبوؤ مرتبة النموذج الفني الكامل، وقد جمعت نوعي القصة : بالحدث الذي تدور حوله الشخصيات، وبالشخص الذي تدور حوله الأحداث. وهي قصة ممتعة لطيفة، تحمل أجواء الأنس والرحمة بأسلوب فذ في ألفاظها وتعابيرها مما يجعلها تسري مع النفس، سريان الدم في العروق، فستراح لها، إذ تبين بالمثال والدليل كيف أن بعد العسر يسرا، وأن بعد الضيق فرجا. وعن فضل هذه السورة قال عطاء":لا يسمع سورة يوسف محزون إلا استراح إليها .

_ التناسق الفني : للتناسق الفني مستويات معنوية وشكلية، تجتمع لِتخرج النسق القرآني في أبهى حلّة تطرب لها الأذان، ويستسيغها اللسان، ويستشعرها الوجدان والتناسق بالنسبة للأشياء، هو النظم على حدٍّ سواء أو التنظيم، أما بالنسبة للأسلوب القرآني، فإن له أنواعا يبلغ القمة، إذ إنه" أسلوب متناسق، تتناسق ألفاظه وجمله، وتراكيبه، وتتناسق صوره، وظِلاله وتتناسق إيقاعاته وموسيقاه وهذا التناسق يحسِّه كل قارئ للقرآن بدرجات متفاوتة، وكثيرا ما يعجز عن تعليل ما يجده من أثر إيقاع القرآن في نفسه، وتأثيره على حسه[1] ومن أنواع التناسق في القرآن

1_ التناسق النفسي بين الأحاسيس المتتابعة ألمست مدَّة من تتابع الآيات، كجو الاستعاذة الذي تحدثه سورتي الفلق والناس عند قراءتهما[2]

2 _ تناسق معنوي يحققه حسن الانتقال بين الأغراض، كالانتقال من القصة إلى العظة في حركة رشيقة.

3 _ مناسبة الإيقاع الموسيقي لجو السياق العام، تتراوح ما بين سرعة وبطء، وشدة ولين، ومثال ذلك " سورة النازعات"، إذ تشيع السرعة لأنه جو مكهرب، في حين نجد آيات الدعاء رخية الحركة كما في أواخر سورة البقرة.

4 _ تناسق تأليف العبارات بانتقاء الألفاظ وحسن نظمها، نحو قوله تعالى في وصف أهل الجنة: وفِيه ما تشتهِيهِ الْأنُفس وتَلذُّ الْأعين وَأنتم فِيها خالِدون (الزخرف71) نهاية في الترغيب، وقوله تعالى(لوكَان فِيهما آلِهَة إلَّا اللّه لفسدتا الأنبياء(22) نهاية في الحجاج [3]4 .

_ المثال الثاني : سورة الكهف

---

1) (أحمد نوفل :سورة يوسف دراسة تحليلية .دار الفرقان للنشر عمان الأردن ط .2 سنة 1999 ص 14 عن صفوة التفاسير .ج .2 ص39)

1) (محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي ص 7069 و أنظر الزمخشري : الكشاف ، ص343

2) (محمد متولي الشعراوي : تفسير الشعراوي . ص7042

1) سيد قطب : في ظلال القرآن . ص2028

بما أن أسلوب القرآن الكريم تصويري في قصصه التي تعبر عن أهدافه فقد جاء اختيار موضوع الوصف في القصة القرآنية باختيار قصص سورة الكهف أنموذجا للتحليل، إذ تحوي هذه السورة أربع قصص متتابعة هي: قصة أصحاب الكهف، وقصة الرجلين المؤمن والكافر، وقصة موسى مع العبد الصالح، وقصة ذي القرنين . وهذا يعمل على تنوع المقاطع الوصفية وتنوع أشكالها في التعبير.

تقوم الدراسة التحليلية للنصوص الوصفية في قصص سورة الكهف للكشف عن القيم الجمالية والفنية وبيان الدلالات التي نتجت عنها 1

ومن أمثلة وصف الشخصية الشكل الخارجي لأصحاب الكهف كما في قوله تعالى:"

(وتَحسبهم أيقَاظًا وهم رقُود ونُقَلِّبهم ذَات الْيمين وذات الشمالِ وكَلْبهم باسطٌ ذراعيه بِالْوصيد لوِ اطَّلعت عليهِم لولَّيت منهم فرارا ولملئْت منهم رعبا, (سورة الكهف :الآية 18)

لقد تم تصوير المظهر الخارجي للكهف بحركة الشمس يميناً وشمالاً، ولكن لا تقدم صورة أصحاب الكهف، وقد عملت لفظة تا زور على إحياء المشهد (48)

إذ" أن المسرح الحديث بكل ما فيه من طرق الإضاءة ليكاد يعجز عن تصوير هذه الحركة المتماوجة، حركة الشمس وهي تازور عن الكهف عند مطلعها فلا تضيئه (49) ولكن توحي القصة بما في داخل الكهف في تعبير) وهم في فجوة منه (ليدل على المكان الذي تواجد فيه الشخصيات وتجري فيه الأحداث).

يُقال أن الكهف في الأردن، وذكر الهروي ان البلقاء بلد به الكهف أما الرقيم فعند مدينة يقال لها عمان قال المقدسي أن الرقيم قرية على بعد فرسخ من عمان (50) . وقد قامت مصلحة الآثار بالأردن بالتنقيب عن هذا الكهف"فوجدوه وعثر على مسجد بني على بقايا صومعة بيزنطية, فوقه هو يسمى بالرحيب، وقد استنتج رفيق الدجاني المساعد الفني لمدير الآثار العربية بالأردن أن بقايا الصومعة التي بني عليها المسجد هو المذكور في القرآن الكريم، وان الكهف الذي تحتها هو المذكور أيضاً وجاء هذا الاستنتاج لأن الشمس لا تدخل كهف الرحيب كما جاء في القرآن الكريم كماأن فيه ثمانية قبور بعدد أصحاب الكهف وكلبهم الذي رسمت صورته على الجدار(51) ومما تقدم من وصف الكهف تكون حركة الشمس المتماوجة في تصوير بديع كما أن القصة عرضت مشهد الأصحاب وهم فجوة في الكهف ثم بعثهم من الموت وينتهي ببعث أحدهم الى المدينة ليشتري الطعام ثم تعرض المشهد الخاص بموت أصحاب الكهف وقد حدث بين هذين المشهدين فجوات يملأها القارئ بخياله.

_ دراسة تحليلية التحليل الجمالي لنص " غبار الطهر " قصة الشاعرة بلقيس الجنابي

عندما لانرث من العيد إلا الفرحة التي تحلق كأغنيات الربيع
في ثنايا الروح نحُج لخيط مِن مرمر لنوثق به عبق ياسمينة فضية هاربة مِن غزو سماء عاشرة لتشتعل بك
فأنتَ العيد وأنتْ الرُكن الأكبر في حياتي
كل عام وأنت بخير. كل عام وأنتَ حبيبي،

---

1) (أ.م.د.يوسف سليمان الطحان ، ص 1)

أتعلم,! من النافذة أعلى الجدار الأزرق الداكن المطلة على الجنة كنتُ أجمع لك غُبار الطُهر من على أجنحة الملائكة
لأشكِلُها وشاحاً يحميك حبيبي من صقيع الأيام،
روحي ستبقى لآخر يوم بعُمري معلقة باطرافِ ثوبكَ
كمْ جميل أنْ تكون هنا, دراسة في هذا النص الذي يعد عنواناً للبناء الجمالي في فن القصة القصيرة..
هذا النص تنزّل علينا من سماوات الوحي لا ليبحثَ عن قراءٍ بل لينتظرَ المؤمنينَ به، فكِدتُ أشك أن قلم العرش"الفني" قد تحرك من جديد برسالة سماوية "أدبية" ترمي الى الحكمة المنوط بها من جراء هذا البديع الساحر الآسر1
وهذ النص القصير المكثف البليغ تقوم دعائمُهُ على منحنيين أساسيين من الناحيتين الفنية والموضوعية. فمن الناحية الموضوعية، اكتشاف الأسرار الغامضةِ العالقةِ بروح الحياةِ في بُعدِهَا الزماني وبعدِها الحدثيّ ومن الناحيةِ الفنيةِ فهي الخلقُ الجديدُ الذي يعيدُ عرضَ هذه الأسرار في شكلٍ جمالي بحتٍ ففي طليعة النص:
عِنْدَمَا لانَرِثَ مِنَ العِيْدِ إلا الفَرْحَة التي تُحَلِّقُ كأغْنياتِ الرَّبِيْع في ثَنَايَا الرُوْح"
أليس هذا السرد الشعري هو أجملُ عُرْسٍ يزاوجُ بين الشعر والنثر. هذا التعبيرُ لا تفرزه إلا مجامعةٌ جامحةٌ بينهما أنجبا من خلالها هذه المعاني السماوية التي تمتاز بجزالةِ اللفظِ وسمو المعنى. هذا هو التصوفُ الغامضُ في رؤيةِ العاطفةِ وإعادة تمثيلها في عملٍ أدبي. وقد تكون هذه العاطفة عاطفة حب شاملة المرجعية وهكذا يكون التعبير عن العاطفةِ وإلَّا فَلا.
اقتباس:"(عِنْدَمَا لانَرِثَ مِنَ العِيْدِ إلا الفَرْحَة التي تُحَلِّقُ كأغْنياتِ الرَّبِيْع
في ثَنَايَا الرُوْح نحُج لِخيطٍ مِنْ مَرْمَرٍ لِنوثقَ به عَبَقَ يَاسْمِيْنَةِ فِضِيِّةِ هَارِبَةِ مِنْ غَزْوِ سَمَاءٍ عَاشِرَةٍ لِتَشْتَعِلَ بِكَ") .
لك أن ترى وتتأملَ جمالَ هذا التركيب اللفظي والفني معا إنها صريحة للتحليق هياما وتيها في السمو القصيّ لاستشفاف لذة روح الجمال بالحس لأن العقل عاجز عن إدراك كل الحقائق الكونية فضلاً عن أنه لا يتحرك إلا بمعطيات ويعبر عن هذ الشاعر الألماني " هاينه " إذ يقول " إن الفن الكلاسيكي الواقعي لا يعبر إلا عن المحدود، لأن أشكاله المادية تعبر تعبيرا مباشرا وملموسا عن الفكرة المجردة التي تدور في ذهن الفنان، أما الفن الرومانسي، فعليه أن يعبر عن اللامحدود والروحي، والأداة الفنية الوحيدة التي تستطيع أن تنقل هذا اللامحدود والروحي تكمن في الرمز. "
فَأنْتَ العِيْدُ وأنْتَ الرُّكْنُ الأكْبَرُ في حَيَاتِي ،
كُلّ عَامٍ وَأنْتَ بِخَيْرٍ . كُلْ عَامٍ وَأنْتَ حَبِيْبِي،
وها هنا النص يتخذ لنفسه شكلا محددا كهدف في حد ذاته وهذا هو الفن الحق الذي يقدم التشكيلَ الحدثي لقيمتِهِ الجماليةِ في حد ذاتها, لكن قاصتنا بالرغم من هذا الهدف المحدد إلا أنها قد كسرت به الحدود الصارمة. لأن الفنَ بصفةٍ عامةٍ هو اظهارُ ما يتبلورُ ويتجوهرُ

) 1 الدراسة بقلم / أحمد عبدالعال رشيدي

في داخل الرُوْح. فلا محيص أن نستصيغه في شكلٍ منغومٍ لنقدمَ به وثيقة أدبية " ملحونة" . "لتكشفَ لنا القاصةُ عن تصوفِهَا في التعبيرَ عن عاطفتِها المتأججةِ بالذهنيةِ مرة والصوفيةِ تارة أخرى. فهذا النص لا ينجبه سوى قلم عبقري تحركت به أناملُ فنان أتقن فن الحياةَ فرفرفَ في اقاصيها بجناحي الحب هائماً متدلهاً. فهي كشفت في النفس الانسانية ما يمكن أن يتمخض فيها فعلاً مِن مشاعر تتسرب في جوانب النفس وتشيع في منافذ الحس. اذ هي تكتشف ما هو كامن ماثل في طوية النفس العاشقة فعلاً. كما يكتشف عالم النفس والطبيعة والكيمياء والاجتماع بعد نظريات عدة ما هو قائم في الكون فعلا. فاذا كانوا هؤلاء جميعا يبحثون عن صحة الحياة ومن ثم يبحث الطبيب عن صحة البدن فان قاصتنا ولا شك فنان يبحث عن صحة الذهن . 1

سماؤها وحي المبدع وأرضها وجدان المتلقي. وخيالك هو الواقع الغامض على المعنى الصحيح، لو سلمنا بأن كل نص أدبي يجب أن يتضمن معنى في حدود ذات معنى مدلول خارج حدود ذاته فطوبى لك، لكل الشواعر التي خالجت قريحتك فاندلعت بإثرهاــ من رحم خيالك.هذه القصيصة وأقصد هذه الحالة الشعورية .

ففي وجدانك الصافي النقي" الخصيب السرمدي الولاد أجِنَّةٌ "

عن قريب بإذن الله على الصفحات وفي ذائقة المتلقيين سجية مولدها..

_ تحليل رواية (زنقة بن بركة)

عندما تنهي قراءة رواية (زنقة بن بركة)(1) للروائي العراقي المبدع (محمود سعيد)، وهي الرواية الفائزة بجائزة أفضل رواية عراقية لعام 1994، ستشعر أولا وكأن أحداث هذه الرواية قد جرت في يوم واحد أو في زمن قصير جدا، وذلك بسبب إيقاعها اللاهث وتلاحق أحداثها وتسارع توتّراتها الدرامية. يتكفل بتأسيس هذا الشعور في نفس المتلقي عدم تقسيم الرواية إلى فصول كما جرت عليه الرواية تقليديا ووجود وقفات هي فرصة لاسترداد الأنفاس إذا جاز الوصف حيث قصّ الروائي أحداثها (قطعة واحدة) من ناحية، وانطبق المبنى على المعنى باتساق أخّاذ مبهر حيث لا توجد استطالات سردية ولا إفاضات وصفية ولا حشو لغوي زائد ولا إيغال مفرط في معاينة الحوادث من ناحية أخرى. وهذه الرشاقة السردية تجعلك تقرأ الرواية - إن توفرت لك فرصة طويلة كافية في هذا الزمن الأغبر- بصورة متواصلة وتحملها معك أينما حللت(وقد سبقني في الإشارة إلى هذا الأمر الزميل(عواد ناصر) الذي تحدّث في عموده الأسبوعي (قراءات) في ألف ياء الزمان عن انشداده المشوق لوقائع رواية (نات يعقوب) آخر نتاجات الروائي محمود سعيد الذي عدّه بعض النقاد العراقيين من أصحاب الواحدة وذلك لأننا لا نلاحق نتاج المبدع العراقي في حين نعرف آخر قصّة لأصغر قاص في كولومبيا). وقد تحدّث الروائي الإنجليزي (سومرست موم) في كتابه النقدي المهم (عشر روايات خالدة) الذي حلّل فيه عشر روايات عدهن أمهات الرواية العالمية عن عامل مهم يحدّد وفقه -مع عوامل أخرى طبعا-أهمية أي رواية وهو عدد الصفحات التي يقفزها القاريء منها بسبب الملل والضجر، وعلى هذا الأساس اعتبر رواية (دون كيخوتة) لسرفانتس رواية مضجرة

---

1) الروائي العراقي محمود سعيد

ولم يضمها إلى العشر روايات الخالدة التي حلّلها لأنه كان يقفز عشرات الصفحات منها ليرى إين سيكون مآل مصائر الحوادث التي كانت ثقيلة التفاصيل. ورواية زنقة بن بركة ،تحمل هذه الميزة المهمة؛ الرشاقة السردية التي تتجسد في بنائها منذ لحظة الاستهلال الذي يقول فيه الراوي – والرواية تسرد بضمير المتكلم / الأنا كاملة - :

(تحدّدت العطلة عندي من خلال حدث يبدو، في الأقل، أكثر أهمية من المعتاد، ولقد نسجت الصدفة ما جعلني أحس، أيام ذلك الصيف المتوتّر الذي قضيته في المحمدية "1 فضالة "عام 1965، أني أباشر تجربة العمر المثيرة التي تزوّق أحلام كلّ شاب – ص 5)، ثم، وبعد أن ألقى لنا هذا الطُعم النفسي، يتركنا متسائلين مع عوالق إيحاءات الحدث المقصود الذي لم نعرف كنهه ويرتد راجعا ليتحدث عن الكيفية التي حصل فيها على شقة في عمارة (الصيني) الرابضة على رأس شارع الزهور كما يسمّيه سي صابر أو(زنقة بن بركة) - وهو العنوان الذي اختاره المؤلف لروايته التي تجري وقائعها في المغرب - كما يسمّيه القادري. وفي هذا (الزنقة كما يسمونه هناك - الزقاق - العطفة - الشارع الضيق من الحي) ستقع حوادث الرواية الرئيسية، حوادث تعصف بحياة بطلنا(سي الشرقي) سلبا وإيجابا. والشرقي ترك بلاده وجاء ليمارس التدريس معلما في إحدى مدارس (المحمدية) أو(فضالة) كما يشير اسمها القديم التي وصلها بعد خمس وعشرين سنة من الحرمان والاضطهاد والقسوة والصراع السياسي والسجن والفصل والعطالة كما يقول. ومنذ السطر الأول الذي يلي الاستهلال سنمسك بواحدة من أهم سمات شخصية الشرقي وسلوكه التي ستسم مسار الرواية بميسمها الفاصل وتتراكب على ركيزتها الحوادث؛ ألا وهي سمة (الانبهار) السريع والمفرط، تلك السمة البارزة التي سنجدكم كانت مسؤولة عن عنفوان حياته الرغائبي وصخبها الدّي الجميل من جانب مثلما كانت مسؤولة عن فخاخ ومصائد مؤلمة محكمة نصبها له لاشعوره - ولاشعور الشخصيات الأخرى التي ارتبط بها - وكادت توصله إلى الخراب الشامل من جانب آخر. يتحدث عن الشقة التي عثر عليها قائلا أنها (كانت أكثر من ملائمة وجميلة ولذيذة، تباركها الشمس بأشعتها الدافئة حوالي الثانية عشرة – ص 5)، ويكشف استخدام وصف (لذيذة) لشقة سكنية عنف انسحاره بهذه الُلقية التي أربكت بصيرته اللغوية.هذا الارتباك الذي يصبح آسرا في مواضع أخرى حين ينظر الشرقي إلى الناس والموجودات بعين طفلية وبروح الالتحام العارم بالطبيعة .

_ تحليل قصيدة إيوان كسرى البحتري

المقطع(أ) : وصف حالة الشاعر وذكرياته المؤلمة، امتطى البحتري مطيته حاملاً همومه إلى بلاد الفرس البالية، لعله يجد في مصيبتها بفقد أهلها ما يخفف من مصيبته وفجيعته بفقد المتوكل وشعوره بالجفوة من قبل المنتصر(ابن المتوكل)، تذكر أولئك الذين كانوا يعيشون مطمئنين في ظل الملك العظيم (القصر الأبيض) العالي الشاهق الذي من شدة ارتفاعه يتعب العيون ويضعفها، وهكذا هي الحياة فالمصائب تذكر وتنسى، فالمصيبة الكبيرة تنسينا الصغيرة، أو الصغيرة تذكر بالكبيرة.... لكن كل شيء قد تغير فأصبح هذا القصر خالياً من الناس، فتصدع البيان، ينطق بفجيعة من كانوا فيه، فالليالي بمصائبها

1) (حسين سمرك حسن،)

وكوارثها قد صيرته بعد أن كان سكن للملوك الحافل بأعراس الزمان مكاناً مأتمياً، هو والقبر سواء، ولكنه رغم ما كان عليه من بؤس وتداعي وتهدم – شأن نفسية الشاعر – صبر متماسك ينطق بعظمة القوم وأصالتهم تاريخياً ورقيهم فناً وعمراناً.

_ مواطن الجمال :

(حضرت رحلي الهموم) استعارة مكنية، صور فيها الشاعر الهموم شيئاً مادياً يُحمل، وسر جمالها تجسيم المعنوي في صورة حسية،(أبيض المدائن) كناية عن موصوف هو قصر كسرى أنوشروان الأبيض(أتسلى عند الحظوظ) استعارة مكنية، صور الحظوظ بإنسان يتسلى عنده، وسر جمالها التشخيص (ذكرتتيهم الخطوب) استعارة مكنية، صور الخطوب.....

(وهم خافضون) كناية عن رفاهية العيش والاطمئنان، (ظال عالٍ مشرف) كناية عن صفة علو القصر والارتفاع (الليالي جعلت فيه مأتماً بعد عرس) استعارة مكنية، صور الليالي شيئاً مخيف فهي كالإنسان يحول الفرح إلى حزن .

_ القيمة الفنية للصورة التجسيم:

(مأتماً بعد عرس)، كناية عن الحزن والألم .

(مأتماً) استعارة تصريحية صور الحزن كالمأتم . شبه الحال التي كان فيها بالعرس وصرح بالمشبه به. وفيه طباق بين حالتين متضادتين

(وهو ينبيك) استعارة مكنية، صور القصر بالإنسان المخبر. وسر جمالها التشخيص .

(عجائب قوم) كناية عن عظمة الفرس تأريخياً وعراقتهم فناً وعمراناً تلك الصور جزئية، إلا أن البيتين (4، 5) يمثلان صورة كلية للقصر تتمثل فيها براعة البحتري في وصف وإحياء الجماد، ففيها الحركة خافضون، مشرف، يحسر، يخسي اللون: الظل، الصوت: المأتم والعرس .

_ المحسنات البديعية:

(تذكر وتنسي) طباق لتقوية المعنى وتوكيده .

(مأتماً وعرساً) طباق لتقوية المعنى وتوكيده، وكما يقال وبضدها تتميز الأشياء.

(يحسر ويخسي) لتقوية المعنى وإبرازه .

(آسى، ساسان) لإعطاء الجرس الموسيقي وإبراز المعنى.

الموسيقى :

البحتري متألق في إحياء الموسيقى الخارجية في شعره عن طريق المشاكلة بين الألفاظ والمعاني والتوافق الصوتي بين الحروف والكلمات" آسى وساسان، يحسر ويخسي " إضافة إلى الموسيقى الخارجية .

الوزن: (البحر الخفيف) والقافية (السين) .

_الأساليب :

خبرية لإظهار الأسى والحسرة (1 ، 2 ، 3 ، 4 ، 5) وتعظيم الفرس (4 ،6) إذا نظرت إلى صورة معركة أنطاكية التي دارت بين الروم والفرس أصابك الفزع فهي صورة ناطقة تتمثل فيها كل مظاهر القتال، ففيها ترى المنايا متحفزة لخطف الأرواح وكسرى أنوشروان يقود الجيش تحت الراية الكبرى المطرزة وهي راية الفرس المقدسة ترمز للانتصار، وقد لبس ملابساً خضراء وركب جواداً أسوداً يتحرك مزهواً بكسوته الصفراء المصبوغة بالورس. ويدور العراك أمام كسرى في جديدة فالكلام همس؛ لأن الصورة لا تظهر الصوت، ولكنها تظهر الحركة فهذا فارس يقظ ينقض برمحه على عدوه وهو ينظر من طرف خفي وراءه حتى لا يؤخذ على غرة وذلك فارس آخر حريص على توقي الطعن والضرب بترسه، إذا رأتهم العين في الصورة حسبتهم أحياءً يتحركون ولكنهم خرس لا ينطقون بل يتفاهمون بالإشارة ، وحينما وقفت أمام هذه الصورة توهمتهم أحياء وزاد في شكي فلم أعرف الحقيقة إلا بعد أن لمستهم بيدي .

_الصور:

رسم البحتري في هذا الجزء صورة كلية للمعركة كما تمثلها الرسوم على الجدران، فأنت تحس الحركة في "المنايا هوائل، يزجي الصفوف، يختال، عراك الرجال، مشيح، يهوي، مليح بترس جد أحياء " وتسمع الصوت في " خفوت، جرس" وترى اللون في "اخضرار، اصفرار، صبيغة ورس "والتصوير الكلي يعتمد على نظرة شاملة للموضوع.

والصوت والحركة وفي خلال هذه اللوحة الفنية جاءت صور بيانية جزئية . ففي البيت السابع "أنطاكية" مجاز مرسل عن المعركة علاقته المحلية فالصورة للمعركة وانطاكية محلها و"ارتعت" كناية عن قوة التعبير في الرسم حتى إنك تفزع وتظن الأمر حقيقة.

وفي البيت الثامن "المنايا مواثل" استعارة مكنية شبه المنايا بأشخاص مستعدين لتنفيذ الأوامر وحذف المشبه به ودل عليه بشيء من خصائصه وهو " مواثل" وسر جمالها التشخيص والتجسيم وفيها إيحاء بكثرة القتلى وشدة المعركة.

وفي البيت العاشر"بين يديه" كناية عن أمامه. وفي البيت الثاني عشر " تصف العين أنهم جد أحياء لهم بينهم إشارة خرس "تشبيه تمثيل ، فقد شبه هيئة الجنود وحركاتهم وإشاراتهم في الرسم في الرسم بهيئة أشخاص أحياء يتفاهمون بالإشارة لأنهم خرس. وفيه إيحاء ببراعة الرسم وقوة التعبير

_ الأساليب:

خبرية الوصف وإظهار الإعجاب بروعة الرسم، المقطع (ج) وصف صورة الإيوان، هذا الإيوان العظيم المستقر في قلب الجبل يثير الإعجاب والدهشة في صمته كأنه ترس، وفي حزنه كأنه يتهالك على فراق أحبته كمن أكره على تطليق عروسه وشقيقة روحه، وحتى الحظ عندما صار إليه العكس وانقلب نحساً، ثم تلتمع في مخيلته برؤى الأخيلة السعيدة، فيراه مجالاً رافلاً بحلل النعيم والحرير، مغرقاً بمظاهر السعادة، عالٍ بشرفاته المرتفعة كأنها فوق جبل رضوى أو القدس، بل يخيل إليه على أجنحة هذا الحلم أن القصر عامر كما كان بمراتب القوم، وأبناء الطبقات المختلفة، غاصاً بالوفود التي تقف خلف بعضها صفوفاً حاسرة كليلة، فهذا الجو المثير المبهج للنظر كأنه يوحي بأن انقضاءه كان

من يوم أو اثنين لا غير ، لم يتحسر على تلك الديار البائدة التي امتلأت بالفرح مدة طويلة، لكنها الآن أصبحت موطناً للحزن والأسى العاطفة المسيطرة على الشاعر الإعجاب بالإيوان وعظمة بنائه، والأسى والحسرة على ما آل إليه حاله، وهو إنما يتحسر على حاله هو فما الإيوان كما قلنا ... إلا أن الصورة لنفس الشاعر المتهدمة المليئة بالأسى والحسرة

_ **الصور** : 14(كأن الإيوان من عجب الصنعة جرب) شبه الإيوان في صمته وعظمته بالترس وهي توحي بالقوة أو بالفتحة الواسعة في وسط الجبل لاتساعه.
15 البيت كناية عن الحزن والمعاناة وتوحي بالاستمرار لاستخدام الشاعر لفظي(مصبح ممسي)، (يتظنى من الكآبة) استعارة مكنية صور الإيوان إنساناً كئيباً، وسر جماله التشخيص.

_ دراسة وتحليل قصيدة محمود درويش " مديح الظل "

يقول درويش:

استندت على جدار ساقط من شارع الزلزال.

أجمع صورتي من أجل موتك.

خرجت من بيروت منتصرا على الدنيا.

)ومنهزما أمام الله1).

إني أرتديك على الشظية قرب باب البيت.

)نبقى واقفين ، وواقفين إلى النهاية2).

هذه القصيدة التي تعد من أفضل قصائد محمود
درويش فهي تسجيليته التي تعتبر تحفة فنية تصور بالكلمات آشريط سينمائي تداعيات الموقف الفلسطيني بكل ما فيه من ألم وحزن وفخر وموت وخيانة ، وتسرد وقائع الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 بلغة شعرية تبهر القارئ وتجعله يحس وآأنه يعيش هذه الأحداث فعلا وذلك لأن درويش عايش هذا الاجتياح في أيامه الأولى لأنه آان لاجئا في لبنان لكنه اضطر إلى الخروج من بيروت هذا الأمر الذي أثر فيه آثيرا فجادت قريحته بهذه الملحمة الخالدة

_ جماليات النص الشعري:

لا يمكننا الحديث عن شعر درويش بمعزل عن القضية الفلسطينية أو القضية السياسية، غير أن ما يُحْسب لدرويش، ويميزه عن غيره من الشعراء، هو قدرته الكبيرة في تسخير قصيدته الشعرية وأبعدها الجمالية والفنية، لتصبح نصا كونيا لا مجرد قصيدة وطنية أو مناسباتية، ولعل القصيدة التي بين أيدينا "أحبك أكثر" من أدل القصائد على ذلك، فأبعادها الجمالية والفنية والدلالية، تجعل منها نصا متجددا في كل وقت وفي كل زمان، حيث تحس أن للقصيدة عالمها الخاص والمنفصل عن أي ارتباط مكاني أو زمني مؤقت، فنحن عندما نقرأ هذه القصيدة لا نجد بأنها تحيطنا بسياج ضيق ينتهي عند حدود الوطن

الفلسطيني (المكان)، ولا يتوقف بنا عن قضية الإحتلال ومقاومته في فترة زمنية بعينها، بل نجد أن نص مفتوح الأفق على قيم عاطفية وجمالية خارج إطار موضوعه.
وهذا ما طبع قصائد درويش بطابع الكونية المتجددة، وهذا ما ميزه كشاعر، فهو"لا يغني ككل البلابل"، كما عبر عن ذلك في هذه القصيدة.
تضمنت القصيدة عدة صور وتشبيهات واستعارات لها أبعاد فنية رائعة، نذكر على سبيل المثال لا الحصرنسيمك عنبر أرضك سكرغنائي خناجر ورد وصمتي طفولة رعد، وزنبقة من دماء فؤادي قلبك أخضر1..

_ المعالم الجمالية في قصيدة (الخيال والواقع) لنازك الملائكة :

يجب أنْ نتوقفَ فيها عند1:
ـــــ موقف النص من العالم (أي الواقع بأشيائه ومعنوياته) جمالياً
2 ـــــ تحديد القيمة الجمالية المطروحة في النص أو المهيمنة عليه، ومن ثم تحديد طبقة تلك القيمة وهل هي حسية أو نفسية أو روحية، ثم تحديد نوعية الحسي أو الروحي أو النفسي في علاقته بالقيم الاجتماعية السائدة أو المرتجاة ندخل القصيدة من مداخل ثلاثة هي:
المدخل الجمالي ـــــ المدخل الفني ـــــ المدخل الذاتي ونطلق على هذا المدخل مصطلح الحركة (الحركة الجمالية ـــــ الحركة الفنية ـــــ الحركة الذاتية) وذلك من منطلق أنَّ الفنَّ عموماً موقفٌ جماليٌّ من العالم يعيد صياغته بشكل فني. ويعبّر الشاعر أو المبدع فيه عن ذاته في علاقته بالظواهر من حوله .

_ الفن يدخل على ثلاثة مداخل أساسية مهمة : وهي الجانب الجمالي أو الموقف الجمالي (ولذلك سميت الفنون الجميلة لأنها تتخذ موقفاً جمالياً من العالم وتصوغه بشكل جميل هذه الصياغة هي صياغة جميلة، هي فنون، ولكن الفنان لا يمسك بالتصور وإنما يمسك بروحه وبعينه؛ فهو ينظر بعينه ويتفاعل بذاته؛ فنقول نحن أمام موقف ذاتي جمالي فني.

_ بيان العلاقة بين القيمة المهيمنة في النص وبين القيم الأخرى المطروحة فيه: أو حتى المغيَّبة عنه بسبب طغيان القيمة المهيمنة لاعتبارات ثقافية وجمالية ونصية:
النص الشعري يطرح قيمة جمالية؛ فكل نص فيه قيمة مهيمنة وبعض القيم العرضية المفتوحة، ولكن بشكل عرضي كل نص شعري يشدّك إلى قيمته الجمالية ولكنك تتعرف أيضاً إلى قيم عرضية في أثناء ذلك مثال ذلك قصيدة (بانت سعاد)2.
فالقيمة المحورية فيها مدح الرسول التي بنيت القصيدة عليها هي القيمة البطولية أي بطولة النبي الكريم :" إن النبي كسيف يستضاء به، مهند من سيوف الهند مسلول، نور

---

1) محمود درويش : *مديح الظل العالي ص 52* ، 53 .

2) المجلس الوطني للثقافة والفنون) شاكر عبد الحميد ، (التفضيل الجمالي) سلسلة عالم المعرفة رقم 267 ، والآداب ـــــ الكويت 2001 ، ص 106 .

يستضاء به فالقيمة الأساسية هي البطولية ولكن سعاد جميلة ولكن ناقته أيضاً كانت بطولية لأنها استطاعت أن تحميه من القتل هرب بها في البراري والقفار حتى استقرَّ رأيه أن يعود إلى
النبي الكريم معتذراً
لنقرأ النص قبل الذهاب إلى الدارسة ، تقول نازك الملائكة
الخيال والواقع
رحمة, لا تنزليني من سمائي
واتركيني في خيال الشعراء
اتركيني, لا تعيدي لي الظنونا
ودعيني أملأ الدنيا لحونا
وأصغ عمري جمالا وفتونا
أبدا أصدح حبّا وحنينا
لحبيبي وأنا تحت سمائي
وخيالي, من خيال الشعراء
اتركيني, أنا قد نحت طويلا
ودعيني أبصر الكون جميلا
شبع القلب دموعا وذهولا
فدعيه يقطع العمر جهولا
ويعش , مثلي في ظلّ السماء
ويشاركني خيال الشعراء
رحمة بي, رحمة, لا تحزنيني
ودعيني في خيالاتي, دعيني.
قصّة الإثم وأنباء المجون
لا تقصّيها على قلبي الحزين
ودعيه, في تعاليل السماء
ممعنا في نشوات الشعراء
أن يكن قلبي ظمآن وفيّا
لا يرى في شاعري إلا نبيّا
أو يكن يكتم حّبا شاعريّا
فهو ما زال بأوهامي يحيا
أبدا يرسم أحلام السماء
ويغني أغنيات الشعراء
قد سئمت الواقع المرّ المملا
ولقد عدت خيالا مضمحلا
فاتركيني بخيالي أتسلى ,
آه كاد اليأس يعروني , لولا
ّني لذت بأحلام السماء

وتخيّرت خيال الشعراء
يبدو لنا بداية الأمر من هذا النص أنه يلوح بالأمل ويلفحه الحب والمرح والبهجة والطرب والألحان، فأنت تقف بادئ الأمر على قولها " دعيني أملأ الدنيا لحونا، وأصغ عمري جمالاً وفتونا، ودعيني أبصر الكون جميلا
إلا أنك إذا قرأت الكلام ذاته ثانيةً وتتبعت ما يتلوه من عبارات لوجدت أن الكلام السابق كان وهماً في حياة الشاعرة، ولوجدتها تتكشف حقيقة غدر الحياة التي تشخّصت أمامها؛ فتظهرُ حياة القلق والظلام والألم على قصيدة الشاعرة؛ وأنت تلحظ قولها: " أنا قد نحت طويلا، شبع القلب دموعاً وذهولا، قلبي الحزين، قلبي ظمآن، سئمت الواقع المر المملا، كاد اليأس يعروني، لا تثيري ألمي، يهدم الحب" .....
فتصدمك هذه القصيدة بقتامتها وسوداويتها، لأن الشاعرة تتحرك في الوجود العربي المتلاطم حولها، وتعاني بحركية خلاقة ما يعاني؛ فتعبر تعبيراً مفتوحاً لا مغمغماً عن ذاتها ووجودها.
وأنت تلمح في نصها هذا الألم الدامع الرطب، والشقاء الجاف القاسي، حيث امتلأت جنباته وأركانه بنفثات الأسى الدامي؛ فجاء معبراً عن تجربة حياتية مريرة ممثلاً صراعاً إنسانياً مريراً بين الانجراف وراء التشاؤمية الهدامة القاتلة التي تدفعها حثيثاً نحو التخلص من الحياة، وبين الحياة الخصبة التي تفور بين جوانحها وتدفعها للمقاومة والبقاء والبناء.
"اتركيني لا تعيدي لي الظنونا ، .... ودعيني أبصر الكون جميلا شبع القلب دموعاً وذهولا ،... لا تحزنيني ودعيني في خيالاتي،.... دعيه في تعاليل السماء .... قد سئمت الواقع المر المملا (تصريح عن رفض الواقع الخدَّاع المتلون) دعيني أذق الأفراح مرة (وهذا اعتراف منها عن انعدام لحظات الفرح في حياتها)، لم يكن حبي سوى حلم غريب مده الوهم على قلبي الكئيب) التصريح بالإحساس بالانخداع والصحوة على الواقع المرير) ... لم يبق لي غير شحوبي ... ووهم الشعراء. قد قالت الشاعرة كل هذا في صور صغيرة جداً؛ فالقيمة المهيمنة على هذا المقاطع قيمة الجمال فهي تري الواقع الذي تبحث لها في سمائها عن جمهوريةٍ تضارع جمهورية أفلاطون .
إنك حيث تسمع قريضها تتساءل أمام هذه النفثات القلقة الثائرة والحائرة والحانقة، من أي نبعٍ استقت" نازك" شاعريتها، وما هي التجارب التي مرت بها، فعكستها في شعرها ألماً منغصاً وحقداً مريراً . ؟
ولعل أقوى تلك أسباب تشاؤم الشاعرة هي مثاليتها ــ كما قلنا سابقاً ــ وحبها للخير، ونزوعها إلى الحياة الاجتماعية المثلى والتي يسودها الإخاء، وتبتعد عنها أشباح الحقد، والقسوة، والكراهية، والغدر، التي آيست من إصلاحه (قد سئمت الواقع المر المملا .. لم يكن حبي سوى حلم غريب مده الوهم على قلبي الكئيب) هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إرهافها الشديد، وحساسيتها اللامتناهية وأغلب الظن أن حياة الشاعرة لم تكن كلها ظلاماً، ولكنها لم تصور ولم تسجل لنا إلا الناحية الكئيبة. وما أكثر الشعراء الذين لا يسجلون غلا الألم والشقاء، أما السعادة، وأما حياتهم اليومية فيحتفظون بها في أعماقهم دون أن يتمكنوا من رسمها وتصويرها فتظل غامضة .

فهل النص يقدم لك ذات متناقصة للنص أم يقدم لك ذات محبة لوطنه ؛ الشاعرة تقدم كل هذا الوصف وقد يكون متناقصاً في جانبٍ آخر.
نحن أمام ذات منتمية متداخلة مع مجتمعها؛ والحياة تقوم على تناقضاتٍ لا تعد ولا تحصى ، النص يرصد حالة المجتمع (قد سئمت الواقع المر المملا. (الشعر ما فعل إلا أنه جاء بهذا الواقع وراح يرسمه شعراً وفي رسمه الشعري أظهر التناقض (في الحالة النفسية الشعورية المتداخلة)، تقدم التآلف ولكن لا تقدم التناقض وتتآلف فيما بينها، وهنا النص يقدم لنا ألوان الجمال الذي لا يوجد إلا بالتناقض، أحياناً الانسجام الدائم يوقع بالملل؛ لذلك نحن أمام شاعرة ترصد بالكلمات ما تراه بعينها وتحاول ما أمكنها الابتعاد عن التقريرية.

_ بيان الأبعاد الثقافية للنص ومدى تمثيله لبعض القيم الثقافية المهيمنة أو المهمشة:

أ القيمة الثقافية لها مستويان : (مستوى عميق، ومستوى سطحي غالباً ما يخاطب النص القارئ بمستواه السطحي الظاهر ولكن المستوى العميق يؤثر أكثر من المستوى السطحي ولكنه لا يُكتشف إلا بالتحليل؛ مثال ذلك :
لا تطيق السادة أطواق العبيد
.لماذا تم حذف هذا المقطع من النشيد الوطني ؟
الشطر يحمل قيمتين قيمة السادة وقيمة العبيد وهناك قناعة لدى الشاعر وهناك قناعة لدى من يردد هذا النشيد بأن الناس ينقسمون إلى سادة وعبيد وهذه قيمة ثقافية مرفوضة.
المستترة تقول إننا نحن السادة وكل من سوانا عبيد فأطواق العبيد تدخل في سوانا. وكأننا نسعى إلى سيادة الآخرين وجعلهم عبيداً وهذا خطاب سيئ وكأنك تقاتل لرد العبودية عن نفسك ولكن لكي ترميها على الآخرين؛ هذا خطاب ثقافي عميق مرفوض.
يمكن أن نتعمق في دراسة الكثير الكثير من التعبيرات الشعبية فنجد فيها خطابين (خطاباً سطحياً) وهو المقصود وهناك (الخطاب العميق) وهو الذي يعبر عن وعي المجتمع، ونحن في التحليل الجمالي نحاول أن نكتشف مثل هذه الأبعاد .
هل كل نص ينطوي على تلك الأبعاد ؟ نقول نعم.
لكن هل كل نص ينطبق عليه هذه الأبعاد بشكل أوسع ؟
مثلاً : (لا تنزليني من سمائي، دعيني أملأ الدنيا لحونا، دعيني في خيالاتي، في تعاليل السماء، إن يكن قلبي ظمآن وفيا لا يرى في شاعري إلا نبيا ....): يوحي المعنى للمتأني في قراءته أن هذا اللون الصارخ فيه البعد الثقافي العميق، وهذا الحوار والرد قد جاء لمن حاول أن يكسّر مجاديفها وهي تحاوره في المحاور الأساسية للإصلاحات الاجتماعية، وكأنه يقول لها من أنتِ حتى تصلحي دنياكِ (أأنت ملاك، أم نبي، أم إله أحياناً يصعب أن نجد قيمة ثقافية عميقة أو واضحة، نحن أمام رصدٍ أو تصوير جمالي لتلك الألوان.

ب : الحركة الفنية:

_ بنية الصورة الفنية وطرائق تشكيلها ومدى التخيل أو الخلق أو المحاكاة فيها:
في الحركة الفنية نتفكر في الصور التي أبدعها المبدع أو التي انطوى عليها النص هناك الصور متعددة الجوانب: صورة تشبيهية وصورة استعارية وصورة مشهدية.

ونحن أمام مشهدٍ فيه صورٌ تُمازج ما بين المادي والمعنوي (خيال الشعراء: خبال، معنوي، شعراء: مادي ــ نشوات الشعراء، كان الحب في كفي زهرة، أحلام السماء، قلبي الحزين، تعاليل السماء، وهِما زال بأوهامي يحيا (.....
ومن اللافت إلى النظر أننا أمام نصٍ يقوم بكامله على تركيبٍ أساسي وهو خيال الشعراء) ؛ والسؤال هنا ترى لماذا ارتكزت الشاعرة على هذا التركيب، ولماذا كانت تكرره في كل مقطع من هذا النص ؟
من المعروف أنه قديماً كان الشاعر لسان قومه، وسلاحه، وقد تحدث عن ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان فقال في ميسم الشعراء:" فيحبُ على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشِّعرُ مَضَرّتَه، أن يتَّقِي لسانَ أخسِّ الشُّعراء وأجهلهم شِعراً بشِطْر ماله؛ بل بما أمكَن من ذلك، فأما العربيُّ أو المولى الرَّاوية، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلكه لما عنّفتُه.
وقد قال أبو الهلال العسكري " إن من ابتغاء الخير اتقاء الشر ومعناه أن لسان الشاعر مما يتقى، فينبغي أن يفتدى شره بما يعطى فهي تجعل المجتمع مسؤوليتها ومسؤولية كل الشعراء ، إذ من واجبهم إرشاد المجتمع وإصلاحه، وهديه، وتقويمه، والدفاع عنه.
أما عن لفظة الخيال فهي تجعل من مثلها أفلاطوناً آخر لتبني لهذا المجتمع جمهوريةً لا يمكن أن تبنى إلا في الخيال.

2ـــ بنية اللغة الشعرية من حيث التراكيب والجمل ومدى الانزياح في تلك اللغة ومدى الجدة أو الغرابة أو الألفة أو الاعتيادية فيها مع البيان الحقل الدلالي المهيمن :

ـ الانزياح: هو انحراف الدال اللغوي عن دلالته المتعارف عليها لينتج دلالة إضافية، والانزياح متفاوت من مستوىً ضئيل جداً قريب من النموذجي إلى مستوىً بعيد جداً.
والانزياح هو من الروافع لما هو شاعري، المجاز يقع في الانزياح التي ترفع اللغة الشعرية.

ـ الاستعارة : هي مجاز ينشأ عبر علامة لغوية في كلمة أخرى وهي تنشأ عبر كلمتين.
أما الانزياح، هو استخدام المفردة نفسها بدلالة جديدة ليس بالضرورة أن نجد في كل كلمة انزياحاً بل نمر بمقطع لا نجد فيه انزياحاً ونجد انزياحاً بمقطع آخر.
هنا نجد الانزياح في حده الأدنى لأن التركيب يأتي كاملاً بوصفه صورة والصورة نفسها منزاحة عما هو شائع ، لكن المفردات (الدوال اللغوية) في ذلك ليست منزاحة: (شبع القلب دموعاً وذهولا، دعيه في تعاليل السماء، فاتركيني بخيالي ....)، فالصورة هي التي بنيت بناء غريباً ولكن في نص آخر سنجد ذلك الانزياح.

ـ تحديد التناص وأبعاده ووظائفه الفنية والجمالية

التناص: ندرس من خلاله تواصل النص مع النصوص الأخرى؛ لا يمكن أن نجد نصاً لا يتناص مع نص آخر سبقه، والتناص هو التشرب والامتصاص أي كيف يمتص النص الجديد النصوص القديمة، فالنصوص القديمة هي ضحية الفن الشعري أو الروائي أو

القصصي، وهذه الهجينات مستمرة عبر النصوص، هناك تناص موسع وهناك تناص في حده الأدنى، وهناك تناص جدي، وتناص عفوي.
واسمع أحمد شوقي؛ وهو يقول :
لا تَقولوا حَطَّنا الدَهرُ فَما هُوَ إلّا مِن خَيالِ الشُعَراء.

_ ربط الحركة الفنية بالحركة الجمالية : هذا الحضور القوي للجمل الفعلية يدل على حركية الزمن وحتى في قولنا (الحوار المبطن لدينا حركية استمرارية في الزمن وهذا يوحي على استمرار موقفها من القضية التي تبنتها؛ الإصلاح والارتقاء بهم إلى السماء) وهذا ربط القيمة الجمالية التي طرحها النص وبيَّن هذا الإصرار للجمال عبر جمل حركية .

➢ نماذج تثت فكرية الأدب :

1 _ في القرآن (أسباب النزول سورة يوسف) :

❖ ملخص القصة :

كان يوسف ابنا ليعقوب _عليهما السلام - والأبَّ إليه من بين أبنائه الأحد عشر خاصة بعد أن قَصَّ عليه ما رآه في منامه مِن سجود أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له، فحذَّره يعقوب مِن قَص رؤياه على إخوته خشية أن يكيدوا له، لكنهم يكيدون له بالفعل بدافع غيرتهم من حبِّ أبيهم المفرط له، إذ يقدِمون على تغريبه في غيابات الجب، فتلتقطه قافلة باتجاه مصر، أين يباع لعزيزها الذي يؤويه في بيته إلى أن يبلغ أشده، فتراوده امرأة العزيز عن نفسه، لكنه لا يمتثل لرغبتها، فيزج إلى السجن أين يعبر رؤى الفتيين والملك، مما يؤهله للخروج مِن السجن بعد إظها براءته، ويتولى شؤون خزائن مصر1.

❖ تصوير الحالات النفسية :

وهو اللون الثاني من ألوان التصوير الفني في القصة القرآنية، ويقصد به تصوير ما يختلج في نفوس الشخصيات من أحاسيس، ومشاعر مختلفة . وقصة يوسف عليه السلام، ثرية إذ تعج بالانفعالات والمشاعر من فرح وحزن، واندفاع وإحجام، وانتقام وعفو، وغضب ورضى، ويأس وأمل، واستعطاف ورعونة، واستبشار وحذر، وحب وكره، وشهوة وامتناع وهي حالات نفسية عديدة يظهر بعضها على بعضها حسب الأهمية لذا كان التركيز على الأصل فيها لأن بقية الحالات النفسية ناتجة عنها :

❖ المثال الثاني :(تصوير الأمثال) :

إن ضرب المثل في غضون الكلام يعتبر لونا متميزا مِن ألوان التشبيه، ويعتبر أحيانا لونا خاصا من ألوان الاستعارة. فإن كان الممثَّل له، مذكورا في الكلام، كان تشبيها، وإن كان محذوفا، فهو استعارة والأمثال لا تشترط صحتها على أنها واقعة تاريخية ثابتة، وإنما يشترط

1) (أ.م.د.يوسف سليمان الطحان ، الوصف في قصص سورة الكهف -دراسة تحليلية ، ص 11 ، 12 ، 13)

فقط إمكان صحتها، أي وقوعها حتى يتسنى للذهن تصورها كما لو أنها وقعت فعلا، فمِن أجل ذلك يمكن الربط بين المثال والمعنى الممثَّل له حتى يلبس نسيجا ماديا محسوسا، يتصوره الذهن، ويألفه الخيال كما لا يشترط أيضا عدم صحتها في نطاق الواقع التاريخي، فربما ضرب المثل بقصة واقعة، وفي القرآن مِن ذلك كثير، وإنما تسمى القصة عندئذ تمثيلا لأنها سيقت مساق التمثيل بها، ولم تورد على أساس الإخبار عنها1 "

وتتمثل مهمة المثل القرآني في تقريب المعاني إلى أذهان البشر، وجعلها محسوسة لهم بما لها من ارتباط بشؤون حياتهم، (إِنَّ مَثَل عِيسى عِند اللّهِ كمَثَلِ آدم خلقه من تراب)"(آل عمران 59)" فطريقة خلْق عيسى مِن أم ولا أب، ومِن قبله آدم من لا أب ولا أم، كانت خروجا عن النظام المألوف وعن سنة الله في خلق الناس أجمعين من أم وأب .

❖ **المثال الثالث : تصوير مشاهد القيامة :**

قال تعالى :"(هل أتى علَى الْإنسانِ حِين مِّن الدَّهر لم يكن شيئًا مَّذ كورا 8 إِنّ إليك القريب من قريب خلَقنا الْإنسان مِن نطْفةٍ أمشاجٍ نَّبتلِيهِ فجعلْناه سمِيعا بصِيرا").

تعتبر مشاهد القيامة مِن أبرز مواضيع التصوير في القرآن الكريم، إذ تعرض مشاهِد البعث والحساب والنعيم والعذاب عرضًا مصورا، حيا متحركا شاخصا، تخفق القلوب منه، وتقشعر الجلود، ويسري إلى النفوس الفزع مرة، والاطمئنان أخرى، ويصبح عالم الآخرة وكأنه ماثل للعيان.أما المؤمنون، فلهم الجنة، وأما الكافرون فلهم النار حقيقة تعرض في صور ومشاهد شتى بطرائق مختلفة منها ما يلي:

"مرة يبدو أول مشهد في الحياة الدنيا، ونهايته في الحياة الأخرى دون توقف وبلا فواصل، فيخيل إليك أنه قريب من قريب .2

إرضاؤه العقل و العاطفة معا: فالقرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع الحق والجمال معا بأسلوب تصويري فريد مثلا قوله تعالى ومن آياتِهِ أنّك ترى الْأرض خاشِعَة فإِذا أنزلْنا علَيها الْماء اهتزّت وربت إنّ الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيئ قدير (فصلت39) إنه الاستلال المنطقي والإمتاع العاطفي معا3

❖ **نتيجة مفهوم التصوير الفني في القرآن :**

التصوير الفني هو أحد وجوه الإعجاز البياني في إطار الأسلوب القرآني، فالتصوير بالكلمات المجردة يعدِل بل يفوق الريشة الملونة، والعدسة المشخصة، فيؤثر في المتلقي وجدانيا، وهو أسلوب تعبيري لكثير من الباحث القرآنية ثانيا: إن اللبنة الأولى في إخراج هذه المشاهد التصويرية هي الكلمة والتي يتم من خلالها استحضار المشهد إذ تبث فيه الحياة والحركة، وقد تؤدي المشهد أكثر من كلمة في حجم آية، أو مِن عدة آيات في حجم صورة، أو مِن عدة

---

1) _ (انظر محمد سعيد رمضان البوطي :من روائع القرآن .ص 181)

2) (- دلائل الإعجاز- للجرجاني (ت471هـ) قرأه وعلق عليه محمود شاكر – مكتبة الخانجي – القاهرة – 1984م.

3) انظر محمد الصالح صديق .البيان في علوم القرآن .ص235)

صور، وهي صور فنية يتضافر في إخراجها اللغة والدلالة والإيقاع ... تشترك كلها لتقديم المشهد بأبهى حلّة وأقوى تأثير.
إن هذه النماذج المأخوذة من القرآن تحمل في ياتها إلى جانب كونها كلام الله الإعجازي قصص ما دام القرآن الكريم كله قصص ولهذا في ميان القصة يكفي أن نستعين بقصة واحدة كوننا أخذن القصط الكافي من القصص التي تضمنها القرآن كما سبق وذكرنا .

2 تقنيات السرد في ألف ليلة وليلة: (دراسة تطبيقية في حكاية (حاسب كريم الدين)

كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن السرد والسرديات خاصة في الدراسات النقدية الحديثة لما لهذا الجانب من أهمية كبيرة في دراسة النص الإبداعي قديمه وحديثه. والسرد في أصل اللغة العربية هو (التتابع الماضي على سيرة واحدة وسرد الحديث والقراءة من هذا المنطلق الاشتقاقي، ثم أصبح السرد يطلق في الأعمال القصصية على كل ماخالف الحوار، ثم لم يلبث أن تطور مفهوم السرد على أيامنا هذه في الغرب إلى معنى اصطلاحي أهم وأشمل، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي برمته 1. فكأنه الطريقة التي يختارها الروائي أو القاص أو حتى المبدع الشعبي (الحاكي) ليقدم بها الحديث إلى المتلقي. فكان السرد إذن هو نسيج الكلام ولكن في صورة حكي. وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل معظم المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً)(1).
فيما يأخذ السرد طريقه في النقد الحديث الذي يهتم به اهتماماً كبيراً فيقسمه إلى نوعين هما:
1 ــ السردية الدلالية.
2 ــ السردية اللسانية.
وتنطلق هذه الدراسة اعتماداً على النوع الأول، وهو السردية الدلالية، ومما يعنيه هذا النوع، هو أنها أي السردية الدلالية: (تعنى بمضمون الأفعال السردية دونما اهتمام بالسرد الذي يكونها. إنها المنطلق الذي يحكم تعاقب تلك الأفعال).(21).(قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية –د.نبيلة إبراهيم- دار العودة- بيروت- 1974.
ما تقدم يمكن الوصول إلى:
1- إن تراثنا الأدبي القديم لو قرئ قراءة متأنية لتوصلنا إلى ما فيه من كنز ثمين للأفكار والطروحات التي يمكنها الإجابة عن عشرات الأسئلة التي يمكن أن تطرح في زماننا هذا.

---

1 ـ ألف ليلة وليلة- ص957.

1 نفس المرج ، ص 955

1) نفس المرجع ، ص 1955

2- إن هذا التراث يزخر، كالتراث العالمي، بالكثير من النظريات والأفكار التي يمكن تشكيلها بصورة متكاملة تجعل منها ليس نظيراً إلى ماطرح في التراث العالمي وإنما أكثر عمقاً واستجابة إلى ما تريد أن تقولـــه تلك الأفكار والطروحات العالمية –الإغريقية واليونانية- القديمة.خاصة فيما يتعلق بالطروحات النفسية والاجتماعية المعروفة كعقدة (أوديب) و(أورست).

3- إن عقدة (جودر) يمكن عدها من العقد المهمة في التحليل النفسي والتي يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج مهمة في تفسير سلوك بعض شخصيات الأعمال الأدبية.

4- إن عقدة (جودر) استطاعت – في السطور السابقة - أن تقدم تحليلاً نفسياً لسلوك بطل (السراب) الذي شككت، بعض الدراسات التحليلية له، في أن يكون بمقدور التحليل المعتمد على عقدتي (أوديب) و(أو رست) من تفسير ذلك السلوك.2

المثال اثاني في الرواية ("رواية المعجزة) :

❖ البنية النصية والفنية :

إذا ما بدأنا بعنوان الرواية، نجد الكاتب اختار لها عنوانا دالا عليها، معبرا عنها، ناطقا بما اشتملت عليه من أحداث، وموحدا لها وضابطا لعناصرها، "ومعنى ذلك أن الكاتب وفق في اختياره إياه بجعله ينتظم مختلف مكونات النص، وتتحقق من خلاله"دعوى النص "باعتبارها بؤرة الحكي وركيزة السرد (3).وتتضح المعجزة في رواية المعجزة من خلال حدثين هامين هما :إعادة الحياة لساتر، وحمل مريم بعد عقم، بالإضافة إلى الحوادث الأخرى خلال الرواية والموحية بدلالات غير طبيعية.

وربما أراد الكاتب من روايته دلالة رمزية لما هو محيط به وبغيره في المجتمعات التي تزعم الحضارة والتقدم، " فيشف عن عمق إنساني مات في عصر، أو همّ بالنور والعدل والعلم والتقدم والنعيم ، فطغت فيه المادة وعمت الانتهازية ، وشاع النفاق واستبد الاستبداد ونفقت سوق الاستغلال، وذاع صيت الانحراف) ."

❖ مثال في الشعر: (سينية البحتري) :

النفس الإنسانية هي واحدة لا تتغير على مر الدهور وكر العصور، تأسى وتحزن، تنتشي وتتألم. تحوز ما تتشوف إليه فتسعد، ويخطئها ذلك أحياناً فتشكو. وترى الحكيم العاقل يكتسب العظات من هذا وذاك، فيرسلها حِكَماً تنقش على جدار الزمن، فتتلقفها النفوس، وتغتذي منها العقول . هذا شاعرنا العظيم أبو الوليد البحتري يقف على إيوان كسرى، فيستلهم الحادثات كنوزاً من العبر، ويستنبط من صروف الدهر العِظات والدروس فيرسلها أبياتاً تزداد بريقاً وتوهجاً لآلئ بلاغة، وضياء معرفة.

فهو يصون نفسه عما يشينها، ويتماسك لتقلبات الدهر، فلا يتضعضع لجفاء الناس إنما يبتعد عمن يتناساه، ويرحل عنه.

---

1 (هشام محمد قربان ، الأدب جمال الحياة

2 سعيد يقطين،التحويلات السردية و الحكائية في رواية المعجزة ، ص 140

❖ مناسبة القصيدة

كانت " المدائن" عاصمة بلاد الفرس قبل أن يفتحها المسلمون، أما مقر الملك فيها فيُدعى" القصر الأبيض" وفي وسطه "إيوان كسرى" قاعةُ عرش كسرى. وعلى جدرانها رسمت معركة أنطاكية التي دارت بين الفرس والروم.

وقد أصبح هذا القصر من الآثار الرائعة بعد زوال دولة الفرس. وكان البحتري الشاعر المقرب للخليفة العباسي المتوكل، فلما قتل حزن عليه ورثاه، فضاق به "المنتصر بالله "ابن المتوكل الذي كانت له يد في قتل أبيه، فجفاه وفترت العلاقة بينهما، فامتلأت نفس البحتري هما وغمّاً، وذهب إلى المدائن في رحلة يسلي بها نفسه، فوقف أمام الإيوان الدارس يصفه

وصفا حسيا رائعا، ثم انتقل إلى تاريخهم وعظمتهم والقصيدة تقع في ستة وخمسين بيتا، عشرة منها في ذكر حاله وشكوى دهره، وستة في السبب التاريخي لهذه الوقفة، ثم ستة في ذكر عظمة الفرس، وستة في ذكر أحوال خاصة. وما بقي وصف للإيوان وقد تفنن فيه الشاعر في الوصف، وقد فاضت خواطره وتأملاته وآلامه وفيها يذكر جفاء (المنتصر) ابن المتوكل، ويذكر رحلته إلى بلاد الفرس ونفسه مليئة بالحزن لاغتيال المتوكل، فيقول:

صنت نفسي عما يدنس نفسي *** وَتَرَفَّعتُ عَن جَدا كُلّ جِبسِ
وَتَماسَكتُ حينَ زَعزَعَني الدَهــ *** ــرُ التِماسًا مِنهُ لِتَعسي وَنَكسي
بُلَغٌ مِن صُبابَةِ العَيشِ عِندي *** طَفَّفَتها الأَيّامُ تَطفيفَ بَخسِ
وَبَعيدٌ مابَينَ وارِدِ رِفْهٍ *** عَلَلٍ شُربُهُ وَوارِدِ خِمسِ
وَكَأَنَّ الزَمانَ أَصبَحَ مَحمو *** لًا هَواهُ مَعَ الأَخَسِّ الأَخَسّ
وَاشتِرائي العِراقَ خُطَّةُ غَبنٍ *** بَعدَ بَيعي الشَآمَ بَيعَةَ وَكسِ [1]

بالنظر إلى كل هذه النماذج المقدمة نلاحظ أن أي نموذج نعثر عليه إلا و حمل معه رسالة سواءا كانت تربوية أو سياسية أو عليمية تاريخية أو نفسي ومهما حاولنا إيجاد هذه النماذج وفصلها حسب وظيفتها إذ حاول المحلون إبراز المعالم الجمالية التي تميزت بها هذه النصوص التي قدمناها إلا أنها لا تتعدى كونها وسيلة لإيصال الدلالات والمعاني والأفكارالتي تخفيها النصوص في طياتها وتعبر عنها بتلك الجمالية التي تربط بين السارد والأديب والراوي والمتلقي الذي يعتبر مركز وأساس نجاح النص الأدبي لما له من دور فعال في استحسان أواستقباح النص الأدبي الذي يكتسي أهميته من خلال المتلقي فأما الأديب لا يتعدى كونه أداة ولجمالية والصياغة هي القناة والمتلقي هو المستقبل والنقد إن صح التعبير . فأما الأدب يحمل أدوارا عديدة التي نلخصها في :

---

1) ابن زيدون ، المنتدى التربوي ، ص 1

أنه لا يقف عند العرض والوصف، ولكنه يحلّل ويستنتج، ويربط ويقوِّم؛ ليكون الأدب قوة تنضم إلى سائر القوى، وسبباً ينضمُّ إلى سائر الأسباب، لتتحصَّن به الأمة وتدافع به، وتجاهد به وتنافح. إنه يُغذّي علاقات الإنسان وروابطه من قربى ورحم، وصحبة وجوار؛ فيقرّب الإنسانَ من الإنسان، والفكرَ من الفكر، والعاطفة من العاطفة، إذا صدق الأدب وظلَّ طاهراً، فلا يهبط في حمأة الرذيلة والجاهلية، ودنس الفاحشة والفجور، وشرِّ الجريمة والإثم.

والأدب أشرف الفنون في حياة الإنسان وأعلاها مرتبة، وأكثرها التصاقاً به وبحياته، وأكثرها اتساعاً به ونشاطه، حتى يكاد يكون حاجة من حاجاته وضرورة من ضروراته، ماضياً معه في أعماق التاريخ وآفاق المستقبل. وهو يجمع من الفنون الأخرى ما لا تستطيع أن تجمع؛ فهو يجمع من الموسيقى أطيبها وأطهرها في نغمة الكلمة وجرسها، وإيقاع المقطع والصياغة وحلاوته، وهو يجمع من الرسم صوراً غنيّة نديّة تدفعها الحروف والكلمات، وصوراً حية نابضة، وهو يجمع عبقرية المعنى وطهر الفكر وصدق العاطفة1. والأدب يجول جولات واسعة في جميع ميادين الحياة وآفاق الكون، فتّحت كلها له ولموهبته وقدراته. فلا يوجد ميدان في حياة الإنسان إلا ويخوضه الأدب الطاهر، ينثر فيه العطر والندى، والجواهر واللآلئ والدرر، والثمار والزهور، حتى كأنه يجعل الحياة بساتين أشجار وثمار، وجنان ورود وأزهار، ونسائم تسري، وظلالاً ترفُّ بأندائها وتغني بفيئها.

وارتفعت منزلة الأدب إلى ذروة الشرف وقمّة التكريم حين حمل البيان رسالة الله إلى الناس، إلى عباده وخلقه، قرآناً معجزاً، وبياناً ميسّراً، وحْياً يتنزّل من عند الله، ليمثل أعلى مستوى للبيان والفكر، والصورة والتعبير، ليكون آية الزمان وإعجاز العصور، وحاجة الإنسان وغناءه نوراً وهدى.

والأدب عطاء الإنسان؛ ينبع من ذاته، من داخله، من فطرته التي فطره الله عليها إن ظلت نقيّة سليمة فيكون أدب إيمان وتقوى، أو تاهت في فتن وضلال وانحرفت فيكون أدب فتنة وفساد وهذه الفطرة التي لا نعرف عنها إلا ما علّمنا الله، ندرك أن الله غرس فيها نبع الإيمان ليرويَ الإيمانُ الفطرةَ وما فيها من غرائز وقوى ريّاً متوازناً؛ لتؤدّي كلُّ قوة المهمة التي خلقها الله لها، ما دامت الفطرة لم تتشوه والشعور والموهبة التي يضعها الله في من يشاء من عباده. وكأن التفكير والعاطفة قطبان تتجمّع عليهما شحنات الزاد من الواقع، من علم وتجربة ينالها الإنسان في حياته من ميادين مختلفة. وتظل هذه الشحنات تنمو وتزداد بقدر من الله - سبحانه وتعالى -وعلى سننٍ لله ثابتة، حتى تأتي اللحظة المحددة، فتأتي الموهبة فتشعل التفاعل بين هذين القطبين وما يحملانه من شحنات، فيخرج عطاء الإنسان ومضة إبداع أو شعلة خير، على نوع الموهبة والشحنات وقوة الفكر وقوة العاطفة فإن كانت الموهبة أدبية أطلقت العطاء الأدبي شعراً أو قصة أو رواية أو خلاف ذلك ولا يمكن أن يكون العطاء ثمرة فكر وحده، ولا ثمرة عاطفة وحدها؛ ولكنه ثمرة تفاعل بين الفكر والعاطفة وسائر القوى في داخل الإنسان في

فطرته، وبذلك يستطيع الأدب أن يجول ويطوف في جميع ميادين الحياة وآفاق الكون على قدر ما وهب الله لعبده من قوة وفكر وعاطفة وموهبة1.
هذا هو الحق الذي يحمله الأدب فكراً وعاطفة.

يساهم الأدب في واقع الحياة الاجتماعية، فيغذّي كل آداب المجتمع وأخلاقه، وعاداته وتقاليده، ما دام المجتمع متمسكاً بدينه إيماناً وممارسةً في واقع الحياة. وجعل الإسلام للأدب دوراً عظيماً في نهجه وغايته وأسلوبه. وأول ذلك أن تكون النيَّة خالصة لله في كلمته، وثانياً أن تكون الكلمة طيبة حقاً وصدقاً، لا كذب فيها ولا باطل. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -قال: «من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوبَ الرجال أو الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً»[1]. وعنه أيضاً: «إن أخاً لكم لا يقول الرفث، وهو ابن رواحة»، ثم تلا أبو هريرة أبياتاً من شعر عبد الله بن رواحة، نجد فيها دور الأدب في الفكر والدعوة والمجتمع:

وفينا رسول الله يتلو كتابَه
إذا انشقَّ معروفٌ من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العَمَى فقُلُوبُنا
به موقناتٌ أنَّ ما قال واقعُ
يبيتُ يجافي جنبه عن فراشه
إذا استثقلت بالكافرين المضاجعُ 2

تلك نماذج سريعة تكشف بوضوح عن دور الأدب في الفكر والمجتمع والأخلاق. كما أننا نلمس فيها كيف يتعهد الإيمانُ هذه القوى كلها ويمزجها بالعقيدة والإيمان والتوحيد، حتى تكون نسيجاً واحداً لا ينفصل بعضه عن بعض3.

---

1) قصصنا الشعبي – ص121

2) إحسان عباس (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) ، ص 429 ، نقلاً عن.) أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني ص 102 مطبعة استانبول 1954

3) الجاحظ، (البيان والتبيين)، تحقيق : عبد السلام هارون، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط1 ، القاهرة 1948م.

دور الأدب في الفكر والمجتمع:

حين حمل الأدب رسالة الله إلى الناس وحياً من عند الله باللغة العربية التي اختارها الله، أصبح هذا البيان والأدب هو النموذج الأعلى، لا يبلغه أحد من البشر، ولكن يقتبسون منه ويهتدون به نوراً وهدى خالداً في إعجازه ويُسْره مع الأزمان كلها، يقدّم للبشرية كلها أسمى ما عرفت البشرية من فكر وأخلاق.

وحمل كذلك أسمى جمالٍ فنيٍّ يمتزج فيه جمال الفكر، وجمال الأخلاق، وجمال عبقرية اللغة العربية، وجمال الحياة الاجتماعية في طهرها وسموٍّ علاقاتها، تتداخل كلها في نسيج عبقري واحد معجز، ومع إعجازه يسَّره الله لمن آمن وصدق وعرف العربية وأتقنها؛ فجعل الله صدق الإيمان وصفاءه وإتقان اللغة العربية مفتاحين لكتاب الله، ييسر الله بهما معاني كتابه لعباده المؤمنين.

رسالة الأدب بما يحمله:

والأدب فنّ؛ ولكنه أشرف الفنون إذا حمل رسالة الطهر والجمال والخير والإحسان. والأدب يقدّم الجمال في الحياة في أطهر صوره وأنقى أشكاله.

ويظل يسمو الجمال مع سمو الأدب حتى يبلغ أعلى مراتبه، ولا يكون ذلك إلا حين يحمل الحق في الحياة، فيكون الحق منبع الجمال فيه، ودفق الحياة، وغنى القلوب والنفوس، وهو يحمل رسالة الله ويساهم في نشرها عبقاً فوَّاحاً وعطراً غنياً وظلالاً ندية؛ فيكون جماله من جمال رسالته الإيمانية: «إن الله جميل يحب الجمال، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها»[1]

ويصوغ الأدب الجمال حين يتلقى جمال الجرس من الألفاظ والصياغة، وجمال الصورة التي يرسمها، وجمال الحركة التي يطلقها، وجمال الأسلوب الذي يجمع ذلك كله. ويرتبط هذا الجمال الفني بالحياة والكون، ليكون نبضة حياة وقبساً من نور، جمالاً أصيلاً، لا طلاءً كاذباً ولا زخرفاً خادعاً. والجمال في الأدب الملتزم بالإسلام ينبع من تفاعل الخصائص الإيمانية التي تجعله إسلامياً والخصائص الفنيَّة التي تجعله أدباً.

ويساهم في صياغة الجمال الفني في الأدب عناصر ستة: الصياغة الفنية، الموضوع الفني، الشكل، الأسلوب، الإنسان، والعقيدة. وهذه كلها تتفاعل وتتأثر من ولادة النص الأدبي من داخل الإنسان وفطرته كما ذكرنا سابقاً. وللجمال الفني عاملٌ دافعٌ هو النيَّة، وعاملٌ منظم وهو الموازنة.

---

1 (انظر كتاب من ألواح سومر إلى التوراة- ص226).

1.) أسرار البلاغة عبدالقاهر الجرجاني ص203 تصحيح محمد رشيد رضا

وبـــذلك يتـــمـــيز الأدب بالعمق في البعد الإنساني، وأطهر في الجمال الفـــني، وأوسع ساحة ومدى، فساحته ومداه الحياة كلها والكون كله.
وإذا لم يكن الأدب والفنُّ كله قوة للحق والصلاح في الأرض وعبادة الله - سبحانه وتعالى - فمن أين يأتي له الجـــمـــال أو يعطي الجـــمال؟! ومـــا حـــاجـــة الإنسان له عندئذٍ؟! ولا يقوم بذلك إلا الأدب الملتزم بالإسلام. 1

الخاتمة

خاتمة :

وهكذا لكل بداية نهاية لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلي أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه وأخيراً ما أنا إلا بشر قد أخطئ وقد أصيب فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت فد أصبت فهذا كل ما أرجوه من الله عزوجل وخير العمل ما حسن آخره وخير الكلام ما قل ودل وبعد هذا الجهد المتواضع أتمنى أن أكون موفقة في سردي للعناصر السابقة سردا لا ملل فيه ولا تقصير موضحة الآثارالإيجابية والسلبية لهذا الموضوع الشائق الممتع، وفقني الله وإياكم لما فيه صالحنا جميعا. وأختم قولي بهذا النص الذيأعتبره ملخصا للبحث و الإشكال الذي طرحته منذالبداية ألا و هو الأدب بين الفكر و الجمالية ولندمج هاتين الوظيتين أو التيجة ن تك الدراسات الطويلة و المتواصلة لهذه القظية و لك بأخذ عبارة الجاحظ القائلة (إن المعاني مطروحة في الطريق) إذ يظهر من خلال الدراسات أنه لا خلاف حول العناية الكبرى التي يعطيها الجاحظ للشكل، ولكن ليس بالطريقة التي تفسرها القراءة الأولية لعبارته تلك، والتي تجعل القارئ يتوهم للوهلة الأولى : أن الجاحظ يحتقر المضمون / المعنى .

ولكن المقصود أبعد من هذا فالقارئ العادي ركَّز على الدلالة التي يعطيها له اللفظ وحده " دون التنبه إلى حلِّ إشكالية ترابط العلاقات المنشاة بين الكلمات الموحية بالأحوال النفسية والفكرية أو القوى الداخلية الكثيفة من خلال تجاورها وتباعدها وتنافرها زماناً ومكاناً وموقفاً في النص الشعري على أن يشكل السياق الموضعي (حدود العلاقة بين كلمتين أو مجموعة من الكلمات (والسياق الكلي) النص أو شبكة علاقاته المعقدة والمترابطة إطار ذلك الحل ومرجعيته الأساسية في الاستيحاء والتوجيه "[2]

فدلالة اللفظ وحده غير كافية لفهم عباراتٍ مثل : بعيدة مهوى القرط ، غمرني البحر وأنت تقصد إحسان شخصٍ كريم إليك، وهكذا.

هذا ماتنبه له عملاق البلاغة العربية عبد القاهر الجرجاني في كتابه) أسرار البلاغة) ، وسمَّاه (معنى المعنى) ويعني بهذا المصطلح " أن تعقل من اللفظ معنى ثم بفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر ".[3]

وهذا مانجده في (علم البيان) في البلاغة العربية خاصة في الاستعارة والكناية.

فالدلالة الأولية للكلمة توصلنا للمعنى، ولكن تمييز العلاقات المتشابكة داخل السياق النصي يوصلنا إلى معنى المعنى.

كذلك فنحن لا نستطيع عزل هذه الكلمة (المعاني مطروحة في الطريق) عن سياقها التاريخي والثقافي في ذلك العصر، إذ كثر احتفال الناس بالمعنى وتركوا اللفظ جانباً لا سيمَّا في مسألة إعجاز القرآن، مما حذا بالجاحظ لأن يقول مقالته تلك ليلفت الانتباه إلى

2.) عبد القادر الرباعي (جماليات المعنى الشعري) مصدر سابق ، ص196

أهمية اللفظ / الشكل التي لا تقل أهمية عن المعنى / المضمون، إذْ هما يكونان سوية النص المتماسك ولعل أبرز مايؤيد إدعائنا في الموقف التوفيقي للجاحظ هو قوله :" وقال بعضهم – وهو من أحسن ماجتبيناه ودوناه - لايكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك 4

و بهذا تكون وظيفة الأدب فكرية بقدر ما هي جمالية حيث تعبر من خلال الجمال لتصل بالفر إلى المتلقي فالفكر غاية و الجمال وسيلة ، فإن لم تكن وظيفة الأدب جمالية فكيف اقتنعى المتلقي من مجرد كلام ركيك وإن م تكن وظيفة الأدب فكرية أيضا فكيف تفسرإنقاذ شاعر من الموت بفضل دهائه في بيت شعري كان قد ذم فيه زوج ملكهم السودء التي لبست عقد الألماس وخرجت إلى رعيتها (الشعب) ، قائلا لما وقع بصره عليها :

ضاع شعري كما ضاع العقد في عنق السوداء

كتب ها البيت على جدار قصر الملك و لما بلغ الديوان تم أخذ قرارالإعدام بقطع الرأس، ولكن الشاعر عدل البيت لما سمع بخبر إعدامه البيت الشعري بقلب العين همزة، قائلا :

ضاء شعري كما ضاء العقد في عنق السوداء

و الله و لي و لكم التوفيق.

---

3) إحسان عباس (تاريخ النقد الأدبي عند العرب) مصدر سابق ، ص 429 ، نقلاً عن) أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني ص 102 مطبعة استانبول 1954 .

4) الجاحظ ، (البيان والتبيين) ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط1 ، القاهرة 1948م .

المصادر و المراجع

قائمة المصدر و المراجع

قائمة الكتب:

1.جواد علي، الساميون، تاريخ العرب قبل الإسلام ج1

2.نيوتن، نظرية الأدب في القرن 20 ، تر، عيسى علي العاكوب، ط1، القاهرة س 1996

3.تودوروف نصوص الشكلانيين الروس، تر إبراهيم الخطيب .

4.ندير حمدان، الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنابرة، ط 1، جدة السعودية، 1412ه 1991 م.

5.موسوعة المصطلح النقدي، تر، عبد الواحد لؤلؤة، دار النشر بيروت، ط2.

6.معلوف، حيوية اللغة بين الحقيقة والمجاز، مدىنة الشارقةخدمات الانسانية، ط3، 1823 7.مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آدا ب العرب، ط1 مكتبة الإيمان.

8.مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، مكتبة الأقصى عمان ط1.

9.محيي الدين اسماعيل وحميد المطبعي، موسوعة المفكرين والادباء العراقيين الجزء العشرين. دار شؤون القافية العامة بغداد 1994 م.

10.محي الدين صبحي، النقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، الدار العربية للكتاب، رقم الإيذاع بدار الكتب الوطية،547 ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الإشتراكية العظمى

11.محمود ذهني، تذوق الأدب طرقه ووسائله، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1943

12.محمود درويش، *مديح الظل العالي،دار العود، بيروت، لبنان، ط2 ، 1984 م .*

13.محمود أمين ومحمود غنايم العالم بين السياسة والأدب، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق،مكتبة الأسد، ط1 ، 2011 .

14.محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي، ط4، دار الأندلس، 1417 ه – 1996 م

15.محمد دالي، الوحدة الفنية في القصة القرآنية ،أمون للطباعة والتجليد، ط،1 سنة 1993
16.محمد خير رمضان يوسف، عجائب الفكر وذخائر العبر، بيروت، دار ابن حزم، 1421هـ.
17.محمد بن عبد اللّه بن مالك الأندلسي، متن ألفية ابن مالك في النحو والصرف، مؤسسة الرسالة، ط1 ، سنة. 2002
18. محمد البدراني وإسماعيل المشهداني، الجمال في الأدب الإسلامي، طـ3 دار المعارف.
19.كارلونا لينو، تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني أمية، "طبع دار المعارف".
20.فيليب، تاريخ العرب، الترجمة العربية" ج1، طبع بغداد.
21.مصادر الأدب الانجليزي، نشأة الأدب الانجليزي، المكتبة الأدبية العالمية، ط2، 1934. 22.مريم البغدادي، المدخل لدراسة الأدب، طـ1، دار المعارف.
23.فالح الحجية، كتاب الموجز في الشعر العربي، الموسوعة العربية، عباس المناصرة.
24.فارس سلامة العطار، ماهية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط 1، 1998 18 أفريل 2009.
25.عمر الدقاق، الحضارة العربية،سلسلة كتب ثقافية شهرية، ط2، المجلد 1، 1998.
26.علي المصري، في رحاب الفكر والأدب، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ط6 ، 1998 .
27.العقاد، التفكير فريضة إسلاميه، دار النهضة، القاهرة، ط6.
28.عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، مطبعة استانبول، القاهرة 1948
29.عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ط1. سنة1971.
30.عبد الرزاق الأصفر، المذاهب الأدبية لدى الغرب ترجمات ونصوص و أعلامها، 1999.
31.طه باقر، مطول فيليب،ج1،مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة "الطبعة الثانية"ج1 وج2

32.طه ندا، الأدب المقارن، دار النهضة 1991.
33.طبقات الشعراء، ط1، دار المعارف، مصر.
34.شوقي ضيف، البحث الأدبي، ط5 ، دار المعارف .
35.شوقي ضيف، تاريخ الأدب الجاهلي، ط22 ، دار المعارف .
36.أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية .دار الفرقان للنشر عمان الأردن ط .2 سنة 1999،عن صفوة التفاسير .ج 2 .
37.روز غريب، النقد الجمالي، دار الفكر 1993.
38.رينيه وليك وأوستين وارين، نظرية الأدب، تر، محي الدين، تعريب عادل سلامة، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، رقم الإيدع 5674 ، 1991 .
39.خالد القزحي، ما بين جماليات النص الأدبي وأهمية مضمونه، ج الثورة، مج ثقافة وفكر
40.ديوان طرفة "طبعة آلوارد" القصيدة رقم 5 بيت 46
41.روبير إيسكاربيت(ROBERT ESCARPIT)، الأدب والأنواع الأدبية، تر، طاهر حجار، عنوان الكتاب الفرنسية، literature ET genres littéraire، ط1،1985 م.
42.جون ديوي، الفن خبرة، ترزكريا إبراهيم وزكي نجيب محمود، دار النهضة العربية،1963.
43.حامد حنفي، تاريخ الأدب الجاهلي، ط1.
44.حسين الواد، تأريخ الأدب، مفاهيم ومناهج،دار لفارس للنشر والتوزيع، عمان،ط2، 1993
45.الحصري، زهر الآداب، "طبع مصر" ج1.
46.بن منظور جمال الدين، لسان العرب، دار الآداب. بيروت - 1972.
47.أوستين واين، نظرية الأدب، ترجمة محي الدين صبحي، 1972.
48.تودوروف، مفهوم الأدب، دار توبقال للنشر،ط2 ،1990 .
49.الجاحظ، البيان والتبيين مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط1، القاهرة 1948م
50.الجاحظ، الحيوان، طبعة الحلبي

51.الجرجاني (ت471هـ)، دلائل الإعجاز قرأه وعلق عليه محمود شاكر القاهرة – 1984م.
52.أندريه مالرو (1901 - 1975)، سيكلوجية الفن،ط3، دار النشر بيروت،1977.
53.محسن جاسم الموسوي، دراسة سردية لألف ليلة وليلة، موسوعة صغيرة،دار الجاحظ للنشر.
54.عبير سامية، الأمثال في النثر العربي القديم،الطبعة الثالثة بدار المعارف.
55.إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية،دار النشر إسطنبول.
56.عطية، الأصمعيات "طبع دار المعارف" رقم 12بيت 30.
57.أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دارالنشر الدر البيضاء، المغرب،1947
58.أحمد كمال زكي، النقد الأدبي أصوله واتجاهاته، دار النهضة، بيروت.
59.أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان للنشر عمان الأردن ط2 سنة 1999.
60.أدونيس، 1972؛ أدونيس، 1985
61.إبن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت 1918.
62.أبو البقاء الكغوي، الكليات، الأدب بي الأس واليوم،دار النشر بيروت،1981 .
63.أبو العلاء المعري، الديوان، مطبعة القاهرة،1953.
64.إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، مطبعة استانبول 1954
65.إبن الأثير، في غريب الحديث والأثر، طبع القاهرة 1311هـ" ج1.

قائمة المذكرات:

1.محمد زمري، نظرية المحاكاة بين الفلسفة والشعر،مذكرة ماجيستير، جامعة أبي بكر، تلمسان.
2.أحمد الشايب، أصول النقد الأدبي، مذكرة في الدراسات الأدبية،جامعة القاهرة .

قائمة المجلات:

1.أحمد هواري، الوظيفة الفنية للأدب، جريدة الخبر،العدد 118 ،2010 .
2.حسن مجيدى، إضاءات نقدية فصلية محكّمة، السنة الثانية – العدد الثامن – شتاء 1391 شهر، كانون الأول 2012م.
3.مجلة مجمع اللغة العربية، هيئة التحرير وسليمان جبران، إ ابراهيم طه، محمود غنايم.
4.العشماوي، فلسفة الجمال في الفكر المعاصر، مجلة عالم الفكر ، مج 9 ، عدد 2 يوايو ـــــ سبتمبر 1978 م
5.عبق الخزامى، الشعر والفكر، مجلة الرياض، العدد 1231.
6.عبد الرحمن رأفت الباشا، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد وبن سعود الإسلامية العدد الحادي عشر (11).
7.شفيق بقاعي وسامي هاشم، المدارس والأنواع الأدبية، مجلة المعرفة. دمشق. العدد133. آذار 1982.
8.سليمان جبران، مجلة مجمع اللغة العربية،العدد،110 ، هيئة التحرير، إبراهيم طه.
9.جريدة النور، وظيفة الأدب، تاريخ 22 كانون الثاني، 2013، العدد 611 .
10.آزاده منتظري، محمد خاقاني، منصوره زركوب، النقد الإجتماعي للأدب نشأته وتطوره،مجلة نزوى، العدد 122 .
11.إبراهيم ،الأدب بين الإنسانية والجمالية، مجلة النهار، العدد 210،2004.

مقالات ونوادي:

1.فائز العراقي، شعر الانتفاضة في البعدين الفكري والفني، من منشورات اتحاد_الكتّاب العرب، دمشق،مكتبة الأسد،1998 .
2.صفية ناشي، مدخل لدراسة الأدب، جامعة أم القرى.
3.صلاح الدين النكدلي، آراء في الأدب والأديب، الدار الإسلامية للإعلام، ط1.
4.سعيد يقطين،التحويلات السردية والحكائية في رواية المعجزة، دار الآداب. بيروت - 1934.
5.زينب حبش، التفكير الإبداعي، لجنة التربة والتعليم، وزارة التربية، سنة 2005
6.جواد علي، في صفة الجزيرة العربية، كتب الجغرافية العربية.
7.جورج الفار، ندوة الجمعية الفلسفية الأردنية في ملتقى فكري في مقر الرابطة .

8.ابن زيدون،الأدب والأنواع الأدبية، المنتدى التربوي،العدد الثامن،فكروثقافة

9. قاسي صبيرة، النص الأدبي بين الإنتاجية الذاتية وإنتاجية القارئ .

مواقع النت:

1.قضايا أدبية، نص للمطالعة، www.onefd.edu.dz .

2.عبد الباقي عمر دعماش، ثراء الفكر وفكر الثراء، حقوق النشر محفوظة1435 ه ــ2014م لموقع الألوكة.

3.يوسف سليمان الطحان،ما معنى الجمال،مكتبة الألوكة، لبنان.